



جامعة السودان المفتوحة
Open University of Sudan

مجلة القلم لدراسات التوثيقية



ISSN: 1858 - 9790

علمية دورية دولية محكمة تصدر بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة - السودان

في هذا العدد :

- مدينة الفاشر (الأصالة والتاريخ)
أ.د. محمد أبو محمد إمام
- من تاريخ مدينة أم درمان الحضاري (شواهد أثرية)
أ.د. عبد الرحيم محمد خبير
- مدينة الخرطوم وسكانها في أدب الرحالة: الرحلة العلمية للفريد إدموند بريم (1847 - 1852م)
د. حماد محمد حامدين - أ. أروى علي حسن
- تاريخ مدينة الأبيض
د. عبد العزيز محمد موسى إسحق
- نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود
د. إنعام سليمان محمد إدريس
- إقليم مدينة شمبات دراسة في جغرافية العمران (1963 - 2019)
د. أحمد مبارك بابكر المبارك
- مدينة ودمدني (دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي) (1504 - 1989م)
د.مهند فاروق محمد أحمد - د.عبدالعزیز حسن فضل البصير
- نشأة مدينة مرووي (دراسة في العوامل الجغرافية والاجتماعية)
د. نجلاء عبدالرحمن وقيع الله بلاص
- التطور الاجتماعي الاقتصادي لمدينة المناقل
د. آمال جاد الرب علي فضل المولى
- مدينة سواكن (دراسة تاريخية تحليلية)
د. أماني بابكر إبراهيم سليمان



العدد الثاني عشر - ذو الحجة 1443 هـ - يوليو 2022م

مجلة القلم للدراسات التوثيقية علمية دورية محكمة - العدد الثاني عشر - ذو الحجة 1443 هـ - يوليو 2022م

ردمك ISSN: 1858 -9790



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arriyria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Al QulzumScientific DocumentaryJournal
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع السودان
ردمك: 1858-9790 الخرطوم- السودان

مجلة القلم للدراسات الوثائقية

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. بركات موسى الحواتي - جامعة بحري - السودان .
أ.د. عز الدين عمر موسى - مركز العز بن عبد السلام - السودان.
أ.د. دلال بنت محمد سليمان السعيد - جامعة جدة - المملكة العربية السعودية.
أ.د. كمال محمد جاه الله الخضر - جامعة إفريقيا العالمية - السودان.
أ.د. إيمان على مهران عثمان - المعهد العالي للفنون الشعبية - جمهورية مصر العربية.
أ.د. محمد أبو محمد إمام - السودان
د. صديق عمر الصديق - جامعة الخرطوم - السودان.
د. عبد الباقي يونس إسماعيل - جامعة النيلين - السودان .
د. أبو القاسم السنوسي قنه محمد - مركز دراسات الصحراء - ليبيا.
د. فتح العليم عبد الله محمد - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. محمد الفاتح أحمد - جامعة براندنبورج - ألمانيا.
د. عفاف عبد الحافظ عبد الحفيظ محمد رحمه - جامعة الخرطوم - السودان.
د. نزار محمد غانم - جامعة الأحفاد للبنات - اليمن.
د. هالة أبازيد بسطان - جامعة أم درمان الأهلية - السودان.
د. جعفر على فضل إبراهيم - جامعة نيالا - السودان.
د. سليمان محمد سليمان - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان.
د. محمد أحمد محمد عبدالعزيز - جامعة الفاشر - السودان .
د. صلاح محمد إبراهيم أحمد - جامعة النيل الأبيض - السودان.
د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب - جامعة كسلا - السودان.
د. لمياء دفع الله مصطفى - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
د. الصادق آدم عمر - السودان
د. عبد العزيز جابر محمد - السودان

المشرف العام

أ.د. عبد الخالق فضل رحمة الله
مدير جامعة السودان المفتوحة

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير

أ. عوض أحمد حسين شبا

سكرتير التحرير

أ. خالد بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر (السودان)

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر (السودان)

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية عبر العنوان التالي

هاتف: +249121566207 - +249910785855

بريد إلكتروني : rsbcsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي عمارة جي تاون الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلْزَم) للدراسات التوثيقية مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة- السودان. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التوثيقية والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين (.)
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.



كلمة التحرير

نحمد الله تعالى حمدا طيبا مباركا فيه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

القارئ الكريم:

فى إطار خطة مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان فى تفعيل وتنشيط البحث والنشر العلمى، وذلك بتسهيل وتوسيع مواعين النشر الرصين، رأّت وحدة البحوث والنشر بالمركز بعد التشاور مع الهيئتين العلمىة والاستشارىة إصدار مجلة علمىة جديده تضاف لسلسلة مجلات القلم العلمىة الدولىة المحكّمة المتخصّصة، تعنى بالتوثيق للاماكن والشخصيات فى مختلف المجالات العلمىة، الاجتماعىة والدينىة والاقتصادىة، السياسىة، الفنّىة، والرياضىة وغيرها، فى السودان ودول حوض البحر الأحمر والعالم؛ وكذلك التوثيق للمؤسسات البارزة التى أسهمت فى الحياة الاجتماعىة والثقافىة والاقتصادىة الخ...

تعتبر مجلة القلم العلمىة للدراسات التوثيقىة التى تصدر بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة - السودان من المجالات المتخصّصة المتفردة، ولعلها الأولى فى السودان والوطن العربى، التى اهتمت بهذا الجانب، وانتهجت فى طريقتة تحريرها نهجاً جديداً يعتمد على تكوين مجموعات بحثىة ذات صلة ومعرفه بموضوع العدد، تحت إشراف أحد العلماء فى المجال المعنى.

القارئ الكريم:

هذا العدد هو الثانى عشر من مجلة القلم العلمىة للدراسات التوثيقىة يخرج إليكم فى ثوب قشيب تحت إشراف أ.د حاتم الصديق محمد أحمد للتوثيق للمدينة السودانىة دراسه فى التاريخ والمكان فى مجال التوثيق والدراسات التاريخىة، وبإذن الله تعالى سوف تتوالى الأعداد التوثيقىة لتسهم فى التعريف بالمدينة السودانىة والتوثيق لها بصورة علمىة رصينة.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع؛؛؛

هئية التحرير



مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

(نحو شراكة إقليمية مستقبلية مستدامة)

مجلات القلزم

نحو شراكة إقليمية مستقبلية وواحد

مجلات القلزم مجموعة مجلات علمية دولية محكمة ذات ترقيم دولي

تصدر عن . مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان

بالشراكة مع عدد من الجامعات والكليات والمراكز البحثية داخل السودان وخارجه وهي



مجلة القلزم العلمية الشاملة
تصدر بالشراكة مع كلية المنهل للعلوم - السودان



1



مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية
تصدر بالشراكة مع الإتحاد الدولي للمؤرخين - الجزائر



2



مجلة القلزم للدراسات البيئية والجغرافية
تصدر بالشراكة مع جامعة سنار - السودان



3



مجلة القلزم للدراسات السياسية والقانونية
تصدر بالشراكة مع جامعة البليدة - الجزائر



4



مجلة القلزم للدراسات الأمنية والاستراتيجية
تصدر بالشراكة مع جامعة سليمان الدولية - تركيا



5



مجلة القلزم التربوية واللغوية والنفسية
تصدر بالشراكة مع جامعة بخت الرضا - السودان



6



مجلة القلزم للدراسات الإعلامية
تصدر بالشراكة مع أم درمان الأهلية - السودان



7



مجلة القلزم للدراسات الإعلامية
تصدر بالشراكة مع جامعة كسلا - السودان



8



مجلة القلزم للدراسات الأثرية والسياحية
تصدر بالشراكة مع جامعة شندي - السودان



9



مجلة القلزم للدراسات الاقتصادية والاجتماعية
تصدر بالشراكة مع جامعة الحضارة - اليمن



10



مجلة القلزم العلمية للدراسات التوثيقية
تصدر بالشراكة مع جامعة السودان المفتوحة - السودان



11

جامعة السودان المفتوحة
Open University of Sudan

+249910785855 - +249156126207 www.rsbcrc.net rsbcrc@gmail.com

المحتويات

مدينة الخرطوم وسكانها في أدب الرحالة: الرحلة العلمية للفريد إدmond بريم (1847 - 1852م).....(9-38)

د. حماد محمد حامدين - أ. أروي علي حسن

تاريخ مدينة الأبيض.....(39-56)

د. عبد العزيز محمد موسى إسحق

نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد المحمود.....(57-86)

د. إنعام سليمان محمد إدريس

مدينة الفاشر (الأصالة والتاريخ).....(87-110)

أ.د محمد أبو محمد إمام

إقليم مدينة شمبات دراسة في جغرافية العمران (1963 - 2019).....(111-128)

د. أحمد مبارك بابكر المبارك

مدينة ودمدي (دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي) (1504 - 1989م).....(129-158)

د. مهند فاروق محمد أحمد - د. عبد العزيز حسن فضل البصير

نشأة مدينة مروى (دراسة في العوامل الجغرافية والاجتماعية).....(159-194)

د. نجلاء عبد الرحمن وقيع الله بلاص

من تاريخ مدينة أم درمان الحضاري (شواهد أثرية).....(195-216)

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير

التطور الاجتماعي الاقتصادي لمدينة المناقل.....(217-262)

د. آمال جاد الرب علي فضل المولى

مدينة سواكن (دراسة تاريخية تحليلية).....(263-282)

د. أماني بابكر إبراهيم سليمان



مدينة الخرطوم وسكانها في أدب الرحالة: الرحلة العلمية

للفريد إدموند بريم

(1852-1847م)

قسم الآثار - جامعة النيلين

د. حماد محمد حامدين

طالبة دراسات عليا قسم الآثار - جامعة الخرطوم

أ. أروى علي حسن

المستخلص:

يتناول هذا المقال وصف مدينة الخرطوم وسكانها عند الرحالة الألماني الفريد إدموند بريم ١٨٤٧-١٨٥٢م، حيث تناول وصف المدينة والمنازل وطرق بنائها، والمباني العامة، منزل الحاكم العام، السوق، الحدائق العامة، سكان الخرطوم والسمات الجسمانية لهم، وملابس الرجال والنساء والاعتناء بالجسد، الدين والتدين، والشخصية السودانية الإيجابية والسلبيات، وختان الإناث، والطعام وتجهيزه وطريقة تناوله، وكرم الضيافة، الخمر والمريسة وأم بلبل وأماكن بيعها في الخرطوم، وتدخين التبغ والتبأك، وكذلك أطفال مدينة الخرطوم، هذا بالإضافة إلى الزواج والموت والأسلحة التي كانت مستخدمة، والنظام الإداري والقضاء والتجارة والنشاط الاقتصادي الذي كان سائدًا في تلك الفترة، والبريد، بالإضافة إلى حالة الطقس والأمراض التي كانت موجودة في الخرطوم في ذلك الزمان. وخلصت الدراسة إلى أن ما كتبه الفريد إدموند بريم عن السودان والخرطوم بلا شك قيم جدًا وبه من مادة علمية غزيرة في ضروب علوم كثيرة منها الآثار والعلوم الطبيعية والأنتوغرافيا وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الرحالة، أدب الرحالة، مدينة الخرطوم، الفريد إدموند بريم.

**Khartoum City and their inhabitants in the travelers
literature: The scientific journey for Alfred Edmund Brehm
(1847-1852-AD)**

Hamad Mohamed Hamdeen Abdelrahman

Arwa Ali Hassan Mohamed

Abstract:

This article deals with the description of the city of Khartoum and its inhabitants at the German traveler Alfred Edmund Brehm 1847- 1852, where he dealt with the description of the city, houses and ways of building them, public buildings, the house of the Governor-General, the market, public parks, the inhabitants of Khartoum and their physical features, men's and women's clothes and body care, religion and religiosity, Sudanese personality positives and negatives, and female circumcision, Food, processing and eating, hospitality, wine, marisa, um Belbel and their places of sale in Khartoum, tobacco smoking and tobacco, as well as children of Khartoum, in addition to marriage, death and weapons used, the administrative system, the judiciary, trade and economic activity that prevailed at the time, the mail, in addition to the weather and diseases that existed in Khartoum at the time. The study concluded that Alfred Edmund Brehm 's books on Sudan and Khartoum are undoubtedly very valuable and have a rich scientific subject in many types of sciences, including archaeology, natural sciences, ethnography, etc.

Keywords: Traveller, Traveller's Literature, Khartoum City, Alfred Edmund Brehm.

مقدمة:

للرحالة دوافع كثيرة للقيام برحلتهم وتجوأهم حول العالم قاصدين أماكن ومدن بعينها، وأياً كانت دوافع الرحالة المعلنة منها والخفية فقد أتصف أغلبية الرحالة ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق كما حرص معظمهم على التفرقة بين المشاهدة والرواية عن تسجيل معلوماتهم، هذه كلها سمات قد أصبحت الآن بمثابة قواعد أساسية في منهجية البحث في الدراسات الأثنوغرافية ودراسات أدب الرحالة^(١).

جذب السودان منذ القدم العديد من الرحالة لشدة الرحال إليه، لأسباب ودوافع تختلف باختلاف الرحالة والزمان الذي جاؤوا فيه إلى السودان والأماكن التي كانوا يقصدونها، ولقد ضم أدب الرحالة في السودان إشارات كثيرة للمدن السودانية ومن ضمن هذه المدن كانت مدينة الخرطوم التي نالت حظاً وافراً من الوصف عند أحد أهم الرحالة الألمان الذين زاروا السودان في الفترة من ١٨٤٧-١٨٥٢م ألا وهو الرحالة الفريد إدموند بريم ورحلته العلمية للسودان، والتي كانت إحدى نتائجها جمع أكثر من ألف وأربعمائة نوع من أنواع الطيور بالإضافة إلى الحيوانات الأخرى والتي قدمها إلى حديقة الحيوان في برلين، هذا بالإضافة إلى رسومات الطيور والحيوانات ودراسته والتي شكلت بصورة أو أخرى مرجعاً لا غنى عنه لدراسات علم الحيوان والطيور للكثير من الباحثين في ألمانيا. وإن قمنا بعمل استطلاع صغير للرحالة الألمان، بمعنى الرحالة الذين سجلوا مشاهداتهم باللغة الألمانية أو كانوا ألمانى المنشأ، بحيث يدخل السويسريون والنمساويون في هذا الأمر نجد أسماء كالرحالة إدوارد ربل Edward Ruepple الذي تجول في مناطق شمال السودان وفي كردفان بغرب السودان ما بين عامي ١٨٢٥-١٨٣٦م والسيد فون هويجلين Von Heuglin الذي قصد إفريقيا الشمالية والبحر الأحمر عام ١٨٦٠م، ومبعوث امبراطورية النمسا السيد أنتون فون بروكش Antun Von Prokesh ما بين عامي ١٨٢٦-١٨٣٣م والجيولوجي النمساوي جوزيف فون روسيجر Josef Von Russegger بين عام ١٨٤٦-١٨٤٩م ومن الرحالة الفريد إدموند بريم الذي وجدت مشاهداته وخلصاته اهتماماً أكبر من قبل الباحثين مستقبلاً لطابعها العلمي والبحثي في مجال البحث البيولوجي والجيولوجي^(٢) وهنالك غوستاف ناختيقال ووليم يونكر وغيرهم.

والجدير بالذكر نجد أن الفريد إدموند بريم لا يعد من الرحالة المعروفين لدارسي الآثار وأدب الرحالة في السودان ولم يحظَ بالاهتمام بقدر الآخرين بعد، ولعل ذلك ربما يرجع إلى أن نص الرحلة كان مكتوبًا باللغة الألمانية في شكل يوميات ولم ير النور إلا في عام ٢٠١٠م بعد ترجمته إلى العربية بواسطة النور عثمان أبكر، وبرغم بعض الأخطاء في ترجمة عنوان الكتاب ويوميات بريم، إلا أنه يعتبر جهدًا مقدرًا منه لنقل هذا اليوميات من الألمانية إلى العربية. وكذلك من الأسباب نجد أن طابع الرجل ورحلته كان طابعًا علميًا حيث تم الاهتمام به من قبل دراسي العلوم الطبيعية خاصة البيولوجية منها «علم الحيوان خاصة الطيور» أكثر من دراسي العلوم الإنسانية. وسوف نركز هذه الورقة على الفصل الخامس من يوميات الرحالة الفريد إدموند بريم والتي كانت بعنوان «الخرطوم وسكانها» حيث قام بوصف مدينة الخرطوم وسكانها وصف دقيقًا، وبالتالي خلف لنا مصدرًا مكتوبًا عن مدينة الخرطوم في الفترة ١٨٤٧-١٨٥٢م وهو الأمر الذي يساهم في معرفتنا لتاريخ المدينة السودانية من حيث المكان والزمان والإنسان.

الفريد إدموند بريم:

الفريد إدموند بريم من مواليد عام ١٨٢٩م في رينتندروف Rentendorf في تورينغن Thuringen، كان أبوه من رجال الدين ومن الذين عملوا في مجال الأبحاث العلمية وبخاصة في حقل البحث العلمي المتعلق بالطيور، حط الفريد بريم رحاله بالقاهرة أولًا في نهاية سبتمبر عام ١٨٤٧م ثم انطلق بعد ذلك إلى السودان وبعد مائة يوم من السفر وصل إلى الخرطوم في السابع من يناير لعام ١٨٤٨م. من ثم بدأ رحلة الصيد في الغابات على ضفاف النيل الأزرق والأبيض التي دامت قرابة سبعة شهور طاف خلالها في كردفان إلى أن عاد إلى الخرطوم مرة ثانية في نهاية أغسطس محملاً بالحيوانات والطيور منها ما كان قد نفق ومنها لا يزال حيًا وغادر بعدها متوجهًا إلى القاهرة مرة ثانية وقد بلغها في نهاية أكتوبر عام ١٨٤٨م. في العام ١٨٤٩م عاد إلى السودان بصحبة أخيه أوسكار الذي مات في دنقلا غرقًا في النيل، وبلغ هو الخرطوم لا يملك شيئًا وكان مريضًا جدًّا وقضى فترة نقاهة في رعاية المحافظ العثماني والذي تفضل عليه بكرمه وقدم له مبلغًا من المال من دون مردود واستطاع بهذا المال أن يحقق رغبته للقيام برحلة صيد على ضفاف النيل الأزرق مر

فيها بكل من سنار والروصيرص ووصل حتى الحدود الإثيوبية، جمع خلالها أكثر من ألف وأربعمائة نوع من الطيور. بعد عودته قضى بريم الصيف كله في الخرطوم حيث بدأ ينسق وينظم رسوماته ومخطوطاته التي كانت حصيلة رحلته، ثم أقرضه لطيف باشا المحافظ العثماني آنذاك مبلغاً من المال من خزينة المدينة حتى يتمكن من العودة إلى القاهرة حيث قضى الشتاء بها ومن ثمة عاد إلى ألمانيا محملاً بمجموعة كبيرة من الطيور والحيوانات التي قدمها إلى حديقة الحيوان في برلين وقد استمرت رحلته هذه قرابة الخمس سنوات^(٣). درس بريم العلوم الطبيعية وعلم الحيوانات في مدينة Jena بشرق ألمانيا وفي فيينا Wien عاصمة النمسا حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة وكان عضواً في أكاديمية القصر العلمية للباحثين في علم الطبيعة. وقد عمل مدرساً في المراحل الثانوية بمدينة لايبتيغ Leipzig وله عدة منجزات وأبحاث عملية منها « حياة الحيوان » و « علم في حياة الطيور » و « رواق الحديقة » و « عالم الطيور » و « حيوانات الغابة » وهذا الأخير كان سبب شهرته، ثم نشر « مصور عالم الطيور » تنقل في رحلاته العلمية ما بعد السودان ومصر في ألمانيا والبرتغال وأسبانيا وبعد آخر رحلة له في جنوب أمريكا توفي في ١١ نوفمبر ١٨٨٤م عن عمر يناهز الخامسة والخمسين عاماً^(٤).

1. وصف مدينة الخرطوم:

في وصفه لمدينة الخرطوم أشار بريم إلى أنه « ..كانت ثمة قرية صغيرة تسمى الخرطوم علي ملتقى النيلين الأزرق والأبيض، وقد اختيرت لتكون عاصمة مملكة السودان وفي سنة ١٨٢٣م بنيت أولى القطاطي للجنود على مسافة قريبة من القرية وعلى ضفة النيل الأزرق لجودة مياهه كميائه للشرب...»^(٥). « .. وقبل أن يدخل المرء المدينة يمر بمنطقة ترابية مغطاة بالطحلب والأعشاب النتنة وسد بني لحماية المدينة من فيضان النهر، وهكذا يدخل المرء المدينة من شارعها الرئيسي الذي يفضي إليه هذا الطريق، وهذا الشارع يشق المدينة من الغرب إلى الشرق ويدخل سوقها ويغني وصف أي شارع في الخرطوم عن وصف بقية شوارعها، فهي ترابية مغبرة في زمن الجفاف ومليئة بالحفر وبرك المياه في موسم الأمطار، وتطغى عليها في كل الأوقات رائحة نتنة وحرارة شديدة فوق تصور أي إنسان متحضر وتؤدي الشوارع كلها إلى السوق أو إلى إحدى البنائيتين الحكوميتين وهي ليست بالشوارع العريضة إلا في ما ندر،

بل هي بالأحرى ضيقة وملتوية وليست هنالك ميادين عامة في المدينة وإن وجدت فهي غير ذات جدوى»^(١).

«... وتفصح المدينة القائمة اليوم بوضوح عن الكيفية التي بدأت بها، فالناس قد بنوا أول الأمر وفق هواهم ودون أي خطة شاملة، وقد استغل ذلك كل من بنى، ولذا تجد الحقائق الكبيرة وسط المدينة وتفقد الإحساس بأن يكون البناء قد تم وفق خارطة للمدينة...»^(٢).

2. المنازل وطرق بنائها:

أما عن منازل الخرطوم في تلك الفترة وعن طرق ومواد بنائها فقد أوضح بریم أن «... المنازل من طابق واحد أرضي في الأعم، وسقفها مسطحة ويكون كل بيت كبير وحدة واحدة مقفولة في ذاتها فيما لو كان مُلْكًا لتركي أو قبلي أو عربي ثري، ويتكون كل منزل من قسمين منفصلين قسم للرجال وآخر للنساء أو الديوان أو الحريم كما يقولون في مصر، ويتم بناء الدانقة وجمعها دانقات بطريقة غير منتظمة منذ البداية والدانقة هي المنزل المبني من التراب...»^(٣).

كذلك أشار «... ويحتقر التراب اللازم لعمل الطوب الأخضر قريبًا من مكان البناء، ثم يترك الطوب ليحفظ تحت الشمس. ونسبة لطغيان الحرارة يجف هذا الطوب سريعًا ويمسى صالحًا للبناء. وتقوم الجدران لارتفاع معلوم ثم تجهز لبناء السقف. والسقف هو أكثر ما يعتنى به من أجزاء البيت، ولذا فهو أكثر كلفة، وقد يقام على كمرين سميكين متينين من خشب السنط، وقد وضعا في الحائط على مسافة قدم ونصف أو قدمين، ويعارض فوقهما عدد من العيدان الرفيعة المرصوفة في تلاصق وتجاور، وتسمى الرصاص وتجلب عادة من غابات بعيدة. ويوضع فوق هذا الرصاص صفان من البروش المصنوعة من سعف النخل وفوق هذا يتم وضع ما يجعل السقف مانعًا للماء من التسرب إلى داخل الغرفة، وهو بناء طبقة ترابية بسمك عدة بوصات تدك جيدًا وتسطح. وبعد كل عاصفة رعدية ممطرة يشاهد المرء سكان الخرطوم منهمكين في إصلاح سقوف منازلهم. وغالبًا ما تكون سبلوكة تصريف الماء مسدودة، وفي هذه الحال تتجمع المياه في السقف في بركة وتتسرب إلى الداخل. وقد تتسبب في هدم البيت كله. ولقد حدث أن مات كثيرون بسبب انهيار سقف البيت...»^(٤).

«... والمنزل من الداخل يشبه خارجه. فالأرضية من تراب مكوك وتفرش بالحصير وتوضع عليها مساند للجلوس، وفيما ندر يجد المرء ما يزين الجدران الداخلية الترابية المسطحة، والتي تطلّى بالجير الأبيض في بعض المنازل والنوافذ فتحات عليها قضبان متقاربة أو متباعدة ومثلها الأبواب والتي لا يمكن إغلاقها إلا في بعض المنازل. ولا يرى المرء قفلاً أو تراباً أو أي شيء من الحديد، وحتى الأقفال الخشبية المصرية العادية قليلة ونادرة...»^(١٠).

كذلك أيضاً أشار إلى إيجار المنازل وما فيها من مشاكل حيث قال: «... وأسوأ ما في الخرطوم هو ما يعاينه القادم الجديد إليها من جهة السكن فعندما يستاجر الغريب منزله فإنه يعطى دائماً أسوأ بيت لأن المنازل الأفضل قد استأجرها من هم أطول إقامة منه، ومن ثمة عليه أن يقوم بتجهيز كل شيء، لأن صاحب البيت لا يقدم له أكثر من الحيطان الأربعة. عليه أولاً أن ينظفه من الداخل من الحشرات والهوام فكل الزوايا المعتمة تأويها في مواسم الأمطار العقارب والثعابين والسحالي القبيحة والزنابير وما هو أسوأ. وعلى المرء ألا يدخل أو يخرج من أي غرفة دون أن يحمل نوراً في الأمسيات لوجود هذه وخطرها. وقد وطئت قدمي ثعباناً ساماً للغاية في مدخل مظلم لكن لحسن الحظ كان منشغلاً بابتلاع طائر من السنونو كان قد قتلها. إن المرء يعتاد رؤية العناكب الضخمة والعقارب فيراعي الاحتياطات اللازمة لسلامته. أما الضب الذي يخرج ليلاً ويتجول ملتصقاً بأرجله على الحيطان أو السقف فهو ذو فائدة فعلية، ويرتاح المرء لما يصدره من صوت. وعلى النقيض منه تلك الحشرات التي تدخل وتسرح وتمرح في الغرف نهاراً كالذباب وليلاً كالبعوض فالنوافذ مشرعة لها، مما يجعل المرء يقاسي الأمرين نهاراً من الذباب وليلاً من الناموس دون أن يستطيع أن يفعل شيئاً...»^(١١).

3. المباني العامة:

كان في الخرطوم في تلك الفترة التي زارها عدد قليل من المباني العامة حيث أورد أن «... الخرطوم فقيرة من ناحية المباني العامة، وهي في الواقع تنحصر في منزل الحاكم العام ومدير أو محافظ الخرطوم والبازار والمستشفى العسكري، وهي مبان حكومية يحدد بناؤها مراراً. وهي تقى بأغراضها إلى حد كبير وإذا أراد المرء أن يضيف بعض المؤسسات الخاصة إلى المباني العامة يمكنه أن يعد الكنيسة القبطية والكنيسة الكاثوليكية والمدرسة المسيحية التابعة للكنيسة الكاثوليكية»^(١٢).

4. منزل الحاكم العام:

ومن المباني العامة والرئيسية والتي تعتبر معلماً مهماً كان هنالك مبنى الحاكم العام حيث أورد بریم «... ويقع بيت الحاكم العام في الجزء الشرقي من المدينة على ضفة النيل الأزرق مباشرة، وله ميدان واسع أمامه، لا اسم له يحمله، وفي زمن لطيف باشا (١٨٥٠-١٨٥٢م) ألحقت به إضافات وتحسينات وكان فيما مضى مثل بيوت الخرطوم مبنياً من الجالوص، أما الآن فإن جدرانه الأرضية من الطوب الأحمر، ويتكون من قاعة استقبال أو ديوان الباشا ومكاتب موظفيه وغرفات سكنى عماله والإرشيف وعدد من السجون وحرس قوي ومكان حريمه وتحيط به حديقة حسنة...»^(١٣).

وكذلك هنالك المستشفى العسكري «... وبفضل جهود الأطباء الأوربيين، فقد جهز المستشفى العسكري بشكل يرضي المرضى. غنابر المرضى عالية، نظيفة، متجددة الهواء، والعناية الطبية مرضية وقيام الأطباء بالعلاج حسن جداً إذ على الأقل انتهى زمن الدجالين ومدعيي الطب. ولكن لم يتم مع الأسف عزل القشلاق عن المستشفى، وهي مبانٍ فقيرة وقد خصصت لسكنى الجند المساكين وعوائلهم...»^(١٤).

5. السوق:

أيضاً من معالم مدينة الخرطوم في تلك الفترة سوقها «... وككل مدن المسلمين فإن السوق هو مركز المدينة الاجتماعي. ولذا رتب بعناية، وبه الجامع وعدد من البازارات وقد بنى الجامع من الطوب وهو حسن المنظر رغم بساطة بنائه، أما المئذنة فهي من اللبن وليس بها أي تزويق وبالقرب من الجامع صالتان مهمتان للبيع، وبين الصالتين يوجد سوق الرغيف، وهنا يجلس الخبازون المصريون تحت مظلات شمسية ضخمة، ويعرضون رغيف القمح بينما تبيع السودانيات الكسرة والقراصنة لأهل البلد، وتجاور سوق الرغيف أسواق اللبن والفاكهة والخضروات ووسطها تقوم المشنقة. والفظيح في الأمر أن الناس تغدو وتروح في شراء حاجياتها عندما يشنق إنسان، ولا يبدو أن الجنائنية أو بائعات السمن يكثرثون لذلك، ومن هنالك يعبر المرء من سوق العيش إلى سوق التبغ (التنباك) الذي يجاوره سوق السمن والعلف وتوجد الذرة والقمح مفروشة على الأرض الجرداء ويبيع التنباك في زقاق ضيق يملأ هواءه غبار التبغ الجاف، وفي سوق السمن يباع الودك المستخلص من شحم

البقر أو الغنم وهو يستخدم للدلكة ... وبيع القش اليابس والقصب وأعلاف أخرى»^(١٥).

6. الحقائق العامة:

وبالنسبة للحدائق والجنائن في الخرطوم فقد ذكر «... والحدائق القائمة على ضفة النيل الأزرق هي بهجة الخرطوم. فحضرتها الزاهية تسر الناظرين خاصة، حيث تحيط بالمدينة مساحات جرداء، وفاكحتها منتعشة مقارنة مع بعض أشجار أواسط إفريقيا التي لا تحمل ثمرًا، ويوجد بهذه الحدائق العنب والليمون والتين والتين الشوكي والموز والقشطة . أما أشجار النخيل فهي عند نهاية حدها الجنوبي وحتى إن كانت من النوع الجيد فهي ليست جيدة الثمر هنا»^(١٦).

7. سكان الخرطوم:

أورد بريم بعض القبائل والإثنيات التي كانت موجودة في الخرطوم في تلك الفترة حيث ذكر «تسكن الخرطوم عناصر مختلفة وإن لم تكن مختلطة كما في القاهرة ويمكن تقدير سكانها بحوالي ثلاثين ألف نسمة منهم قرابة الثلاثة آلاف من السود في الخدمة العسكرية، ونجد في الخرطوم الأتراك والأوروبيين والإغريق واليهود والقالا وأربعة أو خمسة أجناس من السود كالفور والشك والدينكا ومن تقلي وأعالى النيل الأزرق. وكان الترك الموجودون في شرق السودان ومصر محتقرين من أبناء بلدهم لتخليهم عن عاداتهم ولكنهم مع ذلك أرفع رتبة من وجهة نظر أخلاقية من الأوروبيين الموجودين بالخرطوم لأن الأخيرين باستثناء قلة هم حثالة شعوبهم. والإغريق واليهود هم كما هم في بقية أنحاء العالم، أما المصريون فقد احتفظوا بتقاليدهم وعاداتهم»^(١٧).

« ونقصد بالسودانيين كل الذين يعمرن أراضي النيلين الأزرق والأبيض وهم سمر في اللون وقبل قرون عديدة امتزج سكان السودان الأصليين -الفونج - مع الشعوب المحيط بهم ولذا فإن المرء لا يستطيع أن يتحدث عن عنصر خالص وفي الوقت الحاضر، يعتبر الأحباش المقيمون في السودان والنوبيون المهاجرون في عداد السودانيين. ويمكن تقسيم السكان إلى أهل مدن وقرى صغيرة وبدو رحل، من الرحل الحسانية وبنو جرار والكبابيش والبشارية والبقارة وآخرون وهم يختلفون في السمات الجسمانية والعادات والتقاليد بعض الاختلاف، لكنهم بحكم نوع الحياة التي يحيونها لا يمكن الخلط بينهم وسكان المدن والقرى

المستقرة. والسودانيون كلهم أحرار بالمولد ولا يجوز بيعهم كرقيق»⁽¹⁸⁾. ولكن من الأشياء المهمة التي أشار إليها بریم هنا هي عدم القدرة على الحديث عن عنصر عرقي خالص في الخرطوم في تلك الفترة، وهذه إشارة إلى التمازج والانصهار العرقي لهذه الإثنيات العرقية من زمن بعيد.

8. السمات الجسمانية :

أما من ناحية السمات الجسمانية فقد ذكر بریم « أن السودانيين عادة ذوي قامات مربعة أو طويلة، أقوىاء وبهم طاقة هائلة على التحمل أحياناً، ورجالهم أجمل من نسائهم »⁽¹⁹⁾.

9. ملابس الرجال:

من الأشياء التي لفتت انتباه بریم هي ملابس الرجال والنساء، وقد ذكر في وصفها «... فالرجال يلبسون السراويل الفضفاضة البيضاء التي تصل إلى الركبة أو أدنى ويسمون السروال «اللباس»، ويلبسون الفردة -الثوب- التي يبلغ طولها ستة عشر قدماً وعرضها أربعة أقدام وهي من القطن ورمادية اللون، وبها خطوط حمراء أو زرقاء في الحاشية، ويتعلون الصندل، ويغطون الرأس بالطاقيّة، وترى على الذراع الأيسر سكيناً بيّتها من الجلد مربوطة بسير من الجلد المظفور، كما يغلب أن يلبس الواحد منهم أكثر من حجاب في شكل أسطوانات من الجلد، ولا يخلع الرجل حجاباته أو سكينه وتستخدم السكين في الأغراض العادية أو للدفاع عن النفس كما أن الحجاب يجد منهم كل تقدير ويؤمنون بأن الآيات القرآنية المكتوبة في ورق الحجاب تحمي من أمراض كثيرة. ويلبس بعضهم المحفظة وهي من جلد ولحفظ النقود والأوراق المهمة وبها خمسة جيوب، وهي مشغولة وحسنة، كما يرى بعضهم يحمل السبحة ومحرّكاً حباتها دون تفكير بين أصابعه. وهم يلقون شعور رؤوسهم من حين إلى آخر، والموس التي تستخدم سيئة، وتشد على جلد المركوب -الصندل، ومن حين إلى آخر يشاهد المرء كظاهرة من زمن ماضٍ سحيق جماعة من البدو من جهة أتبرا أو داخل الجزيرة بشعورهم الطويلة التي ترتفع إلى ست بوصات، وتدهن بالودك، ويشكون فيها خالين من خشب أملس طول أحدهما تسع بوصات ومقابضها حسنة الشكل، ويستخدم هذا الخلال لجلب الراحة للرأس المليء بالقمل»⁽²⁰⁾.

10. وصف نساء الخرطوم وملابسهن:

أما وصف نساء الخرطوم وملابسهن فقد أشار إلى أنه «ويمكن وصف نساء الخرطوم بالقبح فهن يدقن شفاههن ويضعن عليها زرقعة على غرار نساء البادية وملابسهن بسيطة ولا تختلف إلا قليلاً من مكان إلى آخر... وملابس النساء بمثل بساطة ملابس الرجال فالصبايا يلبسن الرحط حتى يتزوجن، وهو مصنوع من مئات السيور الجلدية وموشى بأهداب كما بالودع وهو رمز إلى عذرية الفتاة، ويستبدل يوم زواجها بمئزر قطني، وتلبس المرأة الحجاب لا كالرجال على ذراعها بل تتركه يتدلى بسيور جلدية تحت المئزر، وتعتقد في قدرة الحجاب على حمايتها من أمراض عديدة وخاصة ضد العقم، كما يلبسن الفردة أيضاً ولكن بطريقة مختلفة عن الرجال. والفردة النسوية من قماش يختلف وهي من نسيج شفاف يبرق من تحته لون البشرة السمراء ويلف الجلد والجسد بها حتى القدمين ويبقى الوجه وحده مكشوفاً وينتعلن الصنادل ويلبسن زماماً من النحاس أو الفضة في الأنف، وكان من الذهب فيما مضى، ويبدو الوجه بهذا الزمام والشفة الموشومة منفراً للغاية ويود المرء لاعتبارات جمالية لو أن الوجه قد خلا منها. وكما في كل مكان آخر فإن النساء في السودان يبحثن عن كل ما هو بانخ، ولذا فإن الصندل النسائي مكلف أكثر من صندل الرجل، كما أن كوافيرهن، المشاط، مكلف جداً وتقوم به نسوة خبيرات به، ويستخدم في دهن الشعر الودك ومواد زكية الرائحة»^(٢١).

11. الاعتناء بالجسد:

وكان كل من الرجال والنساء يقومون بالعناية بأجسادهم وذلك عن طريقة المسوح واستخدام الدلكة حيث ذكر بريم « ويعتني الجنسان بالمسوح وتديلنك الجسم من حين إلى آخر لحماية الجلد من التشقق واليبوسة، وحفظه ليناً، وقد أكد لي الأطباء الأوربيين الذين قضوا وقتاً طويلاً بالسودان أن ترك الدلكة والمسوح يصيب الجسم بأمراض جلدية ويستخدم النوبيون والسود هذه الدلكة التي تكسب جلد السود لمعاناً وبريقاً لا مثيل له في أوروبا. إن نساء السود يكتسبن نعومة في الجلد بدرجة عالية لا تعرفها نساء أوروبا وكانت العادة قديماً في السودان أن تقوم إحدى الجوارى بتديلنك الضيف العزيز، والدلكة مثل دهن الرأس تأسن بعد حين وتصبح ذات رائحة مقبولة»^(٢٢).

12. الدين والتدين عند السوداني:

أما فيما يتعلق بالدين والمسائل الدينية «..ليس لديهم كمسلمين أي تشريع منصوص في الوقت الحاضر، فالقرآن عندهم هو الكل في الكل، إنه يعلمهم أن يستبينوا الحلال من الحرام، الخير والشر، ويحدد عقوبات المخالفات، وبه القوانين التي حكم بها محمد - صلى الله عليه وسلم- جنوده ورفاقه وتابعيه. ومما يؤسف له أن هذا الكتاب الديني الممتاز قليل التداول في السودان. ولهم جامع في بلادهم الشاشعة -الخرطوم، ولا يعرفون من دينهم إلا المسائل الأساسية وبشكل تقليدي. فهم مسلمون اسمًا دون معرفة بالشرعية أو فهم لها وحين يقومون ببعض الفروض يحسبون أنهم قد قاموا بالكثير..»^(٢٣).

13. الشخصية السودانية الإيجابية والسلبيات:

في تناوله لسلوك الشخصية السودانية أورد بریم العديد من المظاهر الإيجابية «.. تشبه شخصية السوداني المعاصرين شخصية نصف المتمدنين، ولكنها اكتسبت عبر ديانة ممتازة بالنسبة لظروفهم بعض الخصائص النبيلة. وعندما يأخذ المرء الجوانب المضيئة والمظلمة في حياتهم ويقابل بينها فإنه يستطيع أن يجزم بلا تردد أنهم في الأصل أناس خيرين، كرماء للضيف، يقدمون القرى للغريب بغض النظر عن فقرهم أو ثرائهم، فهم لا يدركون أنهم فقراء، ويعينون المحتاج ويطعمون الجائع. وهم يرعون العهد ولا يتنكرون لكلمة قطعوها وعدًا، ويرعون ما عهد إليهم من أمانة أكثر مما لو كان ملكًا لهم، ويحبون أطفالهم ويحترمون الوالدين، ويعتبرون حسن الضيافة من الواجبات المقدسة، ويقومون بها في حرص وصرامة»^(٢٤).

أما السلبية في السلوك السوداني «.. ولكن هناك السوداني الذي يكذب، ويخدع، ويسرق متى تمكن من ذلك وهو نهم للذة الحسية، وكسول، وأحمق، ولا يحب العمل، ومهمل. والسودانيون عمومًا مثل كل الشعوب الجنوبية متهورون وسريعو الهيجان، وما زالوا بالثقافة والعادة أبناء الطبيعة بالسليقة. وهم يشتلون غضبًا كالقش ويقومون بأي عمل دون تدبير، لكنهم يندمون على ذلك بعد وقت قصير. وكان القتل في الماضي أمرًا عاديًا، لكن الحكومة قد فرضت عقوبات صارمة حدث منه. وقبل الحكم التركي كان الثأر شيئًا عاديًا متفشيًا، وكان القتل والضرب المميت من الأمور اليومية. وكانوا يسوون أمورهم فيما بينهم. وما زالوا يفعلون حتى يومنا هذا عندما يرون أن الحكومة

لن تعرف. وما كان ملوكهم يهتمون كثيراً بخصوصيات رعيته الشخصية، ولذا يستغربون تدخل الحكومة الحالية فيها، فهي صغائر لا تخصهم في ظنهم... ينغمس السوداني في المذات الحسية، وهو خامل، كسول، مهمل، أحمق. وهو بسيط في ملبسه، مقل في صرفه على طعامه، مبذر في الصرف على فتيات الهوى، وهن في الغالب من الجواري اللائي اعتقن أو بناتهن، وهو كثير السكر بالمريسة»^(٢٥). لعل هذه الوصف فيه أسلوب انصافي واضح حيث التوازن ما بين الإيجابية والسلبية لسلوك الشخصية السودانية ولعل هذا الأمر مفقود في العديد من أدب الرحالة في السودان.

14. ختان الإناث:

أما بالنسبة إلى مسألة ختان أو خفاض البنات فقد ذكر بريم «... خفاض الفتاة فهو ليس شرعاً محمدياً وهم يمارسونه وغالباً ما تتم العملية الفظيعة والفتاة بنت خمس أو سبع سنين، وتأخذها النسوة العجائز ويجريين بموس خفض الأجزاء المعنية وبذا يلحقن بالفتاة ألماً فظيعة، وغالباً ما تظل الفتاة لمدة أربعة أسابيع ورجلاها مقيدتان معاً فوق العنقريب، قبل أن يبرأ جرحها. كما في ختان الأولاد الذكور تقام احتفالات كبيرة في ظهور البنات، وقبل أيام من العملية يؤخذ في الغناء والرقص والضوضاء والشرب حتى وقت متأخر من الليل، وتشرك بنت الطهور في كل ذلك وأثناء العملية يشد الاضطراب والضوضاء أضعافاً وتصبح الحفلة أكثر بذخاً ويرتفع دوي الدلوكة- الطبل- والزغاريد وربما كانوا يحاولون تغطية آلام الفتاة إذ بعد انتهاء العملية تنتهي هذه الفنتازيا ويصمت جميع المحتفلين»^(٢٦).

15. التبرير للسلوك السلبي للشخصية السودانية:

وبالرغم من كل السلبيات والإيجابيات في السلوك السوداني إلا أن بريم قد أورد بعض الاسباب خاصة الطقس والمناخ ومالها من تأثير في مثل هذه السلوكيات حيث قال « وسأحاول أن أقدم تبريراً ودفاعاً عن السوداني، وذلك بإلقاء اللائمة في كل هذه العيوب على طقس البلاد. ومن يستطيع أن ينكر أن للطقس أثراً كبيراً في تكوين العقل كما في تكوين الجسم وحتى القادم من جزء آخر من العالم يتأثر بهذا الطقس. والذي يعيش فترة في البلاد الحارة يدرك كيف يصبح أنشط الأوروبيين خاملاً، فالحرارة في الخرطوم في أيام السموم تبلغ ٤٠ درجة مئوية في الظل، فتشل الجسد، وهنا أكثر من أي مكان

آخر ينصح المرء بالقيام بالأعمال الذهنية الخفيفة، إذ إن المرء يصبح دونها خاملاً حتى يقعد في النهاية عن أي حركة ويهتم فقط براحته ومسكنه البارد. وبذا يعجل بنهايته. إن الأوروبي يعرف تأثير الجو الحار، ونتائج الترف الجسدي ومع ذلك فإنه نادرًا ما يتجنبهما، والسوداني أقل منه تجنبًا لهما، فهو يبالغ في فسقه وملذاته ولا يدري إنه بذلك يقصر أجله. أما كسله فهو نتيجة لعلاقاته، فهو عندما يعمل حقًا فإنما ذلك لتأمين احتياجات حياته وذويه، لكنه يحتاج القليل، وبلده مباركة الخصب والعطاء الأمر الذي يمكنه من توفير ما يريد دون عناء. فلماذا يشقى نفسه بالعمل؟ ولماذا يفعل ما لم يأمره به دينه؟. ودينه يسمح له بأن يستمتع بحياته بطريقته وأسلوبه، إذ يعلمه أن الله كريم وموته مكتوب وحياته قدر. ولذا فهو يعيش يومه دون هم. وفي النهاية يعمل السوداني قليلاً جدًّا، فهو يستلقي في داره في عنقريه الناعم يهنا براحته. وتبدأ حياته الفعلية مع غروب الشمس، لكنها ليست حياة عمل، بل حياة المتعة. فهو في نصف عريه يرقد في استرخاء وأمامه برمة المريسة الكبيرة يشرب منها بالقرع، ويتم كيفه إذا كانت تسقيه امرأة جميلة، ويقضي نصف الليل مع جميلته وبرمته، وقد أسكره الحب والمريسة، فلماذا يشغل نفسه بضوء النجوم في ليل الاستواء الصحو أو بالله ورسوله أو بالعمل وأربابه؟ إنه يحيا لنفسه وامراته ومريسته، والله كريم ويغفر للمذنب» (٢٧).

16. الطعام وتجهيزه وطريقة تناوله:

للطعام أهمية تتعدى كونه وسيلة لتغذية الجسم بغية الحياة، ولأن الطعام يرتبط أيضًا بالبيئة والاقتصاد وبالدين والمعتقدات الشعبية وربما بكافة مظاهر الحياة الإنسانية المادية والفكرية وعلى هذا الأساس يشكل مركبًا حضاريًا كما أن طهيه وأدب تقديمه وتناوله ماهي إلا مظاهر سلوكية فريدة اختص بها الإنسان وميزته عن الحيوان. ويمكن أن يزودنا الطعام بالكثير عن المعلومات والإيضاحات عن أوجه الحياة المختلفة من اقتصاد واجتماع وثقافة تلك المجتمعات (٢٨).

أما عن الطعام لدى سكان الخرطوم فقد أشار بریم إلى أن «... مأكلاً السودانيين بسيط للغاية. لكن تجهيزه يتطلب مجهودًا وعملاً كبيرين، ولذا فهو أشق أعباء النساء، ويستغرقن اليوم بأكمله والسبب هو الطريقة الصعبة لإعداد الخبز -الكسرة- وقبل ساعتين من وقت الأكل لا يكون من الكسرة غير الحبوب، ولا يعرف السودانيون المطحنة البسيطة التي يستعملها المصريون، بل

يستخدمون في سحن الغلال المرحاكة -الرحى- وأولادها كما يقولون، والمرحاكة قطعة من صخر الجرانيت مسطحة بانحدار نحو الوسط، تسحن عليها الذرة أو الدخن بعد أن تنقع في الماء باستخدام ابن المرحاكة باليدين. وتجثوا المرأة على ركبتيها للقيام بهذا العمل المضمني، وتمسك الحجر بكلتا يديها وبتحريكه لأعلى وأسفل تسحن الذرة وتبللها بالماء من حين لآخر، وتجمع العجين الخشن في فجوة في الأرض بها برمة من الفخار، ولا يكون هذا الطحين جاهزاً لصنع الكسرة إلا بعد إعادة سحنه مرتين أو ثلاث. ومع حرارة الجو، وتقاطر حبات العرق من الجسد في هذا الجو المداري تغنى الطاحنات أغنيات بسيطة مرتجلة لاتخلو من جمال. وتبرز عملية طحن الحبوب بالمرحاكة لصنع الكسرة جمال البناء الجسدي للصغيرات اللائي يقمن به»^(٢٩).

« ويحرص السودانيون علي وضع الكسرة في طبق مضافور من سعف النخيل وجريده وقصب القمح ومزين بكل الأشكال الفنية وله سير جلدي ويغطى بطبق آخر هرمي الشكل مصنوع من المواد نفسها وبذات القدر من الجمال. وكلاهما أية في الجمال، ويمكن اعتبارهما من أدوات البذخ وتبرع النساء وخاصة في كردفان و ود مدني في صناعة الأشياء المضافة»^(٣٠).

أما عن بعض أنواع الطعام فقد ذكر» ويندر أن تجهز طبخات من اللحم، أما الحمام والدجاج فيتم طبخه بنوع من الفلفل الأسباني الفطيع أو قليه بالسمن أو سلقه، ولا يحتمل الأوروبي أكل هذه الطيور المعدة بهذه الطريقة السودانية، بل يحسب أنه سيختنق أو يحترق إن فعل، وأنا نفسي لم أقدر على تناول القليل منها أو تذوقه فمن ناحية المقادير يجب أن يكون ثلث هذه الطبخة على الأقل من الشطة الأسبانية. وفي بعض المناسبات الخاصة يأكل السودانيون لحم الضان المسلوق في الماء دون أي بهارات حارة. وقد أولنى شيخ إحدى القرى بلحم ضان مشبع بالعسل وكان لذيذاً»^(٣١).

« والسودانيون كمسلمين لا يأكلون إلا اللحم الحلال الطاهر، أي من ذبيح قد سال دمه من رقبتة، أما ما يرمى بالرصاص من حيوان فلا يكون طاهراً، إلا إذا كان راميه قد تلا العبارات التي تحلل اللحم قبل أن يطلق رصاصه أو أن يذبح الحيوان بعد رميه مباشرة ويسيل دمه. وفي حال الذبح يضع الجزار المدية على عنق الحيوان ويردد باسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر ثلاث مرات ثم يشرع في الذبح سريعاً حتى يسيل الدم من عروق ورقبة الحيوان، ثم يسلك الذبيح ويوضع اللحم فوق الجلد المسلوخ ثم يفتح البطن ويخرج الأحشاء ويكسر اللحم إلى أجزاء صغيرة»^(٣٢).

أما طريقة تناول الطعام» ويستخدم السودانيون أيديهم في تناول طعامهم مثلهم في ذلك مثل كل الشعوب الشرقية، لكنهم لا يراعون أشياء معينة تجعل هذه الطريقة في الأكل مقبولة ومحتملة عند الأتراك، فالسوداني يتناول قطعة من الكسرة بثلاثة أصابع من يمناه ويغمسها في الصحن الذي أمامه ويملاً فمه بما وسعه من الطعام وبعد الفراغ من الأكل والذي يقوم به بأسرع ما يمكنه يمص كل إصبع بصوت مسموع ثم يغسل فمه ويديه ويحاول أن يتكرع بصوت مسموع ليعبر بذلك عن إعجابه بالطعام، ويوضع الصحن الوحيد الذي تتكون منه الوجبة على الأرض الجرداء أو على البرش ويجلس الناس حوله ويقضون عليه في نهم»^(٢٣).

17. كرم الضيافة:

الكرم علامته تقديم المأكولات والضيافة لا تكتمل إلا بطعام أو شراب^(٢٤) ولهذا تناول بریم بالذكر إحدى أهم وأقدم خصائص السلوك السوداني الأصيل ألا وهي كرم الضيافة حيث ذكر « وإذا توغلنا أكثر في الحياة اليومية السودانية وجدنا عادات جديرة بالاعتبار. فالسوداني إن أراد أن يكرم ضيفه بصورة خاصة ذبح شاة أو عنز إن كان معسرًا، وجهز له وليمة شهية. وهو يأكل عادة طعامه اليومي - العصيدة أو اللقمة - لكنه محب للضيف حتى أنه يعتبر يوم نزول الضيف أو الصديق عليه يوم عيد، ويقوم بكل ما في وسعه ليسعد ضيفه. وإذا كان قادرًا فإنه يقيم حفلًا ورقصًا أمام كوخه ويجمع جيرته. وحتى الغرباء يجدون ضيافة حسنة وطيبة من السوداني. وهو يقتسم ما لديه مع الحجاج الذين يقصدون مكة، فينتقلون من مكان لآخر، سائلين الناس العون في الطريق. ويعتقد السوداني أن الضيافة تمتد حتى ما وراء القبر. وقد حكى لي أن من يريد قضاء ليلة في المقابر لن يجد راحة إلا إذا اختار قبرًا ونام فوقه، أما إذا نام بين القبرين فإن الميتين يتجاذبان كل يريد استضافته لغيره ليقوم بفروض حسن الضيافة، فيقضي النائم الليلة يُدفع هنا وهناك دون أن ينعم براحة وتعذبه الأحلام المزعجة »^(٢٥).

18. الخمر « المريسة وأم بلبل » وأماكن بيعها:

أما الخمر أو المريسة « وهم في شربهم للخمر بنفس القدر من البداوة، ويذهب كلا الجنسين إلى قطاطي الخمر مؤتزرين قطعة من القماش فقط حول الردفين ولا يعرفون ما الذوق، فالرجل يرقد شبه عار في عنقريه ويجرع

مريسته في نهم، ولا يقوم حتى لقضاء أهم الحاجات وهو لا يعرف معنى الخجل بل يظل يشرب ما يستطيع ويبقى إلى النهاية مخمورًا فوق عنقريبه. والمريسة أو البلبل شراب مسكر يصنع من الذرة أو الدخن ويستهلك بكميات كبيرة في الخرطوم وهي تصنع في أماكن مخصصة وبطرق متعددة، وفي الخرطوم تبل الذرة وتوضع في مكان رطب بين أوراق العشر حتى تنبت قليلاً -تزرع- ولو قارنا المريسة بالبيرة عندنا فإن الذرة تقابل الشعير والعشر الخميرة. وبعد أن يتم تزييع الذرة تبعد أوراق العشر وتترك الذريعة لتجف تحت الشمس ثم تسحن على المرحاكة ثم يصب عليها الماء ويغلى في أوعية من الفخار، وعادة ما يترك ست أو ثماني ساعات على النار ثم يبرد في بطاء وتضاف الخميرة لذلك ويترك ليتخمر وما ينتج عن ذلك هو ما يعرف بالمريسة. وإذا تمت تصفيتهها بمصفى من جريد النخل وغلبيت للمرة الثانية تسمى بلبل وتضاف إليها الخميرة، وتترك ثم تشرب بعد ساعات قلائل من ذلك. ويتم توزيعها في برام مستديرة كبيرة سعة الواحدة منها حوالي ست أو ثماني زجاجات وتباع برمة البلبل في الخرطوم بقرشين، ولا تستخفن بهذا السعر الزهيد فالربح الناتج من صناعة البلبل هو ٣٠٠٪ أو ٤٠٠٪ من تكلفة صنعها. ومذاق البلبل حامض نوعاً ما لكنه غير منفر، وهي مسكرة وحتى الأوروبيين يحتسونها بكميات صغيرة ويستمتعون بها وهي تزيد من تبخر العرق، وهو مطلوب هنا للمحافظة على الصحة في هذه البلاد كما أنها مغذية جداً» (٣٦).

أما عن أماكن بيع الخمر أو البلبل في الخرطوم فقد ذكر بريم» وهناك خمارات خاصة لبيع البلبل في الخرطوم حيث يقابل المرء بنات الهوى أيضاً. كان الأغنياء والوجهاء في الخرطوم يستخدمون هذه الحانات للكسب الحرام وذلك قبل مجيء لطيف باشا، كانوا يشتررون عددًا من فتيات القالا الجميلات ويؤثثون لهم -دانقة- ويختلقون مسألة بيع البلبل ويحملون الفتيات على بيع الهوى ويفرضون عليهن مبلغاً شهرياً قد يصل إلى مائتي قرش من كسبهن الحرام، وهم يرون في هؤلاء الجواري مصدرًا للثراء الوفير وقد أبطل لطيف باشا كل ذلك في صرامة ويفرض عقوبة تصل إلى الجلد ألف سوط» (٣٧).

19. تدخين التبغ والتبّاك:

أما عن تدخين التبغ فقد ذكر « قليل من السودانيين يدخن التبغ، ولكنهم رجالاً ونساء يمشغونه دون استثناء وهم يختارون نوعاً ثويًا يخلطونه

بقدر من الرماد والعطرون ولا يرى الواحد منهم إلا وفمه محشو به رغم أنه يبدو منفراً بهذا الشكل»^(٣٨). ربما هنا نلاحظ أن بريرم قد خلط بين شيتين يبدوان له واحد أو قد يكونا في ذلك الزمان شيئاً واحداً ألا وهما التبغ الذي يتم تدخينه، والتبناك الذي يوضع في الفم اليوم، وليس يمضغ، وربما يكون في ذلك الزمان نوعاً منه يمضغ أو هنالك شيء ما يشبه القات كان يستخدم كأحد المكيفات لبعض سكان الخرطوم.

20. الأطفال:

أما عن ذكر الأطفال وحياتهم في الخرطوم في تلك الفترة فلقد ذكر بريرم بأن « أطفال السودانين مخلوقات مهملة بشكل فظيع، وحتى بلوغ السادسة يمشى الأولاد والبنات عراة وبعد ذلك يلبس الأولاد سراويل قصيرة وتلبس الفتيات الرحط، عندئذ يتم شلخ الوجه كما يفعل النوبيون بعدد من الشلوخ المتوازية والتي تعتبر آثارها نوعاً من التجميل للوجه ويبدو أن هذه العادة ماخوذة من النوبيين لكنها ليست عامة في كل مكان»^(٣٩).

21. الزواج:

أما الزواج في مدينة الخرطوم وما يتعلق به من مراسم وغيرها فقد ذكر بريرم « وعند زواج السوداني لا تقام احتفالات خاصة، إلا فيما ندر، فمتى بلغ الصبي عامه الخامس عشر أصبح عادة رجلاً وتكون الفتاة سالحة للزواج حين تبلغ الثالثة عشر، ولحسن الحظ لا يتبع السودانيون العادة المصرية السيئة حيث تزوج الفتاة في طفولتها بل يتركون للطبيعة مجراها حتى تكمل عملها دون تدخل من البشر. وعلى السوداني أيضاً أن يقدم مهراً يقل عمّا هو في مصر ويدفع عادة دفعات قد تستغرق بعض السنين، ويقوم فقيه بعقد القران في سرعة وسط تلاوة آيات من القرآن تتصل بالزواج»^(٤٠).
أما فيما يتعلق بالمهور «... مع أن المهر ضئيل في السودان فإنه يحدث في أحيان كثيرة أن يمتنع الأب عن الموافقة لزواج ابنته بقصد أن يرفع المهر، فالمسلمون في كثير من البلاد المسلمة ينظرون إلى الزواج كمعاملة تجارية، وليس بمستغرب أن يحاول المرء أن يستخلص منه كل ربح ممكن ولأن تعطيل بعض الزيجات قد يؤدي إلى نقص في عدد السكان. أقامت الحكومة في السودان مؤسستها الخاصة ... فالفتيات يرحن ويجئن دون حجاب كاشفات الأوجه ويمكن أن يوقدن نار الوجد في قلوب الشباب بجمالهن ولمساعدة الشباب للزواج من

الفتيات قبل أن يصبحن عانسات قبيحات غير قادرات على الإنجاب ابتدعت الحكومة التركية مكتب ناظر الزيجات وهو منصب أكتسب أهميته في السودان والناظر هنا شخصاً روجي يسافر متنقلاً في كل أنحاء السودان من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى، ويستخبر عن القادرين على الزواج والراغبين فيه وهو يسأل البنات إن كن يرغبن في الزواج، فإن أجبن بنعم زوجهن للفتى المحبوب بالحسنى أو القوة، وهو الذي يقرر المهر وله مساعد عليه أن يعيد إلى الآباء المعاندين صوابهم، ويجمع أتعاب الناظر ويقوم إجمالاً كمساعد دنيوي له. ويندر أن يقترن السوداني بأكثر من حليلة واحدة في نفس الوقت لكنه يحب التغيير في علاقاته الزوجية ولذا فهو يطلق امرأته دون سبب حقيقي في الغالب وهذا حق له في الشريعة، وعندما تكون لديه جواري فإنه يرفعهن إلى مرتبة الحريم، ويعامل أطفالهن معاملة أطفال نساء الشرعيات، وأحياناً تفر زوجاته إلى ذويهن إن أساء معاملتهن، وهنا يسرح حماره ويلحق بزوجه النافرة ويعيدها بالقوة إلى بيته، ويؤدبها لكنه في الغالب يدخل في مشاحنات وخصومات جدية مع أقربائها، وإن كانت المرأة ابتعدت عنه دون سبب وجيه وبختها صديقاتها وقرعتها وربما ضربنها وأعادنها فوراً إلى زوجها»^(٤١).

22. الموت:

أما عن الموت فقد ذكر « عندما يسقط السوداني فريسة للمرض ويخشى دون أجله، فإن أصدقاءه وجيرانه يجتمعون في داره يزينون له مباهج الجنة، ويأخذون شهادته ويرددون الشهادة -لا إله إلا الله ومحمد رسول الله-، فيردد المريض أو المحتضر وعندما يصدر عنه ذلك يوقن كل من سمع زفراته الأخيرة أنه مات مسلماً حسن الإسلام، وحالما يغمض جفنه بعد موته ينطلق عويل النسوة في داره منبهاً عن موته، ولدى سماع صراخ النعي يهرع الجيران إلى بيت البكاء ويغسل الميت ويكفن والكفن قطعة طويلة من القماش من القطن الصافي، ويمكن لأفقر الناس أن يشتريه أو يحصل عليه لقريبه الميت من أهل البر من مواطنيه، ولن يبخلوا به عليه، وإذا كانت الوفاة صباحاً يتم الدفن في نفس اليوم، أما إذا كانت مساءً أو ليلاً فيدفن في صباح اليوم التالي»^(٤٢).

أما عن طريقة دفن الموتى « ويتم الدفن وفقاً للتعاليم الإسلامية، فالمقابر في الخلاء بعيدة عن أماكن السكنى، وهناك يُحفر القبر بعمق ثلاثة أو أربعة أقدام وفي مكان عالٍ في الأغلب، ويحمل الجسد الملفوف فوق عنقريب

إلى المقابر، يحمله عدد كبير من المشيعين، الرجال يغنون والنسوة يعولن، ويوضع الميت في القبر بحيث يكون الوجه مستقبلاً مكة والكعبة»^(٤٣).

23. الأسلحة:

كانت الأسلحة أحد العناصر المهمة للشخصية السودانية على مدار تاريخها أما في الخرطوم حينما زارها بريمر فقد ذكر أنه « حتى عام ١٨٥٠ م كان الرجل منهم يحمل رمحين طول الواحد منهما ثمانية أقدام ويستخدمهما دفاعاً وهجومًا، وقد منع لطيف باشا ذلك، لكنه استثنى البدو، وبذا حد من حوادث القتل العديدة ولكن صورة السوداني فقدت كثيراً من أصالتها وتفرد شخصيتها»^(٤٤). وأشار أيضاً «... وفي بعض البيوت يرى المرء أسلحة محلية كالحرية والدرقة -الدرع- المصنوعة من جلد الغزال أو التمساح والسكين والسيف الطويل ذي الحدين الذي يحمله الوجهاء والرؤساء ومرشدو القوافل، كما يحمل البعض هراوات من خشب الأبنوس وهي من أسلحة أهالي النيل الأزرق، أما السلاح الناري فيندر أن يحمله غير الذين قطعوا المسافات الطويلة سفيراً ورأوا بلاداً أكثر تحضراً واتخذوا عاداتهم»^(٤٥).

24. النظام الإداري والقضاء :

بالنسبة إلى النظام الإداري في السودان في تلك الفترة فقد ذكر « الخرطوم هي مقر الباشا الذي بعثته الحكومة المصرية لإدارة السودان الشرقي.. يغير الحاكم كل ثلاث سنوات في زمن السلم ويعود إلى مصر... ليأخذ منصبه السابق أو منصب أفضل ويسمى باشا السودان حكمدار السودان وهو أعلى سلطة في البلاد ويده حق إعلان الحرب وإقرار السلام، وهو القائد الأعلى للجيش. إما عن بقية الموظفين بالسودان فهم تحت امرته، وهناك مدير لكل مديرية يحمل لقب ورتبة بيه، وله عدد من الكشاف هم رؤساء مراكز وتحتهم رؤساء مناطق باسم قائمقام ولكل هؤلاء رتبة عسكرية وإلى جانب ذلك هناك في كل قرية شيخ بلد - العمدة - ويجلس القاضي المدني مع القاضي الشرعي بنفس الطريقة كما في باقي البلاد المحمدية. والسودان في دستوره الراهن دولة عسكرية وكل القائمين بالأمر في المديرية أو القرى من الباشا إلى القائمقام هم في الجيش الحالي رتبة ومكانة.... أما قادة الجيش فهم أتراك أو كانوا عبيد أتراك عتقوا وجيء بهم إلى هنا وهم الشركس وأهالي جورجيا والقوقازيين»^(٤٦). أما القضاء والمحاكمات والشكاوي فقد أشار « القضاء هنا جزئي وتتم

المداوات باللغة العربية - والديوان - صالة المحكمة الخاص بالموظف المسؤول مفتوح للجميع ويمكن لأفقر الناس وأضعهم أن يدخل متى شاء ويجب كتابة عرض حال في ورق مختوم يرفع إلى القاضي والذي يكتب حكمه في نفس الورقة ويتخذ القاضي قراره بعد مراجعة الطرف الثاني، وهو غالبًا ما يقضي بأحكام الشريعة أو تقديره الخاص. وقد وضع لطيف باشا صندوقًا في باب الحكمارية لكي توضع فيه الشكاوى والالتماسات ومن ساعة إلى أخرى ينظر ما به من شكاوى ويقضي في أمرها في ظرف أربع وعشرين ساعة. ويقوم الأقباط بخدمة الحكام ككتابة ومحاسبين أما المسائل البوليسية فهي من اختصاص الجيش المسؤول عن مشاكل الأمن والسلام، والخدمات كالعمل الإجباري والبريد وخدمات أخرى... وفي وقت مضى كان بالسودان عدد من الأسلحة المختلفة، الأرنأؤوط والمغاربة والشايقية.. لكن المغاربة والشايقية قد حلت وحدتاهما الآن، وهذه الأسلحة لا تختلف في سلاحها فحسب، بل في ألوانها أيضاً فالارنأؤوط بيض والمغاربة صفر والشايقية سود»^(٤٧). ١٣١.

25. التجارة والنشاط الاقتصادي:

فيما يتعلق بالتجارة والنشاط الاقتصادي في الخرطوم في تلك الفترة فقد ذكر بريم» تشكل التجارة أهم حرفة في السودان رغم أنها لم تصبح حرة إلا منذ عام ١٨٥٠م، وفيما سبق كانت كل المواد الرئيسية للتجارة تحت احتكار الحكومة وكانوا يشتركون المحاصيل السودانية - وأرجو أن لا يساء فهمي هنا- وسن الفيل والصمغ العربي والتمر هندي إلخ بأسعار زهيدة وكسداد للضرائب المفروضة ثم تباع هذه المواد في مصر بربح هائل، ولكن الاحتكار قد رفع الآن ومع ذلك ما زالت الحكومة تشارك في تجارة البلاد وتجارة الرقيق حكرًا لها وتتم على أيديها... وللتجارة في الخرطوم أهميتها وتعكس الموقع الممتاز للمدينة فهي على ملتقى نهريين هما شرايين قلب إفريقيا، مما جعل المدينة نشطة بالحركة التجارية. إن النهر في إفريقيا يعني التجارة أكثر مما يعنيه في أوروبا حيث الطرق الحديدية ووسائل المواصلات الأخرى... ولقد تم نمو الخرطوم سريعًا بفضل التجارة وأصبحت بذلك أهم مدينة تجارية بالسودان مثلما هي عاصمته، ومحلاتها التجارية هي أغنى مخازن البضاعة في وسط إفريقيا»^(٤٨).

أما عن بعض نماذج المحاصيل والمنتجات فقد ذكر» ومن المحاصيل والمنتجات هناك العاج والأبنوس وريش النعام والصمغ العربي والخروع

والسنامكة والتمر هندي والنيلة والبن من الحبشة والعسل والتبغ من سنار وجلود النمر من دارفور. وهناك الرقيق من الحبشة وقيسان وتقلي ودارفور، والجمال من عرب البشاريين والخيول من الكبابيش ومن دارفور، والأبقار والأغنام والضأن من مختلف القبائل البدو الرحل، والذرة والدخن من أعالي النيل الأزرق وكردفان، والمصنوعات الجلدية من واد مدني... إلخ وعبر الأوروبيين يجد المرء أحياناً أشياء غير مألوفة في الحوانيت، منها على سبيل المثال الشمبانيا والنيبيذ الفرنسي الأحمر وحتى النبيذ الأبيض. وهناك خمر كالفيرموث التي صارت منذ زمن شراب الأوروبيين والأترك، وفي عام ١٨٥١م وجدت ولاعات من الشمع في يد أحد السودانيين، وكان مغتبطاً بها، ويكثر الغش في حالة البضائع الأوروبية فالساعات المطلية بالذهب تباع باعتبارها ساعات من الذهب الخالص وبالطبع فإن الذين يقومون بالغش في هذه الحالات هم الأوروبيون»^(٤٩).

26. البريد:

أما عن البريد والمراسلات فنجدته قد ذكر « وللحكومة طريقان فقط للبريد أحدهما من الخرطوم إلى القاهرة، والآخر من الخرطوم إلى الأبيض. وقد حسنهما لطيف باشا بحيث أصبح الجواب يصل من الخرطوم إلى القاهرة في بحر ٢٥ يوماً. وما أعنيه بتحسين البريد ليس بناء طريق، إذ ليس هناك طرق بهذا المعنى في إفريقيا، وإنما قصدت تنظيم وضبط مواعيد عمال البريد. ويقوم من الخرطوم أسبوعياً اثنان من الهجانة يومي الثلاثاء والجمعة بالبريد إلى مصر، ويبلغان بربر المخيرف في خمسة أيام ثم بعد ١٢ أو بعد ثلاثة عشر يوماً يبلغان كورسكو وبعد ١٦ أو ١٨ إلى أسوان حيث يسلمون البريد والرسائل ويمنح رجال البريد راحة كل يومين ويستخدمون إبل بشارية سريعة وهذا النظام بالمقارنة مع أواسط إفريقيا يستحق الإشادة وأن شخصياً لم أفقد أي بريد خاص بي »^(٥٠).

27. حالة الطقس:

أما عن حالة الطقس في الخرطوم فنجد أنه أشار إلى « أن طقس الخرطوم من أهدأ أنواع الطقس بالنسبة للصحة، وتقول الإحصائيات أن ٨٠٪ من الأوروبيين الذين يضطرون للإقامة سنوات عديدة متصلة بالسودان يموتون أثناء تلك الإقامة. إن موقع المدينة نفسه بين نهريين يغمرون الشواطئ بالماء زمن الأمطار، هو بالنسبة لنا في أوروبا دليل على عدم مناسبته للصحة ونسبة

الوفيات في المدينة أكثر من أي مدينة في مثل موقع الخرطوم في أوروبا. إن طقس السودان ضار بصحة الإنسان وحتى الأهالي السود يعانون منه معاناة البيض. ويمكن تقسيم مواسم السودان إلى موسمين، موسم الجفاف وموسم الأمطار، وليس بينهما أي موسم انتقالي، فالواحد منهما يتبع الآخر فجأة، والخريف هو موسم الأمطار عند العرب ويبدأ في يونيو أو يوليو ويستمر حتى أكتوبر وتكثر الأمطار في الجنوب عنها في الشمال ويبث الخريف الحياة في كل شيء فهو يكسو الخلاء الجاف المحترق بكساء جديد غني بالزهور. في شهر مارس وإبريل عندما ترسل الشمس عمودياً على السودان وتكاد أن تبلغ ذروة حرارتها تبدأ الرياح الجنوبية في الهبوب بشكل قوي ومتصل وكانت الرياح قبل ذلك شمالية وتزيد هذه الرياح الجنوبية الحرارة وتصبح ذات طبيعة كهربية يضيق معها تنفس الإنسان وتخيف الحيوان وتجفله، وهي الرياح المشبعة بالسموم في الصحراء... في منتصف شهر أغسطس يبلغ النيل الأزرق أعلى منسوب له ثم يبدأ في الانخفاض شيئاً فشيئاً حتى يكتمل انخفاضه في فبراير، أما النيل الأبيض فإنه يبلغ أعلى منسوب له في شهر أغسطس وفي هذا الوقت من السنة يكون منظر مقرن النيلين بديعاً، تكون صفحة الماء ظاهرة أمام الناظر من مسافة نصف ميل وتغطي المياه كل الأراضي المزروعة الواقعة بين الخرطوم والنهرين ولا يرى من الجزيرة الواقعة بين النهرين سوى الأشجار المغطاة بكل أنواع الطيور»^(٥١).

28. الأمراض:

أما عن الأمراض التي كانت سائدة في الخرطوم فقد أشار إلى أنه «...فقط عند نهاية الخريف حين تجف الأرض تحت وطأة الشمس المحرقة وتتصاعد الأبخرة السامة النتنة تنشط الأمراض وتشتد ولا ينجو منها إلا قلة من الأجانب ويعاني منها السودانيون... ويقيني أنهم يشقون بالأمراض أكثر لأنهم لا يسارعون إلى العلاج قبل بداية المرض. ونسبة الوفيات بين الأهالي في شهري سبتمبر وأكتوبر عالية جداً، ولكن إيمانهم بالمقدور والمحتوم هو الذي يمنحهم الشجاعة والجلد على الحياة عندما يطغى عليهم المرض»^(٥٢). ومن أمثلة الأمراض نجد الحمى الراجعة حيث أشار «ومن أمراضهم الحمى الراجعة وهي نوع من الملاريا الخفيفة وليست خطيرة إذا وجد المرء العناية الطبية، ولكنها تضعف البدن في وقت وجيز حتى يعجز المرء عن الحركة

والعمل ويسبقها ضيق في الصدر وخوف وصداع متكرر ثم يتبع ذلك برد شديد وتقلصات في كل أعضاء الجسم وغثيان وسخونة جافة، ويصبح وجه المريض مصفرًا أثناء شعوره بالبرد، وتصكك الأسنان ويحمر اللسان ويطغى النزوع إلى التقيؤ، ويصاب المريض بظمًا حاد ولكن الأمعاء ترفض الماء مع تقلصات حادة في عضلات البطن ويصبح الجسم واهنًا وفاقدًا للإحساس فيدخل المريض في غيبوبة وهلوسة ولا يمكن أن يظل باقياً في مكان واحد ويعاني في أغلب الأحيان من انتفاخ وغازات وتصيب هذه الحمى أقوى الناس لكنها تقل بين النساء منها بين الرجال، وبعد زمن يطول أو يقصر تجف السخونة الجافة ويتفصد العرق من كل مسامات الجسد وكلما كثر كان أفضل ويحس المصاب براحة عظيمة، لكنه يحس أيضاً بفتور شديد ثم يبدأ حاله في التحسن»^(٥٣). وأشار كذلك إلى حمى سنار حيث ذكر « وأشد الحميات فتكًا بالأوروبيين هي حمى سنار ولأن البحوث عنها قليلة فإن أفضل الأطباء في السودان الشرقي لا يعرفون عنها الكثير وأعراضها الصداع الفظيع المتكرر وبيوسة الجلد والهذيان والتقيؤ والتشنجات الحادة ثم ينتهي الأمر في اليوم الثالث بموت المريض وعادة ما تنتشر حمى سنار في نهاية موسم الأمطار وتتخذ شكلاً وبائياً في بعض الأحيان فتفتك بأهل مكان الوباء »^(٥٤).

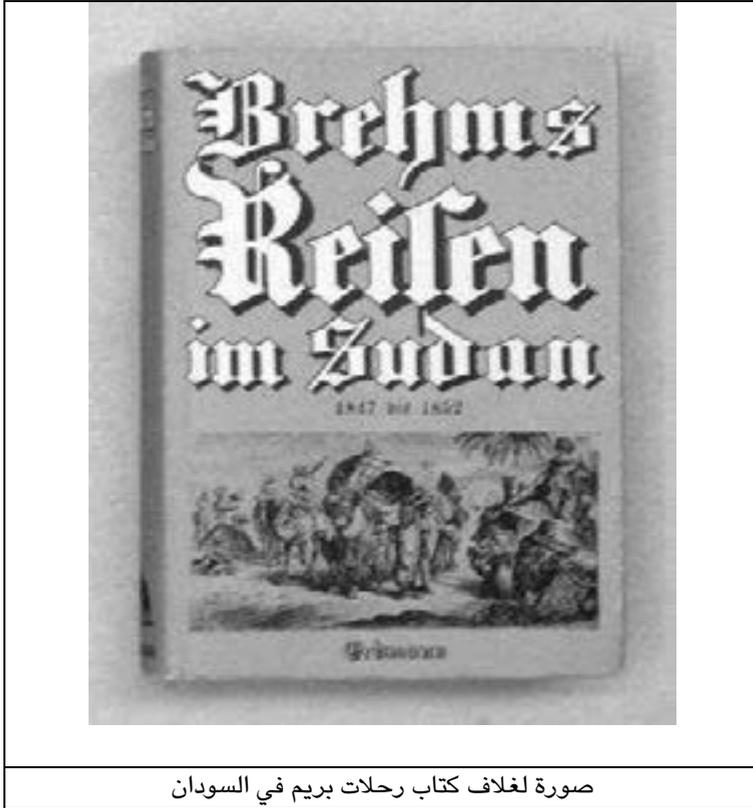
أما الكوليرا والدوسنتاريا وضربة الشمس والسيلان فقد ذكر « وهناك الكوليرا وإن كانت نادرة في السودان ويطلقون عليها اسم الهواء الأصفر ويخشونها للغاية. وهناك الدوسنتاريا وإن لم تكن بنفس القدر من التفشي كما في مصر لكنها أقوى وتنتهي بموت المصاب. وضربة الشمس في السودان رغم ندرتها أخطر مما عليه في مصر ويحدث أن يشكو أشد الناس صحة من الصداع في الرأس ثم بعد دقائق معدودات يفقد وعيه ويغمى عليه ويموت بانفخار الشرايين. ويقال إن السيلان قد دخل السودان مع الجنود الأتراك. ويندر أن يرى المرء مشلولاً بين السودانيين إلا مقعداً، كما أن كل العلل والأمراض الجسدية المرتبطة بالعيش الناعم المترف للشعوب المتحضرة تنتفي في السودان»^(٥٥).

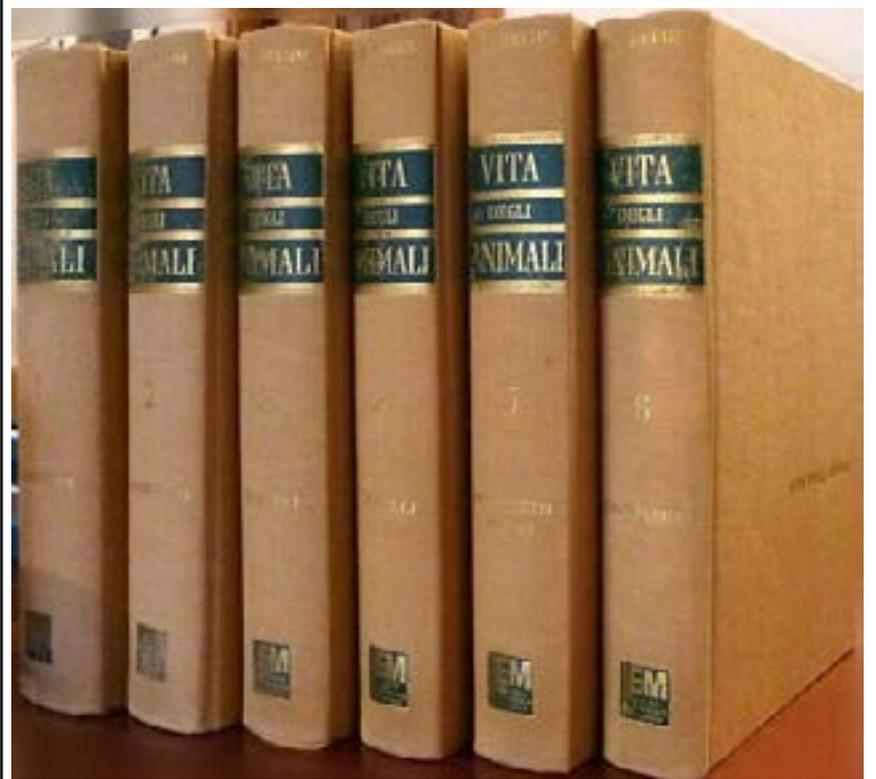
الخاتمة:

ما زال الحديث فيأضاً عمّا أوردها الفريد إدموند بريم عن السودان والخرطوم، وما هذه إلا إشارات بسيطة لما ذكره عن مدينة الخرطوم وسكانها وطقسها وأمراضها، فالكتاب بلا شك قيم جدًّا وبه مادة علمية غزيرة في ضروب علوم كثيرة منها الآثار والعلوم الطبيعية والأثنوغرافيا وغيرها. ومن مجمل الحديث عن الفريد إدموند بريم وتجواله في السودان وعن تعليقاته في كتابه « رحلة بريم في السودان » نستطيع أن نقول إنه مراقب دقيق لأدق الأمور التي شاهدها وعاشها هنالك، وملاحظ أنه فطن لأبسط العلامات والإشارات والتصرفات والأحوال، وما كان يلفت انتباهه من سلوك سكان البلاد، والكوارث التي واجهها واحدة تلو أخرى، بدءًا بالمرض الذي ما يكاد يُشفى منه حتى يقع به ثانية وثالثة، ثم موت أخوه أوسكار الذي كان برفقته، والطقس... إلخ. ورغم هذا وتلك من المصاعب والعذابات فقد أنجز بريم من وراء رحلته إلى السودان عملاً في علم الحيوان جديرًا بالتأمل والتقدير، وهو ما زال يُشكر على ذلك الجهد ومجابهة الأخطار حتى الآن في أوروبا وغيرها، وما زال قيد الاعتبار وأساسًا لدراسات عديدة في مجال العلوم الطبيعية، أما رحلته ورغم ما يعترها من مشكلات التخلف في فهم الآخر والصمت أقله عن النزعة الاستعمارية، إلا أنها تعبر بحق عن قطعة أدبية صادقة^(٥٦). ولعل في الختام نورد بعض المقتطفات لما أورده بريم كمقدمة لليومياته «... إن إفادتي هذه صادرة عن شخص كاد أن يكون مواطنًا لشمال شرق إفريقيا، ويمنح جنسيتها ففي فترة إقامتي الطويلة في تلك البلاد، تعلمت أن أحتمل الصعاب التي تبدو للوهلة الأولى غير محتملة على الإطلاق، وتعلمت كيف أحترم شعبًا لا يرى الغريب العجل إمكانية عقد صداقة معهم، ووقفت على سحر وجاذبية أماكن هي للغريب مواطن رعب، وكل مشقة احتملتها وكل غم خبرته سجلته دونما تخفيف أو تغيير، لكنني حاولت جهدي أن أصور بدقة متناهية وأمانة كل ما هو رفيع حقًا، فإن تحدثت عن عيوب ومثالب أهل إفريقيا فإنني لم أحجب شمائلهم... أما الغرض الوحيد الذي جهدت لبلوغه من وراء عملي هذا فهو توخي الحقيقة كاملة في ما أرويه وربما أكون قد أخطأت هنا أو هناك لأن اعتمادي على تصوراتي ورؤيتي الشخصية قد يكون خدعني، لكنني لم أورد أبدًا ما يجافي الحقيقة، ولذا فإنني أزكي هذا العمل لمشاركة الناس فيه وهو خالٍ من البريق والتزويق...»^(٥٧). ولعل يبدو واضحًا من هذه المقدمة

التي أوردتها برريم مدى تجرده وأمانته وتوخيهِ الحذر فيما يكتب أو يورد عن السودان وأهله، ويحمل ما كتبه عن السودان بين طياته مصداقية الرواية عن تلك الفترة من تاريخ السودان، ولكن بالرغم من ذلك يظل الحاكم لنا في البحث العلمي هو التقصي وإبراز الحقيقة والتي بلا شك ليست ولن تكون مطلقة نابعة من مصدر واحد، ومن دون تعظيم أو تكذيب للرحالة دون الآخر، إن ما أوردته برريم عن الخرطوم وعن السودان يظل يحمل نوعاً من التكريم والاحترام للسودانيين وسلوكياتهم الإيجابية ومحاولة إيجاد تبرير لتلك السلبية منها. وهو بلا شك يظل مرجعاً لا غنى عنه ويحمل الصدق بين صفحاته ما لم تأتِ بينة أخرى تثبت العكس فيما أوردته.

ملاحق





أحد مؤلفات الفريد إدموند بريم حياة الحيوان

الهوامش:

- (1) فهيم، حسين محمد (١٩٨٩). أدب الرحلات. سلسلة عالم المعرفة ١٣٨. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- (2) آل عواد، فؤاد (٢٠٠٦م). السودان والرحالة الالمان رحلة الفريد آدموند بريم العلمية ١٨٤٧-١٨٥٢م. في السودان وأفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب أكتشاف الذات والآخر، أبحاث ندوة الرحالة الغرب والمسلمين دورة أين حوقل الخرطوم فبراير ٢٠٠٦. دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الطبعة الأولى ص ٤١١-٤٢٥.
- (3) آل عواد، المرجع السابق، ص ٤١٢-٤١٣.
- (4) آل عواد، مرجع سابق، ص ٤١٣.
- (5) بريم، الفريد آدموند (٢٠١٠م). رحلة بريم في السودان. ترجمة النور عثمان أبكر. دار مدارك للنشر، الخرطوم.
- (6) بريم، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١.
- (7) بريم، مرجع سابق، ص ١١١.
- (8) بريم، مرجع سابق، ص ١١١.
- (9) بريم، مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.
- (10) بريم، مرجع سابق، ص ١١٢.
- (11) بريم، مرجع سابق، ص ١١٢-١١٣.
- (12) بريم، مرجع سابق، ص ١١٣.
- (13) بريم، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٤.
- (14) بريم، مرجع سابق، ص ١١٤.
- (15) بريم، مرجع سابق، ص ١١٤-١١٥.
- (16) بريم، مرجع سابق، ص ١١٥.
- (17) بريم، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦.
- (18) بريم، مرجع سابق، ص ١١٦.
- (19) بريم، مرجع سابق، ص ١١٦.
- (20) بريم، مرجع سابق، ص ١١٦-١١٧.
- (21) بريم، مرجع سابق، ص ١١٨.
- (22) بريم، مرجع سابق، ص ١١٨.
- (23) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٠.
- (24) بريم، مرجع سابق، ص ١١٩.
- (25) بريم، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.
- (26) بريم، مرجع سابق، ص ١٢٢.

- (27) برريم، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.
- (28) فهيم، مرجع سابق، ص ١٤٣.
- (29) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.
- (30) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٦.
- (31) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٦.
- (32) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٧.
- (33) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٧.
- (34) فهيم، مرجع سابق، ص ٣٤.
- (35) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٥.
- (36) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٨.
- (37) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٢٩.
- (38) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٩.
- (39) برريم، مرجع سابق، ص ١٣٠.
- (40) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.
- (41) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.
- (42) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٤.
- (43) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٤.
- (44) برريم، مرجع سابق، ص ١١٧.
- (45) برريم، مرجع سابق، ص ١٢٩.
- (46) برريم، مرجع سابق، ص ١٣٠-١٣١.
- (47) برريم، مرجع سابق، ص ١٣١.
- (48) برريم، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.
- (49) برريم، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.
- (50) برريم، مرجع سابق، ص ١٣٧.
- (51) برريم، مرجع سابق، ص ١٣٨، ١٤١-١٤٢.
- (52) برريم، مرجع سابق، ص ١٤٢.
- (53) برريم، مرجع سابق، ص ١٤٢-١٤٣.
- (54) برريم، مرجع سابق، ص ١٤٣.
- (55) برريم، مرجع سابق، ص ١٤٣.
- (56) آل عواد، مرجع سابق، ص ٤٢٤-٤٤٥.
- (57) برريم، مرجع سابق، ص ٩-١٠.

تاريخ مدينة الأبيض

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
كلية العلوم الإنسانية - جامعة بحري

د. عبد العزيز محمد موسى إسحق

المستخلص:

هذا البحث نتاج لزيارة ميدانية أكاديمية إلى مدينة الأبيض والبحث في أضاير دار الوثائق القومية ومكتبة جامعة القاهرة في جمهورية مصر والاطلاع على بعض الرسائل الجامعية. ويتناول هذا البحث مدينة الأبيض حاضرة إقليم كردفان من عدة زوايا أساسية السكان والموقع وسبب التسمية والمناخ وطرق النقل والمواصلات والأسواق وغيرها من الموضوعات المرتبطة بهذه المدينة. ويلاحظ المطلع كثرة الصور عن الأبيض وهي من تصوير الباحث.

الكلمات المفتاحية: الأبيض، شيكان، المياه، النشاط الاقتصادي.

Abstract:

This research is the result of an academic field visit to the city of El-Obeid, research in the files of the National Archives and Cairo University Library in the Republic of Egypt, and review of some university theses. This research deals with the city of El-Obeid, the capital of the Kordofan region, from several basic angles: population, location, reason for its name, climate, modes of transport, transportation, markets, and other issues related to this city. The informant notes the large number of photos of Al-Abyad, which are from the researcher's photo.

Keywords: white, Shikan, water, economic activity.

المقدمة:

تعود نشأة المدن السودانية إلى الفترة الحديثة ، خلال القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي وما تلاه، تطور معظمها من قري صغيرة إلى ان اصلحت مدن بالمفهوم السائد. اما بالنسبة لمدينة الابيض ليس هناك تاريخ محدد لنشأتها ولكن كانت هناك مجموعة قرى قريبة من بعضها في منخفض ساعد على جمع المياه حولها ونمو الأشجار.

سبب تسمية الأبيض يرجع إلى الرواية التي تقول بأنه كانت هناك امرأة اسمها (غفورة) تسكن في وسط المنخفض، وكانت تملك حمارًا أبيض، ولم تملك شيئاً تقعات به سوى إحسان المسافرين وعندما يقتربون منها (أبيض غفورة لا بلاد لا ممطورة) إشارة إلى فقر المنطقة وجدها.⁽¹⁾

ونفس هذه الرواية سبب تسمية المدينة وتسرد بطرق مختلفة، إذ إن سكان القرى المجاورة لمدينة الأبيض الحالية كانوا بماشيتهم ودوابهم العنان بحثًا عن الكلاً الذي ينبت في الفضاء الممتد حول هذه القرى وحول المستنقعات والمنخفضات التي يتجمع فيها الماء الأسن من بقايا موسم الأمطار، وكانت تسكن في إحدى هذه القرى امرأة عجوز تمتلك حمارًا أبيض تطلقه بحثًا عن قوته وشربه في تلك المنطقة، وفي إحدى المرات طال غياب حمارها، وعند رجوعه لاحظت بأن أرجل حمارها ملطخة بالطين الممزوج بالعشب الأخضر وتبعث المرأة حمارها إلى أن وصل المنطقة التي كان بها ماء

وتنبت على أطرافه الأشجار الكثيفة وعند رجوعها إلى قريتها أنبأت سكانها بما رأته، فرحل سكان القرية إلى ذلك الموقع الجديد وأقاموا فيه أكوأهم وكان مولد مدينة الأبيض الحالية التي أخذت اسمها من لون الحمار الأبيض، ثم تبعهم بقية سكان القرى المجاورة وكانوا يقولون: (نحن نذهبون لنسكن في مورد الحمار الأبيض⁽²⁾). وهناك رواية أخرى تشير إلى أن اسم المدينة يرجع إلى اسم المجرى المائي الذي يقع جنوب المدينة المسمى بالخور الأبيض، إلا أن الرواية الأولى أكثر تداولاً بين الناس⁽³⁾.

تقع مدينة الأبيض على دائرة 11° / 13° شمالاً وخط الطول 14° / 30° شرقاً، ويصل ارتفاعها إلى 1900 قدم فوق مستوى سطح البحر، وتبعد الأبيض بحوالي 292 ميلاً جنوب غربي العاصمة الخرطوم و 446 ميلاً شرق مدينة الفاشر، وتحيط بها معظم مدن كردفان (ام روابة، الرهد، ابو زيد، النهود، رارا، الدلنج، سودري، كادقلي، ورشاد)⁽⁴⁾.

إن احتلال مدينة الأبيض لهذا الموقع المهم جعل منها مركزاً تتجمع فيه حاصلات المنطقة النقدية ومعظم ثروتها الحيوانية، كما كان ربطها بالسكك الحديدية في سنة 1912 والذي كان يعتبر الخط الوحيد الممتد إلى غرب السودان، وتمثل الأبيض نهايته حتى 1958م قبل مده إلى نيالا، وكان للسكك الحديدية أثرها في ارتفاع أسهم مدينة الأبيض التي أصبحت المركز التجاري الذي يفرغ فيه السلع الواردة إليها ومنه تشحن الصادرات هذا بالإضافة إلى وقوعها في منخفض كبير تكثر فيه الخيران والوديان، وهو عبارة عن أرض سهلية توالي انخفاضها تدريجياً كلما اتجهنا شمالاً ويظهر ذلك بوضوح في وسط المدينة وعند منطقة السوق الكبير توجد منخفضات ذات رمال خفيفة تتجمع فيها مياه الأمطار، المنطقة الشرقية من المدينة ذات تربة رملية خفيفة ومتماسكة ومنتظمة السطح تنبت عليها أعشاب السافنا القصيرة وتمتد طولاً إلى أن تصل إلى منطقة تقطعها الخيران والوديان العميقة وتخرق المدينة بطولها من الجنوب إلى الشمال المجاري المائية والخيران الموسمية. وفي شرق المدينة وجنوبها توجد بعض التلال القليلة الارتفاع شمال شرق المدينة وجنوبها الكثبان الرملية المتحركة في غربها، وهي طولية الشكل تتكون من تلال مفككة معرضة للتعرية بواسطة الرياح ويتراوح ارتفاعها ما بين 5 و 25 قدماً⁽⁵⁾.

المناخ:

تقع مدينة الأبيض في الإقليم شبه الجاف، وهو أكثر الأقاليم نشاطاً في الزراعة والرعي، ويتركز سقوط المطر فيه دائماً في أربعة أشهر من يوليو إلى أكتوبر ويقبل تساقط الأمطار كلما اتجهنا جنوباً. الجدول التالي يوضح المتوسط الشهري والسنوي للأمطار في مدينة الأبيض:

الشهر	المتوسط الشهري للأمطار
يناير	-
فبراير	-
مارس	أثر
إبريل	3
مايو	20
يونيو	33
يوليو	121
أغسطس	145
سبتمبر	77
أكتوبر	19
نوفمبر	-
ديسمبر	-
المتوسط السنوي	418

ويوضح الجدول التالي توزيع درجات الحرارة في مدينة الأبيض على مدار السنة:

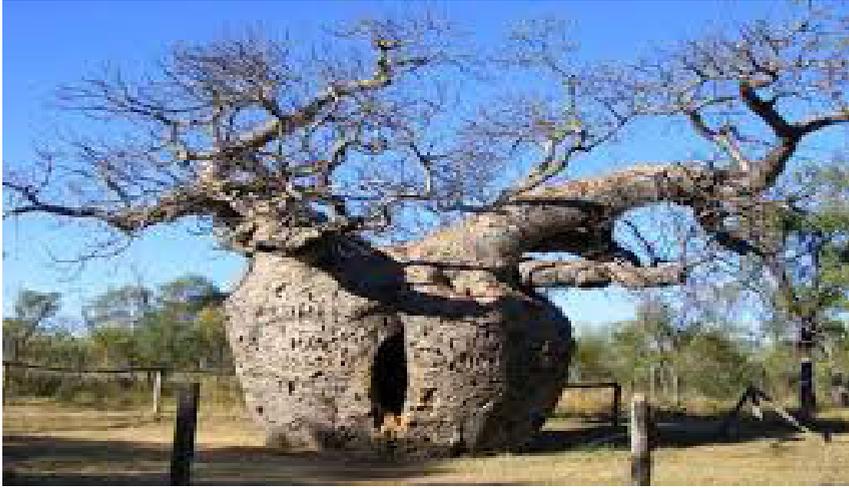
الشهور	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
متوسط درجة الحرارة القصوى (فهرنهايت)	87	91	91	102	102	99	92	90	94	98	94	89
أعلى درجة حرارة	103	106	109	111	113	109	104	100	104	104	102	101
أدنى درجة حرارة	71	72	79	81	81	87	71	76	78	85	82	73
متوسط درجة الحرارة الدنيا	55	56	63	69	74	75	73	71	71	71	63	57
أعلى درجة الحرارة الدنيا	-	71	84	84	86	83	83	80	77	79	79	67
أدنى درجة الحرارة الدنيا	39	36	43	55	60	63	61	64	63	60	50	44
متوسط نسبة الرطوبة (%)	32	26	21	24	37	49	67	75	67	45	30	31

مصادر المياه:

ارتبطت نشأة المدينة الأولى بوجود المياه في ذلك الموضع، حتى أن اسم المدينة ارتبط بقصة تناقلتها الأجيال تلقي كثيرًا من الضوء على هذه النشأة وتأثير البيئة الطبيعية في إختيار الموقع الحالي (أشرنا إليها سابقًا) وتعتمد مدينة الأبيض على المياه الجوية بشكل أساسي نسبة لعدم وجود أنهار، كما يتم الاعتماد على مياه الأمطار التي يتم تخزينها، حيث يبدأ فصل الخريف في يوليو ويستمر حتى أكتوبر، يسجل شهر يوليو 113 مم ويصل قمته في أغسطس حيث يسجل 143 مم، وهذه الزيادة مرتبطة بالفترة التي تسيطر فيها الرياح الرطبة على المدينة، ثم تبدأ الأمطار في التناقص التدريجي ويسجل شهر سبتمبر 68 مم وأكتوبر 19 مم إلى أن يتلاشى تمامًا في بداية شهر نوفمبر. يتميز سقوط الأمطار في مدينة الأبيض بظاهرة الفجائية حيث تسقط الأمطار فجأة مصحوبة بالزوابع الرعدية والأعاصير الترابية (الهبوب)، والتي يصل متوسط سرعتها إلى 32 كلم وتنخفض الرؤية إلى 200 متر، وتخف هذه الحدة كلما زادت نسبة التساقط خاصة في يوليو وأغسطس بعد أن ترتوي التربة وتنبت فيها الحشائش والأعشاب، وسقوط الأمطار في فصل الصيف هو السبب في ضياع نسبة عالية منه بالتبخر والتسرب في تربة المدينة الرملية. (6) وخلال المسح الميداني الذي قام به الباحثون في مدينة الأبيض - بارا - الرهد - الدلنج - اللبيبات في الفترة من 21 - 25 يناير 2017م وزاروا مجموعة من الخزانات الخاصة بالمياه والتي صممت على أسس هندسية حديثة وعلى مستوى عالٍ من الجودة والسعة التخزينية. (انظر الصورة المرفقة)

تخترق المدينة بطولها من الجنوب إلى الشمال المجاري المائية والخيران الموسمية، وأهم خورين هما خور القبة الغربي وخور القبة الشرقي، ويمر الأول جنوب المدينة وشرق مقابر دليل ويسير شمالاً حتى يصل غرب حي القبة وغرب فولة عبيد، ثم منطقة الآبار إلى أن يصل فولة الجنزارة شمال المدينة ويصب فيه مياهه، أما الخور الثاني فيأتي من جنوب المدينة ماراً شرق حي القبة ويلتقي مع الخور الأول عند فولة الجنزارة، ثم يواصل سيره مخترقاً غابة الجنزارة شمال المدينة متوغلاً في منطقة البديرية، وتبدأ مياهه في الانحسار في منطقة أبو ضريس. تغطي مجرى الخورين رسوبيات من الطين والرمل والحصى، وتوجد في تفاوت طبقي منتظم يصل سمكه أحياناً إلى 50 قدمًا، ويستفيد السكان من هذين الخورين في حفر الآبار للحصول على الماء. (7)

وأيضًا يتم الاستفادة من مياه الخريف بتخزينها في أشجار التبليدي
(انظر الصورة المرفقة)



النقل والمواصلات:

توجد شبكة مواصلات داخلية تربط مدينة الأبيض بالأحياء والمحليات المختلفة داخل الأبيض الكبرى وما جاورها من القرى والمدن. كما ترتبط الأبيض بشبكة كثيفة من الطرق تربط المدن بكردفان الكبرى وبقية أنحاء السودان، ومن أهم هذه الطرق:

1. طريق نيالا - النهود - الخوي ثم الأبيض والرهد وأم روابة وتندلتي، ثم يلتحم بالمحور النيل عند مدينة كوستي.
2. طريق الأبيض - بارا - أم درمان.
3. طريق تاريخي كانت تلتقي فيه التجارة القادمة من أقصى الشمال من مصر وأقاليم البحر المتوسط في مدينة الأبيض عبر درب الأربعين، وآخر يأتي من أقصى الجنوب من الأرض الغابية.
4. طريق يبدأ من حواف شبه الصحراء مارًا بالجنينة والفاشر وأم كدادة وارا ثم الأبيض.
5. طريق الأبيض - الدلنج.
6. طريق الأبيض - الخوي - النهود - نيالا.
7. طريق الأبيض - أبو زبد - رجل الفولة - أبيي.
8. طريق الأبيض - سودري.
9. طريق الأبيض - أبو زبد - بابنوسة - الضعين.⁽⁸⁾

وأيضًا من خدمات النقل الموجودة داخل مدينة الأبيض، نجد القطار الذي وصل رأس الخط الحديدي إليها في 1911م، وكان وصول الخط الحديدي يعني ارتباط كردفان وأسواقها الرئيسية بكل من حلفا الميناء النهري وبورتسودان الميناء البحري. ويمتد الخط مسافة 689 كلم، وهي المسافة بين الخرطوم والأبيض.⁽⁹⁾ وفي مجال النقل الجوي يوجد مطار في مدينة الأبيض يعمل على نقل الركاب خاصة في السفريات الداخلية. ولكن من الملاحظ أن حركة الطيران قليلة جدًا، وربما يعود ذلك لوفرة البصات السفرية ووقوع الأبيض في منطقة وسطى مما جعل الحركة إليها ميسرة.

السكان:

أهم ما يلاحظه الزائر إلى مدينة الأبيض العفوية التي يتعامل بها سكان المدينة مع الغرباء والاستعداد الدائم للرد على استفساراتهم دون ضيق

أو ملل، بالإضافة للثقافة العالية التي يتمتعون بها في جميع دروب المعرفة. وقد جرت أول دراسة لسكان مدينة الأبيض في العام 1965/64م من خلال المسح الميداني، وتم تقسيمها إلى أربعة أقسام كل قسم يضم عددًا من أحيائها. الجدول التالي يوضح توزيع السكان على الأحياء:

مجموع السكان بالنسمة		الأحياء التي يتضمنها القسم	القسم أو المنطقة
1973	1965/64		
16.379	13.678	الدرجة الثالثة، حي الفلانة، الربع الثاني شرق وغرب المدينة، حي السودنة، المنطقة الصناعية، منطقة السوق، الميدان الكبير، المنازل الحكومية.	وسط المدينة
15.2347	5.892	المنطقة العسكرية غرب السكك الحديدية، منطقة السجن الجديد، الدرجة الثالثة الجديدة، البترول، حلة أمير، منازل السكك الحديدية، قطاطي أمير.	شرق المدينة
14.177	10.125	حي المعاصر، الجلاء، الشويحات، القبّة، مساكن الشرطة الغربية.	غرب المدينة
43.670	32.865	حلة فلانة، الناظر، فلسطين، ود إلياس، زندية، اليوم النصر، جبرونا، الرديف.	شمال وجنوب غرب المدينة
89.573	62.560		المجموع الكلي

نسبة الزيادة سنة 1973م عن 1965م حوالي 28.013 نسمة. كما يوضح الجدول التالي توزيع سكان الأبيض خلال الفترة 1983م / 1993م:

السنة	العدد بالنسمة
1983م	141.528
1993م	229.425

ويوضح الجدول التالي عدد سكان الأبيض في آخر تعداد رسمي للسودان في العام 2008م حسب النمط المعيشي:

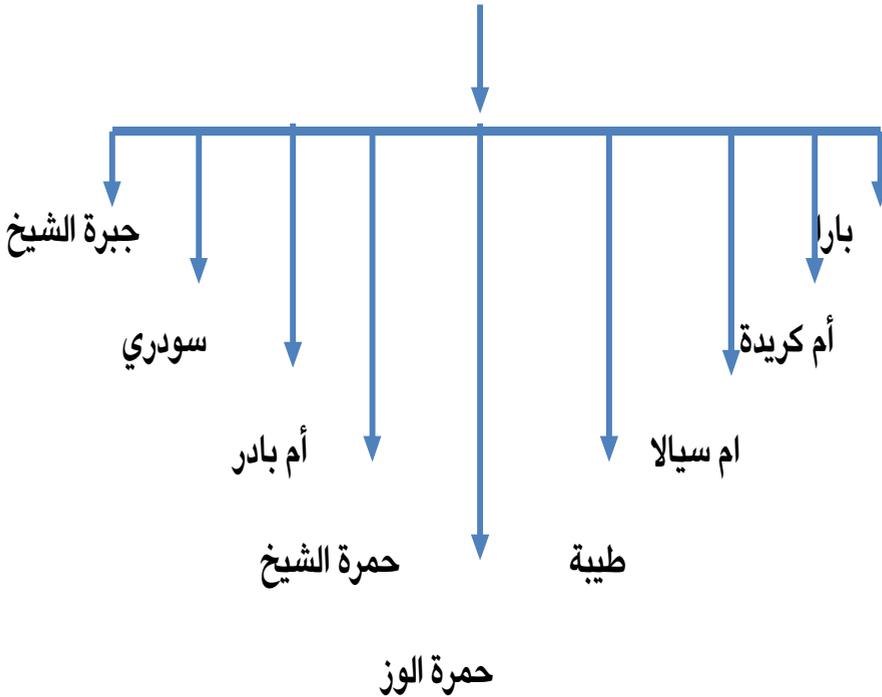
الجملة	ذكور	إناث
345.126	174.365	170.761

هناك ملاحظة لا بدّ من الإشارة إليها وقد تكررت كثيراً، بخصوص الأحياء وأسماء القبائل القاطنة فيها، حيث يرد اسم حي فلاتة وهو بالأصح حي الهوسا، يوجد في الأبيض حي مترمي الأطراف قمت بزيارته خلال المسح الميداني لهذه المدينة. يشمل مصطلح الهوسا كل من تحدث هذه اللغة بصرف النظر عن جذورهم العرقية أو أماكن إقامتهم.(12)

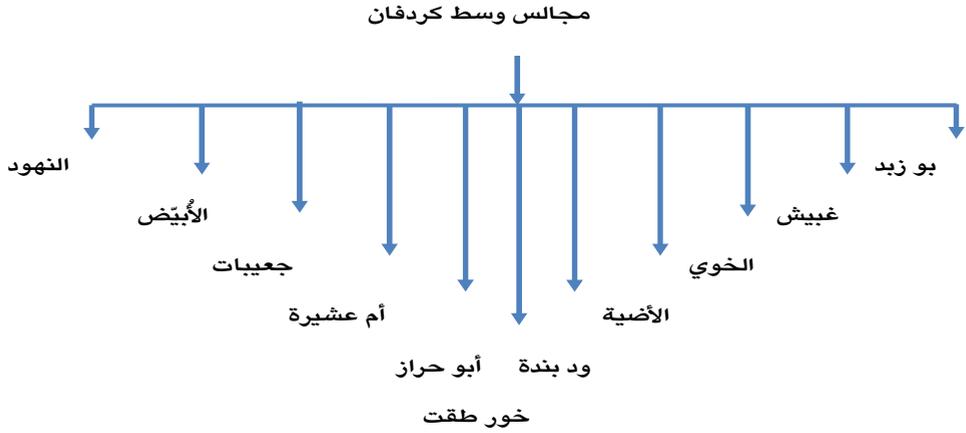
التطور الإداري:

عندما تم تقسيم مديرية كردفان وفقاً لقانون الحكم الشعبي الإقليمي، شملت مدينة الأبيض العديد من المجالس في منطقة شمال كردفان كما هو موضح أدناه:

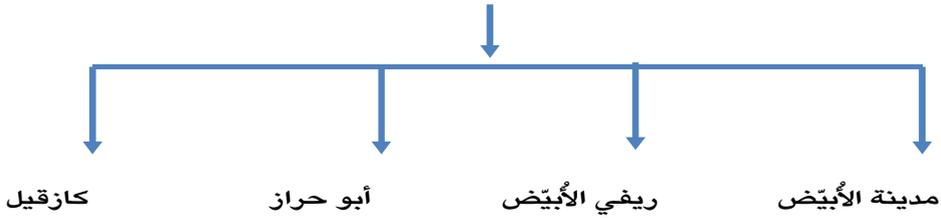
مجالس شمال كردفان:



والشكل التالي يوضح مجالس وسط كردفان:



وبعد إقرار نظام المحليات، تم تقسيم مدينة الأبيض إلى أربع محليات تحت مسمى محلية شيكان كما هو موضح أدناه:



النشاط الاقتصادي:

تعتبر الأبيض من أهم مراكز العمران السودانية، فقد لعبت دوراً كبيراً في النشاط التجاري لغربي السودان الذي يعتبر أهم مناطق الإنتاج الاقتصادي. إذ إن الأبيض مركزها التجاري كمصب لإنتاج الغرب المتمثل في الصمغ العربي والقطن والحبوب مثل السمسم والفلو السوداني، وفي نفس الوقت فهي سوق لتجارة الماشية والإبل والأغنام. وهي أيضاً العاصمة الإدارية في هذا الجزء من القطر. وظهرت أهميتها بعد أن اتخذها الأتراك مركزاً إدارياً لهم وأصبحت مركزاً تجارياً تتجمع فيه التجارة من كل أجزاء الغرب المختلفة مثل جلود الحيوانات التي كانت تشتري من البقارة، وسن الفيل من أرض الشك في أعالي النيل بالإضافة إلى بعض الذهب وهي التجارة التي اهتم بها الأتراك في هذه المنطقة.⁽¹²⁾

الأحياء:

القبة، حي البترول، حي فلاتة (الهوسا)، الشهداء، فلسطين، الصحافة، صالحين، الدوحة، الشارقة، المطار، أمير، القلعة، كريمة، السوق.

الأسواق:

يوجد في الأبيض العديد من الأسواق الكبيرة مثل سوق المحاصيل، السوق الكبير ويضم في داخله أفرع كثيرة أشهرها سوق عبد الله بن مسعود الشهير بسوق أبو جهل وسوق فور وسوق كريمة وسوق الصالحين وسوق أبو شراة وسوق الناقة، بالإضافة إلى بعض الأسواق الصغيرة الموجودة داخل الأحياء.

دور العبادة:

يوجد في مدينة الأبيض العديد من المساجد الكبيرة أشهرها المسجد الكبير الذي يقع في الناحية الغربية من السوق، بالإضافة إلى العديد من المساجد داخل الأحياء السكنية، كما توجد العديد من الكنائس العريقة خاصة في وسط المدينة.

المناطق الأثرية والسياحية:

أشهرها غابة شيكان وسوق المحاصيل وسوق أبو جهل (عبد الله بن مسعود، ومتحف شيكان وسوق الناقة ومحطات تخزين المياه.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة توصل الباحث، إلى أن مدينة الأبيض نشأت عن طريق الصدفة، وتطورت من محطة التقاء للمسافرين والعابرين إلى قرية، ثم مدينة، وهي تعتبر من أعظم المدن السودانية من كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاستراتيجية والسياحية إلخ ...

الهوامش:

- (1) تخطيط المدن/4/1/4، دار الوثائق القومية.
- (2) سمير أحمد محمد الحسن، مدينة الأبيض دراسة في جغرافية المدن، جامعة عين الشمس ، ماجستير، 1979م، ص 11.
- (3) المرجع نفسه ، ص 12.
- (4) عبد الله حامد العبادي، المرجع السابق، ص 101.
- (5) سمير أحمد محمد الحسن المرجع السابق، ص 9 – 10.
- (6) المرجع نفسه ، ص 27.
- (7) المرجع نفسه ، ص 9 – 10.
- (8) المرجع نفسه ، ص 8 – 97.
- (9) صلاح الدين الشامي، السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف، الطبعة الثانية، 1973، ص 64.
- (10) الإحصاء القومي، 2008م، دار الوثائق القومية
- (11) دار الوثائق ، التقرير النهائي لجنة إعادة النظر في تقسيم المديرية
- (12) المصدر نفسه

الملاحق



مسجد مدينة الأبيض الكبير



مسجد في وسط المدينة



كنيسة مدينة الأبيض



كنيسة في الأبيض



جانب من متحف شيكان بمدينة الأبيض



متحف شيكان



سوق الأبيض



جانب من سوق الأبيض

نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا
كلية التربية- جامعة الزعيم الأزهرى

د. إنعام سليمان محمد إدريس

المستخلص:

تناول البحث نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود. هدف البحث إلى التعرف على كيفية نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود، كما هدف إلى تحليل عوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي ساعدت على نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود التي أسهمت في نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود. نبعت أهمية البحث من أن نشأة مدينة طابت منذ نشأتها كمنطقة غابية صغيرة كثيفة الأشجار إلى مدينة تتعدد فيها الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي تعبر عن نشأة المدن الدينية وتطورها لفت انتباه الدارسين للاهتمام بنوع مثل هذه الدراسات. تم جمع المعلومات الأولية عبر البحث الميداني بالملاحظة والمقابلات الشخصية مع بعض المشايخ وكبار السن للتعرف على تاريخ وتطور مدينة طابت، بينما جمعت البيانات الثانوية من التقارير والمراجع الخاصة بجغرافية المدن والعمران. استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف نشأة مدينة طابت الشيخ عبد الحمود ووصف عوامل النشأة، كما تم استخدام المنهج التاريخي الذي عمد إلى الترتيب التاريخي في نشأة مدينة طابت الشيخ عبد الحمود منذ بدايتها كقرية صغيرة في الماضي وكذلك رصد التطورات التاريخية للنواحي الاقتصادية والاجتماعية المختلفة بالمدينة. توصل البحث إلى أن بداية نشأة مدينة طابت ارتبط باستقرار الشيخ عبد الحمود بالمنطقة وجعلها كقرية صغيرة تمثل مركزاً دينياً للطريقة السمانية ثم توسعت ونمت بفعل المريدين الذين ألتفوا حوله ،، وكذلك توصل البحث إلى أن تضافر مجموعة من العوامل الطبيعية من موقع وسهول ومناخ ساعدت على تطورها وكذلك تعددت وتطورت بها مجموعة من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية لخدمة سكانها وسكان ريفها

المحيط بسبب قيام مشروع الجزيرة الذي أسهم في توسعها كمدينة وعاصمة لإقليمها. أوصى البحث بتشجيع البحوث الجغرافية لدراسة المدن الصغرى بالإضافة للقيام بدراسات لدراسة العلاقة بين المدن الصغرى وإقليمها المحيط.

emergence and development of the city of Tabat, Sheikh

Abdel Mahmoud

Enaam Suliman Mohamed Idris.

Abstract:

The research handled the emergence and development of the city of Tabat, Sheikh Abdel Mahmoud. The aim of the research was to identify how the city emerged and developed, and it aimed to analyze the natural and human geographic factors that helped and contributed to the emergence and development of the city as well. The importance of the research stemmed from the fact that the emergence of the city since its inception as a small dense forested area to a city in which there are many economic and social activities that express the emergence and development of religious cities to draw the attention of scholars to interest in the type of such studies. Primary information was collected through field research by observation and personal interviews with some sheikhs and elders to learn about the history and development of the city, while secondary data were collected from reports and references related to the geography of cities and urbanization. The research used the descriptive analytical methodology that was used to describe the emergence factors, and the historical methodology that was based on the historical arrangement was used in the emergence of the city since its beginning as a small village in the past, as well as monitoring the historical developments of the various economic and social aspects of the city. The research concluded that the beginning of the emergence of the city was linked to the stability of Sheikh Abdel Mahmoud in the region and made it as a small village that represented a religious center for Al tariqah Al sammaniya. A number of economic and social activities have developed in it to serve its residents and the residents of

its surrounding countryside due to the establishment of Gazera scheme, which contributed to its expansion as a city and the capital of its region. The research recommended encouraging geographical research to study small cities, in addition to conducting studies to study the relationship between small cities and their surrounding regions.

المقدمة:

دأب الدارسون في جغرافية العمران على تقسيم المناطق الاستيطانية إلى قسمين هما المدن والقرى، وقد اختلف الجغرافيون في تحديد الأسس التي يمكن الاعتماد عليها في التفريق بين المدينة والقرية خاصة أن كلا منهما عبارة عن مساحة من الأرض شيدت عليها مجموعة من المساكن⁽¹⁾ ولا تعتبر ظاهرة التحضر ظاهرة حديثة فقد اهتدى الإنسان إلى العيش في المدن منذ آلاف السنين، وباعتماد الإنسان على الزراعة ظهرت أولى أشكال تجمعات السكان التي تطورت أخيراً إلى قرى ثم إلى مدن.

إن الدين الإسلامي بطبيعته يشجع التجمع البشري وحياة الاستقرار والتحضر حيث إن الفروض الدينية ومنها صلاة الجمعة تنجز على وجه أتم في ظل حياة جماعية مدنية، والواقع أن الديانة الإسلامية ديانة حضرية كما أن روح القرآن في أساسها مدنية ضد حياة البداوة المتجولة، وقد صممت مبادئ القرآن الأساسية لتطبق على المجتمع الحضري بالدرجة الأولى، فالإسلام دين المدنية فصلاة الجمعة تتطلب التقاء الجماهير في مساجد المدن الرئيسية، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى لحياة المدن أهمية دينية عندما أعلن للناس أن يتوجهوا إلى مكة والمدينة لاعتناق الإسلام. وبهذا يقصد ضمناً تشجيع الهجرة واستقرار في المدن⁽²⁾

للعامل الديني في السودان دور في ظهور التصوف الإسلامي حيث أصبح يتخذ الشكل التنظيمي الجماعي ووجد على رأس كل طريقه شيخاً ولكل شيخ منهج وأسلوب يأخذ به مريدوه وأتباعه (زكي، 1938)⁽³⁾، وبدأ المريدون يتجمعون حول (الشيخ) فظهرت طرق متعددة في العالم الإسلامي⁽⁴⁾. لهذه الطرق الصوفية في السودان أثر واضح في نشأة القرى ولعبت دوراً بارزاً في تحول هذه القرى إلى مدن، ومن أبرز هذه الطرق الطريقة السمانية بمدينة طابت الشيخ عبد الحمود.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

1. كيف نشأت وتطورت مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود ؟
2. ماهى العوامل الجغرافية الطبيعية التى ساعدت على نشأة وتطور مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود ؟
3. هل العامل الدينى (استقرار الشيخ عبد الحمود بالمنطقة) يعتبر من أهم العوامل التى أدت إلى نشأة ونمو مدينة طابـت ؟
4. هل كان لمشروع الجزيرة دور في زيادة حجم السكان ومساحة مدينة طابـت ؟
5. ماهو دور العامل الاقتصادى والاجتماعى في تطور مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود؟

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث في:

1. لاحظ الباحث بعض التطور في النشاط الاقتصادى والخدمات المختلفة بمدينة طابـت الشيخ عبد الحمود مما شكل لديه دافعاً للقيام بهذا البحث.
2. ركزت أغلب الدراسات على دراسة نشأة وتطور المدن الكبرى ولا تولي المدن الصغرى اهتماماً في الدراسة.
3. الأدبيات الجغرافية في العمران لم تهتم كثيراً بدراسة كيفية نشأة المدن الدينية وتطورها والتي تطورت وأزدهرت بسبب العامل الدينى فلا بد من تشجيع الدراسين للقيام بمثل هذه الدراسات.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1. التعرف على كيفية نشأة وتطور مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود منذ بدايتها كقرية صغيرة إلى أن أصبحت مدينة.
2. تحليل عوامل الجغرافيا الطبيعية والبشرية التى ساعدت على نشأة وتطور مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود.
3. التعرف على دور النشاط الاقتصادى والاجتماعى الذى أسهم في نشأة وتطور مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود.

الفرضيات:

تقوم هذه الدراسة على الفرضيات الآتية:

1. نشأت وتطورت مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود منذ بدايتها كقرية

- صغيرة حتى أصبحت مدينة بسبب العامل الديني الذي يمثل أقوى عامل من عوامل النشأة.
2. ساهمت العوامل الجغرافيا الطبيعية والبشرية في نشأة وتطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود.
3. يعدّ العامل الاقتصادي والاجتماعي من العوامل التي أسهمت في تطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود.

منهجية البحث:

استخدم البحث مناهج متعددة في معالجة الظاهرة المدروسة التي تتمثل في المنهج الجغرافي الشامل أهمها المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف نشأة مدينة طابت الشيخ عبد الحمود ووصف عوامل النشأة، كما تم استخدام المنهج التاريخي الذي عمد إلى الترتيب التاريخي في نشأة مدينة طابت الشيخ عبد الحمود منذ بدايتها كقرية صغيرة في الماضي وكذلك رصد التطورات التاريخية للنواحي الاقتصادية والاجتماعية المختلفة بالمدينة؛ مما يساعد على التحليل والتفسير والربط بين هذه النواحي في السابق والحالي.

طرق وأدوات الدراسة:

اعتمد البحث بصورة رئيسية على أساليب جمع المعلومات الأولية عبر العمل الميداني باستخدام الملاحظة واستخدام المقابلة مع عدد من المسؤولين وكبار السن بالمنطقة وكان الهدف منها هو جمع البيانات التي يحتاج إليها الباحث والتي يصعب الحصول عليها بالملاحظة، أما المعلومات الثانوية تم جمعها من بعض المراجع والكتب والدوريات الخاصة بجغرافية العمران والجغرافيا الحضارية وتم الحصول عليها من المكتبات إلى جانب بعض التقارير والمؤتمرات الخاصة بموضوع البحث.

نشأة مدينة طابت الشيخ عبد الحمود:

يمكن أن نناقش نشأة مدينة طابت من خلال المراحل التالية:

1/ المرحلة الأولى قبل عام 1878م:

كانت عبارة عن مساحة واسعة توجد بها غابة كثيفة ملتفة الأشجار وغزيرة المرعى بين عفانه وأم دبيب تعرف باسم (أم دبيب)، يرتادها أصحاب

المواشي من القرى المجاورة لها، ودلالة الاسم الأولى (عفانه) ينسب إلى قبيلة (العفاناب) ⁽⁵⁾ الذين كانوا أول الوافدين إليها للمرعى فيها فقط، بينما الاسم الثاني دلالاته لكثرة الزواحف (الديب) فيها.

بينت المقابلات الشخصية أن هنالك عددًا من الرعاة المشهورين يفتدون إليها باعتبارها مرعى خصبًا في موسم الخريف من القرى المجاورة منهم: «الشيخ البشير الشيخ إبراهيم الدسوقي الشيخ أحمد الطيب» فقد كان مسكنه ومستقره في قرية (الفريجاب) التي تقع في الجنوب الغربي من هذه المنطقة، كما وارتادها (يعقوب ود حسن) فاختلفت الروايات في قريته التي يفتد منها للمرعى هل من قرية (الربيق) ⁽⁶⁾ مكتب (تورس) الآن أو من (قوز الرهيد)؟، وكان أيضًا من الوافدين إلى هذه المنطقة «الحاج أبوسن الحمدي» كان صاحب ماشية كثيرة حفر الحفير حتى عرفت باسمه الآن (حفير يعقوب)، هؤلاء الوافدون من مناطق أو قرى على مقربة من منطقة (عفانة أم ديب).

أما من الذين عرفوا هذه المنطقة من خارج نطاقها، منهم (الخشما ب)، فقد كان يمتد بهم المرعى من (جمعة) على النيل الأبيض إلى هذه المنطقة، فقد طابت لهم المنطقة، مرعى وسكنًا في موسم الخريف، فظلوا كثيرون التوافد إليها. كل هؤلاء عرفوا المنطقة من قبل مجيء الشيخ عبد الحمود إليها. وكان لهم وجودهم فيها موسميًا كزراعة بالمنطقة.

كان من أكثر المرتادين إلى منطقة (عفانة أم ديب) كمزارع موسمي عيسى ود محمد ود فضل ود نايل ود حمدان ود محمد «أبو خشوم» كان أكثرهم استقرارًا فيها في موسم الخريف للزراعة المطرية (البلدات)، يأتي من قرية (أم دليبة) و تمتد مساحته الزراعية (تروسه) من قريته حتى (أم ديب) ⁽⁷⁾ يتضح مما ذكر أعلاه أن مدينة طاب كانت في هذه الفترة عبارة عن مساحة رعوية وغابات وأراضٍ زراعية مطرية مبانها موسمية غير ثابتة من الشعر لا توجد فيها خدمات إلا مياه الشرب من الحفائر.

2 / المرحلة الثانية عام 1878م-1880م:

ولد الشيخ عبد الحمود في قرية أم طريف في ود رملي في شرق نهر النيل في عام 1845م بعد وفاة والده الشيخ نور الدائم الشيخ أحمد الطيب في عام 1852م مكثوا في أم طريف مدة سبع سنين، ومن بعدها رحلت بهم أمهم إلى الشيخ القرشي ود الزين بقرية طيبة الشيخ القرشي ود الزين غرب مدينة

الحصاحيصا⁽⁸⁾ وأقاموا فيها حتى عام 1867م، ثم أذن لهم الشيخ القرشي ود الزين بالذهاب إلى قرية (أم طرفاية). وهي على مقربة من طيبة الشيخ القرشي التي تقع إلى الجنوب الغربي منها؛ نسبة لوجود بعض أبناء عمومته من السروراب.

كان الشيخ عبد المحمود أثناء وجوده في (أم طرفاية) التف حوله مريدون كثيرون من المناطق المجاورة؛ نسبة لما عرف فيه من الخلق والدين، ومن بسط الإرشاد الذي كان الناس في تلك الفترة في حاجة إليه فارتفع سيطه وكثر المريدون من حوله وبقى الشيخ عبد المحمود في قرية أم طرفاية إثني عشر عاماً ثم حدثت له مضايقات كثيرة من بعض أهل أم طرفاية خوفاً على سلطانهم بسبب شهرته، وعندما رأى ضرورة أن يجد له مستقراً آخر أوسع مكاناً، اتجه إلى منطقة الغابة الكثيفة الأشجار (عفانة) و(أم ديب) فارتادها منذ 1292هـ باحثاً عن أرض يجعلها مقراً وينقل إليها أولاده ومريديه ثم كثر تردده إليها حتى اطمأن إليه، فعمل على الاستقرار فيها عام 1878م.

كان اختيار الشيخ لهذا المكان مناسباً لاستقراره، فأى مكان في الأرض، هو (طبيعة وبيئة وإنسان) وبكثرة تردده على المنطقة تعرف على طبيعتها وبيئتها وإنسانها، فوجد طبيعة الأرض خصبة تناسب الزراعة والرعي، والسكان هم أصحاب أنعام وماشية، والمرعي من ضروريات حياتهم ويؤكد هذا توافق الناس إليها بمواشيهم من أبعد المناطق غير المقيمين فيها، وشبه المقيمين فيها، وأهل الجوار، أما عن السكان فقد وجد في المنطقة مجموعة من الخشام يقدون إليها للمرعي وغيرهم من الرعاة، لقد وجد الشيخ عبدالمحمود ترحاباً من كل هؤلاء منهم من فضل السكن معه في هذه المنطقة.⁽⁹⁾

كان أول ما قام به الشيخ عند بداية سكنه أن غير اسم المنطقة إلى اسم طابت تيمناً بمدينة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام. وبدأ المحبون والمريدون في إعداد المنطقة لسكنائهم، فقطعوا الأشجار، وشرعوا في وضع اللبنة الأولى للمدينة بنوا أولاً مستقر الشيخ وبيوته، ثم بيوتهم ومستقرهم، وكانت متواضعة من الطين والقش والخيام من الشعر وأكوخ من القصب وحسب المتاح آنذاك، كانت البيوت متقاربة متلاصقة، ثم حفروا البئر للسقيا وكان أول بئر يحفره الشيخ في مكان سكنه، والبئر موجود الآن في الحوش الواقع شرق بيت الشيخ محمد المبارك الشيخ عبد المحمود كما بنوا المسجد وخلوة القرآن وقد ذكر⁽¹⁰⁾ كان المسجد الجامع محور الحياة والنشاط في المدن الإسلامية

وكانوا يبدأون بإنشائه قبل أي بناء آخر عند تأسيس المدن الإسلامية، وما يلبث العمران أن ينمو حول المسجد. ثم بنى التكية والخلوي الملاصقة له. يعتبر عام 1878م بداية النشأة الحقيقية لمدينة طاب ت كنواة قرية مستقرة فيها الشيخ ومريدوه بعد أن كانت قطعة زراعية ملأى بالأشجار وأصبح السكن من مباني ثابتة من القش والطين والقصب بدلاً من بيوت الشعر المتحركة للرعاة، ثم اختار لها الشيخ عبد الحمود اسماً طيباً مباركاً. أصبح المسجد، المحور التعليمي والتربوي لنشاط الشيخ عبد الحمود علم الناس الفقه والتفسير والحديث والسيرة النبوية المطهرة، ثم أسس التكية والخلوة لحفظ القرآن الكريم والخلوي وكانت مأوى من لا مأوى له، وهكذا أصبحت هذه المنطقة على تواضعها (مساحة وبناء) أصبحت مركزاً دينياً وروحياً وعلمياً، وسرعان ما تقاطر نحوها المحبون والمريدون من كل أنحاء السودان بل من كل قبائل السودان، وانصهروا جميعاً في وحدة منقطعة النظير.

3 / مرحلة حكومة المهديّة 1881-1889م:

كان الأنصار يقصدون المدينة كل عام لتحصيل زكاة الزراعة والقطعان وكان يقوم بهذه المهمة رجل أو رجلان من سكان طاب ت يتم تعيينهما من إدارة المهديّة وتسلم للمسؤولين حين قدومهم أرض طاب ت بالإضافة إلى إعانة سكان طاب ت للمهديّة مادياً أعانوها روحياً وانخرطوا بها جنوداً واتباعاً في الحرب ضد الإنجليز. في هذه الفترة توسعت نشاطاتها الدينية والدنيوية على السواء وزادت مساحة المدينة بزيادة عدد المريدين وسكنهم حول الشيخ وزاد عدد طلاب العلم واتسعت الخلوة؛ ولكن مازالت المنازل عبارة عن طين وقش وخيام من الشعر وأكواخ من القصب. وهكذا نشأت طاب ت مدينة صوفية متدينة لأن مؤسسها كان صوفياً عالماً. وبنهاية عام 1899م انهزمت جيوش المهديّة وبدأ الحكم الثنائي.

4 / مرحلة الحكم الثنائي 1899-1955م

مكث الشيخ عبد الحمود بين أهله ومحبيه ومريديه في مدينته طاب ت قرابة الأربعين عاماً، وقد كانت وفاته في عام 1333هـ/1915م رحمه الله، وقد خلفه من بعده ابنه الشيخ عبد القادر الجيلي، وقد نهل من علم والده، ولقد كان عالماً فقيهاً، وأنشأ في بداية خلافته معهداً علمياً، وكانت بداية في

داخل المسجد وذلك في عام 1937م ثم انتقل إلى الغرف المجاورة للمسجد، الواقعة شرق المسجد، وذلك في عام 1953م،

توفرت الظروف الطبيعية من موقع ومناخ وتربة بمنطقة طابت لذا تعتبر الزراعة المطرية أول الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة وذلك قبل قيام مشروع الجزيرة حيث تقسم الأرض إلى مساحات محددة تحجز فيها مياه الأمطار (الترس) لتمارس عليها الزراعة وتعرف بالبلدات. ثم تطورت إلى زراعة مروية إذ شهدت هذه الفترة قيام مشروع الجزيرة عام 1925م حيث كان له الأثر الكبير في استقرار العديد من السكان بمدينة طابت وبذلك تحول المجتمع من المجتمع الرعوي غير المستقر إلى المجتمع الزراعي المستقر فزادت الرقعة الزراعية وتوسعت وقسمت إلى مزارع ومع إقامة المشروع دخلت الآلات الحديثة في الزراعة. هذه التطورات قللت عدد العاملين بالزراعة فاتجه العمال لأعمال أخرى كالتجار وغيرها. ⁽¹¹⁾ ظلت طابت مثل قرى الجزيرة الأخرى الكبرى التي توسعت بسبب المشروع حتى عام 1932م.

ثم خططت مدينة طابت في الفترة ما بين عام 1945-1955م فتحوّلت شوارعها إلى شوارع كبيرة وبدأت تظهر فيها مظاهر المدينة، وبعد ذلك بدأت الخدمات تتطور فيها وبعد ذلك توسعت عمرانيًا فبدأ البناء فيها بالجالوص والطوب الأخضر ثم تطور البناء فيها إلى الطوب الأحمر والأسمنت، ثم تطور البناء بالأسمنت فأصبح يبني بالطوب الأحمر بدلاً من الطوب الأخضر الذي يُقوى بالأسمنت وظهر بناء السقف بالحديد «السلح». وكان البناء حسب خرطة توضح مساحات الغرف والمرافق الأخرى.

بعد هذا التوسع الكبير للمدينة أصبحت مدينة طابت تضم عددًا من الأحياء على حسب تعداد (2008) وهي: حي الشهداء - حي السلام (حلة سعيد سابقًا) - الحي الأوسط حي القبة - حي الحقنة - حي النجاسة - الحلة القديمة - الحلة الجديدة (أ) - الحلة الجديدة (ب) - حي النصر - حي الامتداد (قرية أم ديب سابقًا) - حي الموظفين. شيد في تلك الأحياء عدد من المساجد مثل مسجد طابت العتيق، مسجد الختمية، مسجد حي النصر، مسجد الحلة الجديدة، مسجد مجمع الشيخ الجيلي، وتبعًا لذلك تعددت في مدينة طابت الخدمات والمرافق العامة التي سيتم تفصيلها لاحقًا.

5/ مرحلة الحكم الوطني 1956م - 2022م

في هذه المرحلة انتقل المعهد العلمي إلى مبناه الذي خصص له في عام 1957م وهو المبنى الذي تشغله الآن مدرسة السيدة صفية الثانوية للبنات، وكان لخلوة القرآن الكريم نصيبها من التوسع والازدياد فتطورت الخلوة وتوسعت رأسياً لمعهد علمي انظر صورة (1) ، وقد كان طلابها يشغلون الساحة الشرقية للمسجد بكاملها. يقرؤون القرآن الكريم في التهجد والسحر إلى شروق الشمس، ثم ينتقلون إلى داخل غرف الخلاوي، وعند الغروب يملأون الساحة الخارجية إلى ما بعد صلاة العشاء يلتفون حول (التقابة). وتوسعت المدينة وزاد حجم سكانها بسبب مشروع الجزيرة وتنوع المحاصيل فأنشأت إدارة المشروع الخدمات الاجتماعية من مياه وصحة وكهرباء وطرق في مدينة طابث، وكذلك تم إنشاء السوق فأصبح السكان يأتون للتسوق والعمل داخل السوق، فأصبحت مدينة طابث مدينة دينية وتجارية مما ساهم في تطور ونمو المدينة بصورة أسرع.

صورة رقم (1) مجمع الشيخ الحفيان لتعليم القرآن بمدينة طابث



المصدر: العمل الميداني 2022 م

العوامل الجغرافية التي ساعدت على تطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود:

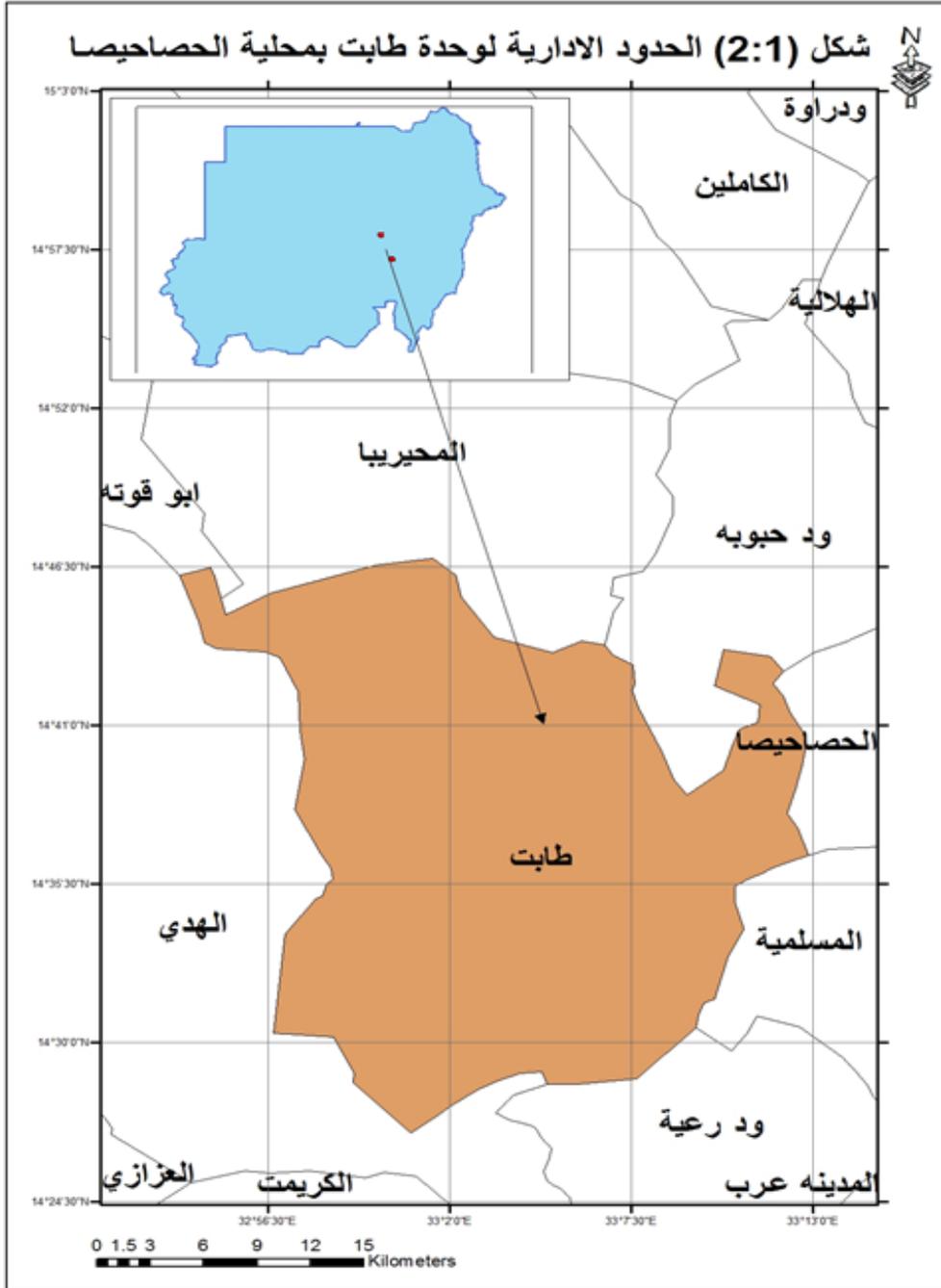
تخضع المدن في نموها لكثير من العوامل التي يتصل بعضها بالموقع والعوامل الطبيعية ويضاف إلى ذلك حجم ونمو السكان ومدى اجتذاب المدينة لسكان جدد بالهجرة من الريف أو المدن الأخرى، هي أيضاً عوامل تؤدي إلى الحاجة المستمرة في زيادة المساحة المبنية سواء في شكل مساكن وأمنشآت ومرافق واستخدامات عامة تفي بحاجات السكان وتتمشى مع زيادة أعدادهم⁽¹²⁾.

تشتمل على الآتي:

أ/ عوامل الجغرافية الطبيعية:

تقع مدينة طابت في وحدة طابت محلية الحصاصيصة التابعة لولاية الجزيرة بين دائرتي عرض 14°47' و 14°25' ش وخطي طول 32°ق 13' و 33°ق ، أما بالنسبة للموقع الجغرافي، فتحدها من الشمال الشرقي وحدة ود حبوبة ومن الناحية الشمالية وحدة المحيريبا وأبوقوتة من الناحية الشمالية الغربية والهدى من الناحية الغربية والجنوبية الغربية ووحدة ود رعية من الناحية الجنوبية الشرقية أما من ناحية الشرق وحدتا المسلمية والحصاصيصة، أما مدينة طابت فتقع على بعد 28 كلم تقريباً غرب مدينة الحصاصيصة شكل(1)، كما تبعد مسافة تقدر بحوالي 33 كلم عن طريق الخرطوم مدني، تحدها من الشمال ترعة عفانا -المزارع -حلة سعيد ومن الجنوب ترعة أم ديبب-قرية ود بللو من الشرق المزارع -قنطرة حاج نصر قرية صراصر أمطرفاية-أم تربيات ومن الغرب المزارع وقرى الزبيرات وحلة سعيد الجديدة. تتبع لوحدة طابت أكثر من مئة قرية وجميعها منتشرة حول مدينة طابت.

هذا الموقع موقع وسط جعل مدينة طابت سهلة الارتباط بعلاقات مكانية بالمدن التي تحيط بها مثل مدينة الهدى والعزازي وود رعية والكريمة والمسلمية والمناقل والحصاصيصة التي تربطها بالطريق المسفلت القومي الذي يربطها بالخرطوم ومدني والقضارف وكسلا و بورتسودان،



المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء 2008 بتصريف حوسبة الباحث

أما بالنسبة للتضاريس فإن مدينة طاب ت جزء من سهول الجزيرة حيث تقع في منطقة سهول مسطحة تخلو من الجبال والتلال⁽¹³⁾ مما سهل مد الطرق المسفلتة كالطريق الغربي الذي يربطها مع الفريجاب والهدى والعزازي (الذي يبعد عنها الطريق نحو 6 كلم تقريباً) والطريق الشرقي الذي يربطها بمدينة الحصاصي كما ذكر سابقاً، كما أن هذا السطح مهد لمد الطرق الترابية الذي تربطها بكافة ريفها وخارج إقليمها، كما أن السهول تعتبر من أكثر مظاهر السطح انتشاراً للعمران دون وجود أي مناطق خالية من السكان لذلك كمدينة طاب التي تحيط بها المحلات العمرانية في كل الاتجاهات.

أما بالنسبة للمناخ والنباتات الطبيعية، فالمنطقة تقع أيضاً ضمن ولاية الجزائر التي تقع في النطاق الأوسط الذي يقع في النطاق الجاف.. فهي نطاق يقرب من نطاق إقليم السافانا قليل الأمطار والشبه صحراوي، الذي يتسم بفترة المطر القليل الذي يستمر ثلاثة أشهر قمتها في شهري أغسطس وسبتمبر ويتميز بدرجة حرارة تنخفض مرتين الأولى في فصل الشتاء والثانية في فصل المطر. وترتفع الحرارة في فصل الصيف وتصل أقصاها في مايو ويوليو⁽¹⁴⁾ يمثل موسم المطر عائقاً للطرق الترابية يقلل حركة السكان نحو مدينة طاب، فتصبح شبه مقفولة في هذا الموسم.

أما بالنسبة للتربة فإن مدينة طاب ت جزء من تربة الجزيرة والتي تتميز بالشقوق العميقة التي تسمح بمرور الهواء والماء داخلها، ويمتاز هذا النوع من التربة بخاصية التمدد عند غمرها بالمياه والانكماش والتشقق في حالة الجفاف. هي من التربة التي تتميز بدرجة الخصوبة العالية بعد التسميد، ويوجد فيها الجبس بكميات كبيرة وهي تربة صالحة للزراعة خاصة محصول القطن⁽¹⁵⁾ مما جعل الأراضي الزراعية حول مدينة طاب ذات إنتاجية عالية مما جعل مدينة طاب ت مدينة تسويق (تجارية) للمحاصيل الزراعية بالمنطقة، كما ساعد هذا النوع من التربة على استقرار السكان لممارسة الزراعة وبالتالي مهدت لتوفير مصدر ثابت للدخل.

إنّ الغطاء النباتي الذي يتضمن شجيرات السافانا الشوكية التي تقع بين دائرتي عرض 10-14، في السودان بصفة عامة تنتشر فيه مدينة طاب ت بصورة أوسع واستغل كمرع طبيعي لسكان المنطقة والمناطق المجاورة لها

كما ذكر سابقاً في هذا النطاق. وقد قلت المساحات بعد ممارسة النشاط الزراعي خاصة بعد إنشاء مشروع الجزيرة ما ساعد على توافر الاستقرار وال عمران بالمنطقة، كما تم استخدام الغطاء النباتي في الإنارة.. استخدمت الأخشاب في إقاد نار القرآن (التقابة) لقراءة القرآن الكريم وحفظه وأيضاً في إنتاج المهيوبة في المسيد التي تقدم كغذاء ومشروب للزائرين ولكن استعيض عن ذلك حديثاً بعد تطور المدينة باستخدام الغاز وقد كانت تستخدم أيضاً في الإنارة في الخلوة ولكن استخدمت الكهرباء بدلاً عنها.

2/ عوامل الجغرافية البشرية:

تشتمل على الآتي:

1/ حجم سكان مدينة طابت:

يتكون سكان مدينة طابت من عدة عشائر عريقة أقامت في المنطقة، كعشيرة الخشماص وهي عشيرة السيدة عائشة بنت علي بن زماروي بن عبد الدافع بن محمد بن خشوم، زوجة الشيخ عبد المحمود الذي سميت المدينة باسمه، وأيضاً مجموعة من القبائل مثل عشيرة الجرونة، والدناقلة، والبديرية، الشايقية، والجعليين، والكبابيش، والنوبة، والشكرية⁽¹⁶⁾

الكثافة السكانية لمدينة طابت توضحها المعادلة التالية، حيث إن الحدود الإدارية لطابت لم تتغير بمعنى آخر ظلت المساحة ثابتة 2,5 كلم²، بينما زاد عدد السكان بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة والنزوح لوجود الطريقة السمانية بطابت التي عملت علي جلب المريدين للطريقة من مناطق السودان المختلفة للاستقرار مع الشيخ عبد المحمود إضافة لقيام مشروع الجزيرة والذي كان له الدور الكبير في جذب أعداد إضافية من السكان للعمل بالزراعة. وبناء على تعداد السكان لعام 1993⁽¹⁷⁾ م فإن الكثافة السكانية لطابت تكون كما يلي:

عدد السكان بطابت / مساحة طابت بكلم² تساوي 9934 / 2.5 كلم² تساوي 3,974 شخص / كم²

وبناء علي تعداد السكان 2008م⁽¹⁷⁾ فإن الكثافة السكانية لطابت تكون كما يلي: عدد السكان بطابت / مساحة طابت بكلم² تساوي 14,685 / 2.5 كلم² تساوي 5,874 شخص / كم² يلاحظ زيادة الكثافة وذلك نظراً لزيادة السكان وثبات المساحة.

2/ العامل الديني:

كان لاستقرار الشيخ عبد الحمود بالمنطقة مع عدد من المريدين للطريقة السمانية سبباً في نشأة مدينة طابت وتطورها، كما استقر معه بعض من أبناء عمومته السروراب وقبيلة الخشوماب كما ذكر سابقاً (في بداية النشأة) بالإضافة إلى استمرار حركة الارتياح للمريدين حتى الآن.

3/ مشروع الجزيرة:

يعتبر قيام مشروع الجزيرة عام 1925 من أهم عوامل تطور مدينة طابت ونموها واستقرارها حيث عمل معظم السكان بالزراعة ووفدت بعض القبائل التي تمارس الزراعة للمدينة مما ساهم في زيادة عدد السكان مما ساعد على اتساع العمران بالمدينة.

دور العامل الاقتصادي في تطور مدينة طابت الشيخ عبد الحمود:

يتجمع السكان في المدن لممارسة وظائف محددة حتى أن الوظيفة هي مبرر لوجود المدينة، وتتمثل هذه الوظائف في الأنشطة المختلفة التي تقوم بها المدينة⁽¹⁸⁾.

للعامل الاقتصادي دور كبير في زيادة القدرة المادية لمدينة طابت الشيخ عبد الحمود، فقد كان معظم سكان طابت يمتنون الرعي والزراعة، وتطورت هاتان المهنتان وخاصة الزراعة إضافة للرعي، وكان لقيام السوق أثر كبير في نمو العامل الاقتصادي حيث عمل جزء من السكان في التجارة، كما جاءت إلى المدينة كثير من القبائل التي تعمل بالتجارة، وقد ساهم طريق الحياض الفريجاب في النمو الاقتصادي لمدينة طابت الشيخ عبد الحمود، وتعددت الأنشطة الاقتصادية بمدينة طابت وشملت الزراعة، الرعي، التجارة بالإضافة للصناعة، سنناقشها بشيء من التفصيل.

الزراعة:

توفرت الظروف الطبيعية من موقع ومناخ وتربة بمنطقة طابت لذا تعتبر أول الأنشطة في المنطقة وقد كانت قديماً توجد الزراعة المطرية قبل قيام مشروع الجزيرة:

يعد قيام مشروع الجزيرة عام 1925م من أهم عوامل تطوره ونموه

مدينة طابِت وذلك بازدياد عدد السكان واستقرارهم حيث عمل معظم السكان بالزراعة فوفدت لمنطقة طابِت مجموعة من القبائل للعمل في الزراعة، ثم تطورت الزراعة بعد قيام مشروع الجزيرة إلى الزراعة المروية التي تعتبر زراعة بالري الإنسيابي طول العام مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية باستخدام الدورة الزراعية، وشملت محاصيل الذرة والقمح والبقول السوداني والخضروات والفاكهة بالإضافة لمحصول القطن⁽¹⁹⁾.

الرعي:

حرفة الرعي نشاط قديم مارسه السكان في المراعي الواسعة منذ النشأة، ولكن مشروع الجزيرة أثر على النباتات الطبيعية بسبب التوسع الزراعي المروي، ولكن بقايا المحاصيل بعد الحصاد والأراضي البور اللتان تشكلان مراعي طيبة للثروة الحيوانية بالمدينة والريف الذي يتبع لها تستفيد منها مدينة طابِت في المنتجات الحيوانية.

التجارة:

تعتبر النشاطات التجارية من أهم الوظائف التي تقدمها المدينة ليس لسكانها إنما للجماعات التي تقطن خارج حدودها، كما أنها من الأسباب الرئيسية التي تجذب السكان إلى العيش في المدن. كشفت المقابلات الشخصية أن التجارة بمدينة طابِت بدأت قليلة مقارنة بالزراعة والرعي، وكانت في البداية تعتمد على نظام المقايضة بتبادل السلع بين المزارع والتاجر وهي تتمثل في الذرة والقمح، التي يقدمها المزارع للتاجر مقابل سلع أخرى كالسكر والشاي والزيت وغيرها من الاحتياجات كان يتم ذلك في دكاكين مبنية من الطين وبعض من الرواكيب، خاصة وأن الوظيفة التجارية تعد أساسية في حياة المدن⁽²⁰⁾. وخاصة السوق الذي عرفه أرباب بأنه هو المكان الذي يقام في مكان وزمان معلومين ويكتسب صفة الانتظام وهو إما أن يكون أسبوعياً أو نصف أسبوعي أو نصف شهري فضلاً عن أسواق تنصب مرة في العام وتستمر أياماً وتنشأ الدورية من عوامل مختلفة تؤدي إلى صعوبة قيام سوق يومية منتظمة مثل صعوبة حركة النقل⁽²¹⁾، فقد كانت البداية الحقيقية للتجار بمدينة طابِت في الخمسينيات عندما تحولت الدكاكين الصغيرة إلى بنايات من الطوب الأحمر في بداية السبعينيات واتجه معظم السكان للتجارة وأصبح السوق سوقاً مستديماً وأسبوعياً يوم الأحد والأربعاء

ويرتاده السكان من جميع المدن والقرى وأصبح مصدر دخل أساسي لمعظم السكان في المنطقة. ونسبة لازدياد كمية التجارة ونمو المنطقة فتطور السوق إلى سوق متخصص مثل سوق الخضر والفاكهة وسوق الحبوب وسوق مخصص لبيع الماشية، وكذلك سوق خاص بالأواني المنزلية والحدادة والنجارة ومحلات لبيع البهارات والزيوت، سوق خاص بتجارة النساء وغيرها، ويوجد سوق للدلالة تباع فيه بعض البضائع المستعملة من مختلف السلع⁽²²⁾، ويكتظ السوق بالسكان الوافدين من القرى المجاورة وذلك لشراء احتياجاتهم وبيع بضائعهم وبيع وشراء المواشي والذرة ويشهد السوق في قمته حركة تجارية لا تتأثر إلا في هذين اليومين كما يزيد عدد المراجعين للمستشفيات والمجلس ودار القضاء والمحكمة التي تنعقد في يومي الأحد والأربعاء يومي السوق، لذلك يزداد عدد سكان مدينة طابت بازدياد عددهم في هذين اليومين وتكثر حركة النقل، وتكثر⁽²³⁾ مساهمة الزائرين لمركز الطريقة السمانية بالمدينة في زيادة حركة السوق خاصة في فترة الاحتفالات الدينية، وخاصة من القرى القريبة كقرية وادي شعير وفطيس والفريجاب وغريقانه، كما يمثل مسيد الشيخ سوقاً يومياً للزائرين من المناطق القريبة وقمته يومي السوق وكلما كان للزائر حاجة للسوق يصل المسيد للزيارة ويتضح ذلك بأنه في يوم السوق يكون مسيد الشيخ عبارة عن موقف صغير لنقل الزائرين من وإلى السوق.

الصناعة:

ارتبطت الصناعة بالمدن منذ نشأتها، وتعد الصناعة جزءاً مهماً من الأساس الاقتصادي لكثير من المدن وخاصة المدن الكبرى⁽²⁴⁾ تتسم طبيعة المدن، وبخاصة الكبيرة منها، مع قيام النشاطات الصناعية لأنها تتصف بكثير من عناصر الإنتاج الصناعي كالأيدي العاملة ورؤوس الاموال، بالإضافة إلى اعتبارها عقدة تلتقي عندها طرق النقل التي تجلب إليها المواد الأولية من مناطق واسعة وتنقل منها المواد المصنعة إلى المراكز⁽²⁵⁾. والصناعة قديمة في كثير من المدن، وتوجد بمدينة طابت مجموعة من الصناعات الصغيرة لسد حاجة سكان المنطقة متمثلة في مجموعة من الصناعات الخفيفة الصغيرة كصناعة عصر الحبوب الزيتية وبلغ عدد العصارات سبع عصارات وكذلك قشارات للحبوب مثل الفول السوداني وبلغ عددها خمسة وتوجد أربع ورش حدادة ونجارة، وكما نشأت فيها الصناعات الخفيفة ذات المنشآت الكبيرة تتمثل في

مصنعين للحلويات والطحنية ومصنع للشعيرية وهناك مصانع للصابون (26)

السياحة:

يعتبر النشاط السياحي من أهم الأنشطة الاقتصادية والموارد المهمة في كثير من الدول حيث يشكل دعامة قوية وخاصة في الدول التي تحظى بتاريخ عريق وبها موروثات حضارية ودينية (27) وساهمت في ذلك إقامة الشيخ عبد المحمود بمدينة طابـت لاهتمامه بالتعليم الديني حيث بنى المسجد وأسس فيها خلاوي القرآن الكريم مما خلق مكانة معنوية كبيرة لها.. وهذا العامل الديني أثر تأثيراً كبيراً في مدينة طابـت حيث إزداد بها عدد السكان من مختلف أنحاء السودان وأيضاً من خارج السودان.. انظر صورة (2) فأصبحت مدينة طابـت مدينة سياحية دينية يتزايد أعداد الزوار للشيخ في أيام الأعياد والمواسم الدينية.

صورة رقم (2) وفد بريطاني يزور الشيخ الجبلي بمدينة طابـت



المصدر: العمل الميداني 2022 م

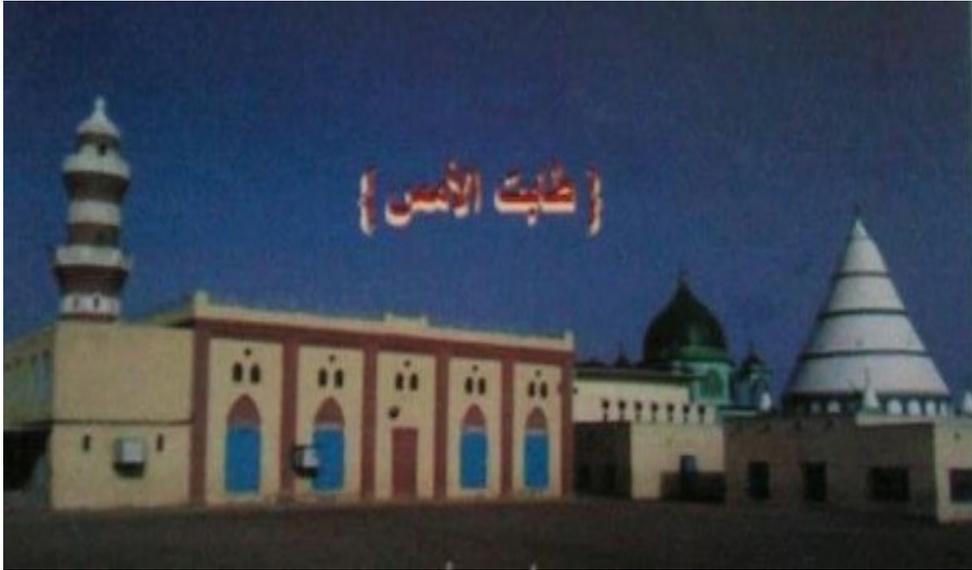
تؤكد ذلك الدراسة الميدانية في أن عدد المرتادين في موسم المناسبات الدينية تبلغ نسبتهم 50% وتمثل أعلى نسبة من مجموع الزائرين وتمثل في حضور احتفالات موسم شهر رجب وتبلغ نسبة من يزور مركز الطريقة السمائية بمدينة طابـت في رجب والمولد النبوي الشريف 27% وتقل نسبة الزائرين لمدينة طابـت في العيدين حيث تبلغ نسبتهم 23% وأسهم ذلك في تنمية مدينة طابـت اقتصادياً خاصة في التجارة لتلبية احتياجات المرددين الوافدين في موسم الأعياد والمناسبات. هذا وقد عرفها بعض الجغرافيين بما يعرف بنمط سياحة المناسبات وهي التي تقوم على الاعتماد على المناسبات الدينية والاحتفال بالأعياد الدينية. (28)

يتضح من المقابلات الشخصية أنه كلما زادت المسافة من مدينة طابِت قل حجم الزائرين ويعود ذلك لبعُد المكان وارتفاع سعر التذكرة..هذه الصعوبات أدت إلى تقليل عدد الزائرين من المناطق البعيدة في السودان خاصة من ولاية كردفان والبحر الأحمر ونهر النيل.

عند خلافة الشيخ الجيلي (تلميذ الأستاذ الشيخ محمد ود البدوي والذي أخذ العلم عليه وقام الشيخ بتدريس العلم والفقهِ⁽²⁹⁾ قام بتوسيع وتجديد بناء المسجد ليسع أكبر عدد ممكن من المصلين وخاصة في فترة الأعياد⁽³⁰⁾ قارن بين الصورة رقم (3) والصورة رقم (4) كما جدد بناء أضرحة أجداده قارن بين صورة رقم (5) وصورة رقم (6) ووسع المضيقة حيث قام بإنشاء مضيقات جديدة لاستقبال الوفود الداخلية والخارجية، انظر صورة رقم (7)، وكان عالماً جليلاً ومتميزاً تخرجت على يديه أجيال كثيرة⁽³¹⁾.

كل ذلك ساعد في تكوين صورة ذهنية جيدة تجسدت فيها القيم والمعتقدات الدينية مما شكّل دافعاً لجذب الزائرين من داخل وخارج السودان، ويظهر ذلك من خلال الوفود المتعددة الجنسيات التي تأتي لزيارة مشيخة الطريقة السمانية بمدينة طابِت، انظر الصورة رقم (2)، ويؤكد ذلك ما ذكره (سميث/ Smith، 1983)⁽³²⁾ عن أهمية الصورة الذهنية في حجم التدفق السياحي نحو أي مكان يقصده الفرد.

صورة رقم (3) المسجد والأضرحة قبل خلافة الشيخ الجيلي بمدينة طابِت



المصدر العمل الميداني: 2022م

صورة رقم (4) مسجد الطريقة السمانية بمدينة طابت بعد التجديد



المصدر: العمل الميداني 2022م

صورة رقم (5) ضريح الشيخ عبد الحمود من الخارج قبل التجديد بمدينة طابت



المصدر: العمل الميداني 2022م

صورة رقم (6) ضريح الشيخ عبد المحمود من الخارج بعد



التجديدالمصدر: العمل الميداني2022م
صورة رقم (7) توسيع المضييفة لاستقبال الوفود الداخلية والخارجية



العمل الميداني،2022م

ويؤكد (إدريس، 2013)⁽³³⁾ أن أعلى نسبة للزائرين لحضور الاحتفالات الدينية للطريقة السمانية بمدينة طابـت من المناطق المجاورة ، نسبة لسهولة الوصول إلى طابـت وقرب المكان وخاصة الزائرين من قرى غريقانة وفطيس والفريجاب وأبوعدارة ومن جميع قرى الإقليم المحيط بطابـت حيث توجد بها عدد من المواقف التي تستخدم للنقل العام وربطها بالمناطق المختلفة مثل موقف ووادي شعير والهدي وأبوقوتة والمحيرييا والمناقل والعازي وسرحان ويتفق ذلك مع ما ذكره (بيرث Pearce، 1981)⁽³⁴⁾ إن المسافة بين النية والقرار والفعل قد تطول لمختلف الأسباب وتوجد عقبات تؤثر في السفر أو عدمه وأيضاً من ناحية وسيلة السفر ومدته، وبالإضافة للسياحة الدينية يقوم الزائرون بالاستفادة بصورة أكبر من الخدمات والسلع الموجودة بالمدينة وذلك كما ذكر (McIntosh and Goldner 1990)⁽³⁵⁾ أن الإنسان عادة يفضل السفر إلى المكان الذي يتحقق فيه أكبر عدد من الأهداف والغايات ويؤكد ذلك⁽³⁶⁾ أن بعض الزائرين كانت زيارتهم بالإضافة لزيارة الشيخ كانت لأسباب إقتصادية كالبيع في المسجد حيث يمثل مركز طابـت سوقاً جاذباً لبعض التجار وذلك لزيادة عدد السكان في المدينة بزيادة أعداد الزائرين الذي يمثل قوة شرائية عالية وخاصة للبضائع ذات الطابع الديني مثل الكتب الدينية والسبح وصور المشايخ وغيرها.

دور الخدمات الاجتماعية في تطور مدينة طابـت الشيخ عبد الحمود:

أورد (جابر، 2006)⁽³⁷⁾ أن المدن ظهرت لتقوم بوظائف مركزية. يظهر ذلك في توفر الخدمات المختلفة التي تقدمها المدينة نحو سكانها وسكان المناطق المجاورة. وتشتمل على الآتي:

1/ الخدمات التعليمية:

بدأ التعليم بمدينة طابـت بالتعليم الديني وكان أول عمل قام به الشيخ عبد الحمود ومريدوه بناء الشيخ عبد الحمود جامعاً وخلوة لتدريس المريدين القرآن الكريم وعلومه حتى يستطيعوا نشر تعاليمهم في مناطق أخرى وأسست أول خلوة بطابـت على يد الشيخ عبد الحمود مع تأسيسه للمدينة مباشرة ثم أسس الشيخ عمر الشيخ عبد الحمود ثاني خلوة في عام 1936م⁽³⁸⁾ ، ثم أسس بعد ذلك المعهد الديني في عام 1946 م وقد طوره الشيخ الجيلي 2000م

انظر صورة رقم (1) وفق مؤهلات علمية عالية، بني في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة في مساحة تبلغ أربعة آلاف وستمائة متر مربع ، وبه مسجد كبير وبه مطبخان واستراحتان للضيوف، ويضم طلاب العلم من كل بقاع السودان للعلم والمعرفة الدينية⁽³⁹⁾ والدين بالخلوي التي أقامها الشيخ عبد الحمود كما ذكر سابقاً.

أما بالنسبة للتعليم النظامي الحديث ظهر التعليم بمدينة طابرت في تأسيس وبدء نوع من التطور في التعليم فتأسست مجموعة من المدارس تضم المدرسة الصناعية التي تأسست عام 1929م ثم مدرسة حسان بن ثابت للبنين تأسست عام 1937م وتعتبر هي المدرسة الأم بالمنطقة، بالإضافة إلى مدرسة لقمان الحكيم بنين للأساس وتأسست عام 1939م ثم مدرسة طابرت الابتدائية للبنات ومدرسة السيدة هاجر بنات للأساس وتأسست عام 1971م، وقد أسست مدرسة طابرت المختلطة 1980م وذلك لزيادة أعداد الطلاب الذين بلغوا سن التعليم من الجنسين ولم يجدوا فرصاً بالمدارس التي سبق ذكرها، بعدها تأسست مجموعة من المدارس المتوسطة وتضم مدرسة طابرت المتوسطة للبنات تأسست عام 1948م ثم المدرسة المتوسطة بنين تأسست عام 1958م كما تأسست المدرسة المتوسطة الأهلية بنين عام 1965م إضافة لتأسيس مدرسة السيدة صفية الثانوية للبنات عام 1987م وأضيفت مدرسة الشيخ عبد الحمود الثانوية العليا بنين عام 1976م، وهناك بعض الخدمات التابعة للتعليم تشمل المكتبات إذ قامت بمدينة طابرت مجموعة من المكتبات لخدمة التعليم بالمنطقة وتوفير الضروريات لذلك مثل الأدوات المكتبية من كتب ومجلات وجرائد وأدوات مدرسية وغيرها، ثم تبعها تأسيس مكتبتين، مكتبة الكوثر في عام 1958م وصاحبها الشيخ الطيب الشيخ عبد الحمود وقد قامت بتوفير ما تحتاجه المدينة. ثم تلتها مكتبة الحفيان «المسيد» تأسست عام 2001م وقام بإعدادها الشيخ الجيلي الشيخ عبد الحمود وقد وفرت الكتب الدينية. كما تأسست مطبعة عام 1981م قامت لتخدم سكان المنطقة من طباعة الكروت الخاصة بالمناسبات والتي كانت تتم الدعوة لها سابقاً بعربة بها مكبر صوت تجوب المنطقة لمدة يومين أو ثلاثة أيام⁽⁴⁰⁾.

يتضح من هذا أن التعليم تطور بالمدينة بزيادة عدد المدارس.. وهذا يوضح زيادة حجم السكان وحاجتهم للتعليم النظامي والديني على حد سواء.

الخدمات الصحية:

الخدمات الصحية تابعة لوزارة الصحة الاتحادية، وكانت تتمثل في شفاخانه تم بناؤها عام 1932م وكانت تخدم كل القرى المجاورة و تم وضع حجر الأساس لمستشفى طاب ت عام 1972م وضمت أربعة عنابر مختلفة (رجال، نساء، أطفال، ولادة) كما تضم كرتينة بنيت بعيداً عن العنابر بالإضافة إلى مكتب لصحة البيئة يختص بتوعية المواطنين، وتبعاً للمستشفى قامت صيدليات وبلغ عددها ثلاث وهي صيدلية طاب ت (النيل) وتأسست عام 1972م وصيدلية الشفاء (أبو إدريس) تأسست عام 1988م بالإضافة إلى صيدلية (النيل 2) وتأسست عام 1999م. وقد أقيمت عام 1982م عيادة بيطرية تهتم بصحة الحيوان ومتابعة الذبائح⁽⁴¹⁾.

الخدمات الأمنية والإدارية:

إن وقوع المنطقة منذ القدم في منطقة وسط أمنة لم تتأثر بزعة الأمن مع المستعمر بعيدة عن النيل الأزرق والأبيض الذي يشكل للمستعمر طريق عبور بسبب صعوبة النقل لرداء الطرق الترابية والوسيلة المستخدمة (الدواب)، أدى ذلك إلى جذب العديد من السكان الذين تأثروا بحروب المستعمر إلى هذه المنطقة من المناطق المجاورة ومدينة طاب ت باعتبارها من مناطق الجزيرة التي تقع في الوسط بعيدة عن النيلين شهدت تدفق العلماء، وتم تأسيس المراكز الدينية وبدأت ملامح الطرق الصوفية الدينية تبرز في بيئة طاب ت وكان للشيخ دور كبير في استتباب الأمن بالمنطقة فتوافر الأمن أوجد عاملاً مساعداً في جذب العديد من السكان للمنطقة والاستقرار فيها.

كان زواج الشيخ عبد الحمود من الشنابلة الذين تتبع لهم منطقة الحصاصيصا وطاب ت وما حولها سبباً في أن أكرمته الشنابلة بإعطائه العمودية فأصبح لدى مدينة طاب ت شيخ وعمدة وكانت الإدارة الأهلية في عهد الحكم الثنائي محصورة في أسرة الشيخ عبد الحمود وكانت مهمتهم الحكم والفصل في المشاكل حيث الناظر في بيته أو في السوق ثم أصبحت هناك دار في مباني المدرسة الوسطى يجلس بها العمدة والنظار تسمى «محكمة طاب ت الأهلية» عام 1937م صارت المحكمة تابعة للقضاء وأصبح في طاب ت قاضياً مقيماً يحكم في معظم القضايا الكبيرة، منها تحول إلى الحصاصيصا ومدني يصدر أحكاماً مثل بعض العقوبات كالسجن والغرامة وغيرها⁽⁴²⁾، تأسست عام 1964م

نقطة بوليس، ثم تطورت إلى قسم للشرطة عام 1969م لفض النزاعات ولحفظ الأمن وهو يعمل برئاسة رتبة عقيد تتبع له نقطتان هما الفريجاب وفطيس ومهمتهما عمل الدوريات الليلية لحراسة الأسواق ومرافق الدولة بالمدينة وما جاورها صورة رقم (8) ويمثل هذا النظام نظام المحاكم الصغرى إلى أن تحول في 1970م إلى محكمة قاضي مقيم بطابت وتتبع إليها محاكم شعبية بطابت والفريجاب وفطيس، وفي عام 1971م تأسست محكمة طابت بالمدينة مهمتها الفصل في القضايا بين السكان بدل السفر إلى الحصاصيصا ومدني وتم فتح مكتب للمحاميين في المنطقة لخدمة سكان مدينة طابت والمناطق المجاورة لها. أما بالنسبة للإدارة تأسس مجلس بالمدينة لريفي طابت عام 1970م لتقديم خدمات التعليم والصحة والإسكان وغيرها لمدينة طابت وما جاورها من القرى، ويتبع للمجلس مكتب للأراضي ومهامه مسح وتسجيل بالإضافة إلى توزيع الخطة الإسكانية، وهناك مكتب للإحصاء لإحصاء السكان بالإضافة لإقامة مكتب للضرائب في عام 1998م لجباية الضرائب السنوية ومتابعة الرخص التجارية وغيرها من الأعمال لضبط العمل التجاري بمدينة طابت والقرى المجاورة لها. كما يوجد بالمدينة رئاسة الوحدة ورئاسة مكاتب التعليم والصحة.

صورة رقم (8) قسم الشرطة بمدينة طابت



المصدر: العمل الميداني 2022م

خدمات النقل:

تتطلب أي حركة بشرية لأي مسافة طرُقاً أو قنوات اتصال تتم عبرها، ووجود الطريق بين مكانين دليل على تجاذبهما. تساهم وسائل النقل بصورة فعالة في نقل الركاب من مناطقهم إلى مدينة طابت عاصمة الوحدة الإدارية (طابت) فجميع المحلات العمرانية بكل وحدة إدارية مجاورة لوحدة طابت مربوطة بطرق ترابية في كل يوم، ويشهد يوماً السوق (الأحد والأربعاء) قمة الازدحام بالعربات والسكان من الساعة السابعة صباحاً إلى السادسة مساءً بينما توجد طرق مسفلته كالطريق الذي يربط طابت بمدينة الحصاصيما الذي يبلغ طوله (44 كلم) تقريباً وتم افتتاحه عام 2001م، وقد ربط طابت بالمدن الأخرى والطريق القومي بالحصاصيما⁽⁴³⁾، وهنالك طريق آخر له أهميته وهو يربط سكان مدينة طابت بقرية الفريجاب ثم الذكريين (التي تبعد عن الغزالي 6 كلم) على الرغم من قصر الطريقين مقابل الريف التابع لطابت وخارج إقليمها. لهذين الطريقين أهمية يساعدان على نقل العديد من سكان القرى التي تقع بالقرب منهما في موسم الخريف بصورة أفضل من القرى التي تقع على الطرق الترابية في هذا الموسم.

خدمات المياه والكهرباء بمدينة طابت الشيخ عبد الحمود:

كان سكان مدينة طابت يحصلون على المياه من الحفائر والآبار كما ذكر سابقاً، ولزيادة حجم السكان وحاجة السكان للمياه الصحية أنشأت إدارة خدمات مشروع الجزيرة شبكة المياه الارتوازية في كافة قرى المشروع من ضمنها مدينة طابت وكانت أول بئر في طابت عام 1950م وتم توزيع مائها للأحياء من «الاكشاك» وقد وصل عدد الآبار الآن في طابت إلى خمس آبار إرتوازية تم توزيعها في أحياء طابت وأصبحت الشبكة تابعة لهيئة مياه المدن وأقيمت مكاتب لتوفير خدمات المياه المختلفة، أما الهيئة القومية للكهرباء فقد بدأت خدماتها عام 1963م وتقوم بتقديم خدمات من صيانة ومد التوصيلات الجديدة بالمدينة والقرى التابعة لها.

الخدمات الثقافية:

تعتبر ممارسة الرياضة من الأمور التي تروح عن النفس وقد بدأ الاهتمام بالرياضة في مدينة طابت الشيخ عبد الحمود في الأربعينيات وأول نادٍ شيد في الخمسينيات كان النادي الأهلي وبعده قام نادي العمال، كما تضم

المدينة اتحادًا لكرة القدم يضم كل الأندية بالمنطقة، وتشمل الأندية الكثير من النشاط الرياضية والثقافية (44).

خدمات أخرى:

يوجد بمدينة طابت خدمات سلكية ولاسلكية في القناطر لخدمة المشروع الزراعي ثم مكتب للبريد منذ عام 1974م ثم تطورت خدمات الاتصال ووصلت خدمات سوداتيل للمدينة عام 1999م والهاتف السيار لكل أنواع الشركات الموجودة في السودان مما ساعد على ربط المدينة بالخارج، كما يوجد بها طلبات البترول وخدمات للغاز.

الخاتمة:

تعتبر مدينة طابت الشيخ عبد المحمود من المدن التي نشأة وتطورت باستقرار أحد مشايخ الطرق الصوفية بها وتضافرت مجموعة من العوامل الطبيعية من موقع وتربة صالحة للزراعة والرعي، فتطورت الأنشطة الاقتصادية بقيام مشروع الجزيرة مما كان له دور كبير في جذب السكان والاستقرار بصورة أكبر ثم تطورت التجارة والسياحة وتطورت الصناعة بالمدينة كما تطورت الخدمات الاجتماعية بالمدينة عددًا ونوعًا من خدمات تعليمية وصحية وبالإضافة للخدمات الإدارية والأمنية وبهذا تحولت منطقة طابت من منطقة صغيرة يعمل سكانها بالرعي والزراعة إلى مدينة تخدم سكانها وريفها.

النتائج:

توصل البحث إلى النتائج التالية:

1. نشأت مدينة طابت نشأة دينية باستقرار الشيخ عبد المحمود الذي أسسها من مساحة رعوية ومنطقة زراعة مطرية إلى قرية دينية صغيرة تحوي مريدي الشيخ فقط.
2. كان لمشروع الجزيرة دور كبير في زيادة حجم السكان ومساحة طابت من قرية صغيرة إلى قرية كبيرة.
3. تطورت الخدمات من تعليم نظامي وصحة وكهرباء ومياه وطرق، وتطورت التجارة فأصبحت مدينة إدارية تخدم ريفها، مربوطة بطرق يومية خاصة يوم السوق.

التوصيات:

يوصي البحث بالآتي:

1. لا بد من ربط المدن الريفية التي تقع في إقليم مدينة طابـت بطرق مسفلتة مع مدينة طابـت مما يسهم في تطوير مدينة طابـت تجاريًا وصناعيًا بصورة أقوى.
2. تشجيع البحوث الجغرافية لدراسة المدن الصغرى.
3. تشجيع البحوث الجغرافية لدراسة العلاقة بين المدن الصغرى وإقليمها المحيط.

الهوامش:

- (1) احمد على اسماعيل ،دراسات في جغرافية المدن ،الطبعة الرابعة،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة،19،1988
- (2) عبد الرزاق عباس حسين،جغرافية المدن، المكتبة الوطنية، بغداد،18،1977-19
- (3) زكي مبارك التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، القاهرة،1938،ص
- (4) أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المدخل إلى التصوف الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر، القاهرة،22،1979
- (5) عبد المحمود عبد القادر الجيلي ، الشيخ عبد القادر الجيلي حياته وأثاره،تحقيق الشيخ الجيلي الشيخ عبدالمحمود، الطبعة الثانية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم ،95،2007.
- (6) عبد الجبار المبارك الحفياني: الاستاذ الشيخ عبد المحمودالشيخ نور الدائم حياته وأثاره ، دار السداد للطباعة، الخرطوم،308،2004.
- (7) عبد المحمود عبد القادر الجيلي،2007، مرجع سابق،96 98-.
- (8) عبد الجبار المبارك الحفياني، الاستاذ الشيخ عبد المحمودالشيخ نور الدائم حياته وأثاره ، دار السداد للطباعة، الخرطوم،2004، مرجع سابق ، 305.
- (9) عبد المحمود عبد القادر الجيلي ،2007، مرجع سابق،98.
- (10) احمد على اسماعيل ،1988، مرجع سابق،79
- (11) إيناس الشريف عبد المحمود ، طابت عبد المحمود، مكتبة الأكاديمي للنشر والتوزيع، الخرطوم،2009،40-49.
- (12) احمد على اسماعيل ،1988، مرجع سابق،259
- (13) صديق البادي ،معالم واعلام ، الطبعة الاولى،الخرطوم ،دار الثقافة والنشر،1،1967.
- (14) محمد ومحمد ، محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني،دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي في السودان،دار الرائد للطباعة والنشر، القاهرة ، 1996، 100.
- (15) محمد ومحمد ، محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي،1966،المرجع نفسه،105.
- (16) نظرات في التصوف الاسلامي،الشيخ عبد المحمودالجيلي الجزء الاول شركة مطابع العملة المحدودة ، الخرطوم، 2001، 49.
- (17) الجهاز المركزي للاحصاء، التعداد السكاني الخامس لجمهورية السودان، قسم الخرائط والمعلومات ،مصلحة الاحصاء ،الخرطوم،2008.
- (18) عبد الرزاق عباس حسين،1977، مرجع سابق،22.
- (19) إيناس الشريف عبد المحمود ،2009، مرجع سابق ، 40-49.
- (20) عبد الرزاق عباس حسين ،1977، مرجع سابق،73.
- (21) محمد إبراهيم أرياب، الأسواق الدورية في منطقة عسير،إصدارا مركز البحوث، جامعة الملك سعود فرع أبها، السعودية،1997، 33.

- (22) إيناس الشريف عبد المحمود، 2009، مرجع سابق، -55 51.
- (23) **انعام سليمان محمد ادريس**، أنماط انتشار الطريقة السمانية في السودان، رسالة دكتوراه، جامعة الزعيم الأزهرى، 171، 2013-172.
- (24) عبد الرزاق عباس حسين، 1977، مرجع سابق، 109.
- (25) عبد الرزاق عباس حسين، 1977، المرجع نفسه، 318.
- (26) الإحصاء الصناعي، وزارة الصناعة، المجلد الثاني، الخرطوم، 2005، 502.
- (27) المدخل إلى جغرافية السياحة، جامعة قنا، السويس، 2019، 7.
- (28) محمد وحمدى، محمد صبحى عبد الحكيم وحمدى أحمد الديب، جغرافية السياحة، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة أبناء وهبه حسان، الطبعة الثانية، 2001، 35.
- (29) عبد القادر الجيلي (1970): نفحة الرياض البواسم في مناقب الشيخ عبد المحمود، القاهرة، 125، 1970.
- (30) عبد المحمود عبد القادر الجيلي، 2007، مرجع سابق، 81.
- (31) صديق البادي، 1، 1967.
- (32) McIntosh.R and Goodlier (1990): Tourism: Principles, Philosophies. New Yourk: John Wiley and Sons.
- (33) **انعام سليمان محمد ادريس**، 2013، مرجع سابق، 141-142.
- (34) Pearce, Douglas, (1981): Tourism Development. London longman.
- (35) 35-Smith Margot W (1986): Physician's Specialties and medical trade Areas: An Application of central place Theory, Papers and Proceeding of Applied Geography Conferences Vol 9, West Point.
- (36) **انعام سليمان محمد ادريس**، 2013، مرجع سابق، 172.
- (37) احمد على اسماعيل ، 1988، مرجع سابق، 165.
- (38) عبد المحمود الشيخ الجيلي «الحفيان» 2001، مرجع سابق، 150.
- (39) الطيب محمد الطيب، السيد، الطبعة الأولى، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 1991، 43-44.
- (40) عبد اللطيف سعيد، طاب تابات الشمس غابت، دار جامعة افريقيا للطباعة والنشر، الخرطوم الطبعة الأولى، 1999، 3-8.
- (41) بشير محمد سعيد، إدارة السودان في الحكم الثنائى، مطبعة جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، 15، 1988.
- (42) **انعام سليمان محمد ادريس**، 2013، مرجع سابق، 140.
- (43) عبد اللطيف سعيد، 1999، مرجع سابق، 47.

مدينة الفاشر (الأصالة والتاريخ)

جامعة السودان المفتوحة

أ.د. محمد أبو محمد إمام

المستخلص:

تعد مدينة الفاشر من أهم المدن السودانية في غرب السودان، وهي مدينة عريقة ضاربة في القدم، لها طعم وعبق خاص يميزها عن غيرها من المدن السودانية. وقد ظلت منارة علمية سامقة تحمل لواء الثقافة الإسلامية لقرون من الزمان منذ أن أسسها السلطان عبدالرحمن الرشيد أحد سلاطين الفور الأقوياء في سنة 1792م. وتميزت بعلاقاتها وصلاتها الدينية القوية مع بلاد الحجاز، إذ كانت ترسل إليها محملاً سنوياً ضمن محامل العالم الإسلامي الأخرى، كما وطدت علاقاتها التجارية والعلمية مع مصر، وعبر درب الأربعين كانت القوافل التجارية تخرج من مدينة الفاشر محملة بالسلع والبضائع المختلفة، مثل السمسم، والصبغ، والفول، والمواشي، والجلود، والعاج، وريش النعام، والعطرون، والشب. وكانت القافلة تحتوي على آلاف الجمال تمر عبر واحات الصحراء المختلفة لتصل إلى أسسيوط، ثم تحط رحالها في مدينة القاهرة حيث تفرغ حمولتها، وتعود مرة أخرى إلى الفاشر تحمل الأقمشة، والمنسوجات، والأواني المنزلية، والسكر، والمصنوعات المعدنية المختلفة، وأدوات الزينة والصابون، والعمود والروائح الهندية وغيرها من المتطلبات، كما كانت الفاشر تبعث بطلاب العلم إلى الأزهر الشريف لتلقي العلم، وكان لطلاب دارفور رواق خاص بهم، وبعد أن يتزود هؤلاء الطلاب بالعلوم والمعارف يعودون مرة أخرى إلى وطنهم لينشروا العلم بين أهلهم وذويهم. وكانت لمدينة الفاشر علاقات متميزة ومراسلات وتبادل للهدايا مع سلاطين الدولة العثمانية في اسطنبول. وقد جذبت المدينة إليها كثيراً من العناصر البشرية من أنحاء متفرقة من دارفور ومن الشمال النيلي، ومن الجزيرة، ومن غرب إفريقيا، كما ضمت عدداً مقدراً من أولاد الريف والأقباط والشوام والأغاريق، والليبيين وغيرهم. وقد عاشوا جميعاً في إلفة وترابط ووئام، وشكلت هذه العناصر البشرية نموذجاً متفرداً للترابط الاجتماعي والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد.

Fasher city (Authenticity and history)

Mohamed Abo Mohamed Emam

Abstract:

This study dealt with the history of Al- Fasher city which is one of the most important cities in western Sudan. It has been an influenced center of Islamic culture for centuries since it was founded by the Sultan Abd-Al-Rahman Al-Rashid one of the powerful Fur Sultans in 1792 AD. Al-Fasher was distinguished by its strong religious relations and lines with AL-Hijaz, as well as its commercial and scientific relations with Egypt. Through Darb- Al-Arbeen, the trade convoys were leaving Al-Fasher city loaded with goods and merchandise such as sesame, gum, peanuts, livestock, leather, Ivory, ostrich feathers. The caravan contained thousands of Camels passing through the desert Oases to reach Assut and then Landed in Cairo to unloaded its goods. After that, the carvans came back to Al-Fasher carried fabrics, textiles household utensils, Sugar, metal products, Cosmetics, perfumes and other requirements. Many students were sent from Al-Fasher to study in Al-Azahar Al-Shareef, after years of studding they came back home provided with knowledge where they spread what they studied among the population, and work hard to educate them about their religion. Al-Fasher also had distinguished relations, correspondence and exchange of gifts with the ottoman state Sultans in Istanbul. The city of Al-Fasher attracted many peoples from different parts of Darfur, Northern Sudan, Al-Gezira. It also included number of Egyptians (Awlad – Al-Reef), Copts, Libyans, Greeks and others. All these groups of people lived in harmony and intimacy. They formed a unique model of peaceful society.

نشأة مدينة الفاشر:

ارتبطت نشأة مدينة الفاشر بسلطنة الفور الإسلامية، التي سبقتها نشأة سلطنتين في دارفور هما سلطنة الداو، وسلطنة التنجر. وقد حكمت سلطنة الداو دارفور في الفترة من 1200 - 1359م، والداو من القبائل الحامية التي استوطنت دارفور وحكم منهم سبعة وعشرون سلطاناً، كان آخرهم السلطان (كسفروك) الذي عانى أهل البلاد كثيراً من ظلمه وجبروته⁽¹⁾. وقد امتدت سلطنة الداو نحو المنطقة الشرقية والجنوبية من إقليم دارفور، ولم تمتد إلى الشمال أو الغرب، ولم يستطيعوا السيطرة على جبل مرة، وقد هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى وادي واستقروا بها، وصاروا جزءاً من التركيبة السكانية في دار سلا⁽²⁾.

جاءت سلطنة التنجر بعد ذلك لتحكم دارفور بعد سقوط مملكة الداو، وكان عهد سلطنة التنجر عهداً إسلامياً، ويؤكد ذلك وجود أنقاض لجوامع بمدينة (أوري)، وعين فرح، ومناطق أخرى بشمال دارفور، وهناك أوقاف وأطيان بالمدينة المنورة باسم التنجر وباسم ملكهم أحمد بن رفاعة المشهور بـ (شاو دورشيد). وقد عرف التنجر بالحكمة والمرونة في تصريف شؤون الدولة⁽³⁾.

بدأت دولة التنجر في التفكك والانحيار في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وفقدوا السلطة في البلاد بإزاحة (كور) لهم، وتأسيسه لمملكة الفور الوثنية، وقد تمكن (كور) هذا من إلحاق الهزيمة بشاو دورشيد آخر ملوك التنجر، بينما اعتبر دالي هو المؤسس الأول لسلطنة الفور⁽⁴⁾. والفور هم سكان دارفور الأصليين، وأصحاب السيادة في جبل مرة والمرتفعات، وهم الذين أعطوا اسمهم للإقليم كله فصار يعرف باسم دارفور، وسبب إطلاق اسمهم على كل الإقليم يعود إلى أنهم كانوا بصفة عامة أهم قبيلة في هذه المنطقة، وأنهم نجحوا في تأسيس سلطنة كبيرة ازدهرت طويلاً⁽⁵⁾.

نشأت مملكة الفور قوية منذ بدايتها بعكس الممالك التي سبقتها، فقد عمرت لمدة طويلة من الزمان، واستمر حكمها زهاء أربعة قرون، حكمها عدد من السلاطين الأقوياء، وتعرضت خلال مسيرتها لهزات عنيفة حيث سقطت دولة الفور الأولى على يد الحكم التركي المصري في السودان، وذلك بمقتل السلطان إبراهيم قرظ في سنة 1875م في معركة منواشي الشهيرة على يد الزبير باشا، وبعد سقوط الدولة المهديّة رجع علي دينار إلى الفاشر

لإحياء ملك آبائه، وقد سقطت دولته على يد الإنجليز عام 1916م، واستشهد السلطان علي دينار آخر سلاطين الفور في منطقة (كولبي) بوادي صالح⁽⁶⁾. اتخذ سلاطين الفور من جبل مرة موطنًا للسلطنة، وقد ذكر أوفاهي أنه كان لكل حاكم من سلاطين الفور مجمعه الخاص في جبل مرة، وهو مجمع مبني من الحجر، ولكنها كلها كانت داخل إقليم طرة من عام 1860م تقريبًا، وعندما نزل الكيرا إلى السهول كان لكل سلطان فاشر أو أكثر، يعكس موقعه من الاحتياجات السياسية والعسكرية في تلك اللحظة، وقد بنيت هذه المعسكرات السلطانية من الحجارة أو الطوب أو سيقان الدخن حسب المواد المتوفرة⁽⁷⁾.

ارتبطت كلمة الفاشر ارتباطًا وثيقًا بمجالس سلاطين الفور، فالسلطان أحمد بكر 1726-1746م، نقل فاشره من (طرة) بشمالي جبال مرة، وهي العاصمة القديمة للموك الفور الأوائل إلى (قرلي) ثم نقل ابنه السلطان محمد تيراب 1768-1787م، فاشره من (قرلي) إلى (شوبا) شمال شرقي مدينة كباكية الحالية، ثم نقله مرة أخرى إلى (الريل) جنوب شرقي منطقة (شنقل طوباوية)، ثم نقله مرة ثالثة لأسباب حربية إلى جديد رأس الفيل شمال شرقي منطقة منواشي الحالية⁽⁸⁾. وكان الطور الأخير ظهور عاصمة دائمة في الفاشر حول رهد تندلتي في حوالي 1206هـ/1791-1792م⁽⁹⁾. حيث اختار السلطان عبدالرحمن الرشيد مدينة الفاشر عاصمة جديدة للسلطنة. وتقول الرواية أن السلطان عبدالرحمن الرشيد عندما أراد اختيار عاصمة جديدة له بعث بمن يأتيه بأخبار منطقة تتوفر فيها مواصفات إنشاء مدينة، وكان توفر المياه بالطبع أهم هذه المواصفات - وقد عثر الناس أثناء بحثهم عن هذه المدينة على ثور ملطخ بالطين حتى بطنه نتيجة لخوضه في الماء، فمتبعوا أثره إلى أن وجدوا الماء فقالوا أن الماء (تندل هنا) وكان ذلك سببًا لتسمية الفاشر بتندلتي⁽¹⁰⁾.

كان السلطان عبدالرحمن الرشيد من أميز سلاطين الفور، ويعتبر عهده صفحة جديدة في تاريخ دارفور السياسي، وكان محبًا للعلم والعلماء، وينقله العاصمة إلى الفاشر شجع هجرة الدناقلة والجعليين والشايكية إليها، إضافة إلى العلماء الوافدين من غرب إفريقيا. كما أنه وطد صلاته بالعالم الخارجي، وخاطب السلطان العثماني الذي شكره بخطاب رقيق ولقبه بالرشيد⁽¹¹⁾.

بناءً على ما سبق فإن اسم الفاشر مأخوذ من مجلس السلطان، أو الساحة التي يجلس فيها للحكم أو ديوانه. وتقول الروايات المتداولة عند أهلها: أن المرأة إذا أحست بظلم وقع عليها تسلم أمرها لله وتقول إنها تجد

حقها في (فاشر أبو فاطمة)، وتعني بذلك يوم الحساب عند الرسول ﷺ. تعد الفاشر صورة مكبرة لمنزل الفور من حيث مداخل الذكور والإناث، وترتيب الأكواخ، الدواوين وأماكن الاستقبال، وتوجد سمات مشتركة بين القصر الملكي ومنازل الأثرياء على السواء. كان التمييز الجنسي أو الفصل بين الجزء الخاص والجزء العام أساسياً⁽¹²⁾. وينقسم الفاشر عادة - القصر السلطاني - في وضع شمال جنوب، إلى منطقة ذكور شمالية ومنطقة إناث جنوبية يتم الدخول إليهما عن طريق بابين مختلفين، إذ يؤدي أحد الأبواب إلى القسم العام الذي يضم الموظفين والخدم والرقيق، ويقود الباب الآخر إلى باب النساء الملكيات والمحظيات وبعض الخصيان⁽¹³⁾.

تقود بوابة الرجال إلى سلسلة من الحظائر الكبيرة، تضم الأولى وهي مباشرة على يمين المدخل الجياد الملكية وسائسيها، والرسل الملكيين والمنادين، تليها الحظيرة التي تضم أكواخ الحرس الشخصي للسلطان⁽¹⁴⁾.

كان الفاشر هو جوهر أو لب الدولة، وكان حلبة الصراع السياسي ومحور الإدارة، وميدان تدريب العسكريين والإداريين، ومركز إعادة توزيع البضائع والخدمات، ومحكمة العدل النهائية، ومكان الاحتفالات الوطنية والمقابلات الرسمية والاستعراضات التي تقام في الأرض الفسيحة أمام مجمع القصر الذي هو الفاشر الحقيقي. ويأتي إلى القصر مقدمو العرائض يلتمسون العدل أو الحظوة⁽¹⁵⁾. وكان بيت الجباية الذي يشرف على الواردات السلطانية مرادف للفاشر، ويقوم بدوره كدار للضرائب والجباية، وكانت كل الدخول تأتي فعلياً إلى العاصمة، ولكن سجلات جمعها وتخزينها وتوزيعها كان يسيطر عليها السلطان عن طريق الجباة أو جامعي الضرائب، وكان هناك تمييز رسمي بين الدخول من الحبوب والقماش والحيوانات المخصصة لإمدادات القصر من جانب، وبين الدخول المخصصة لإعاشة العسكر في كل أنحاء السلطنة من الجانب الآخر⁽¹⁶⁾. وكان في كل أنحاء السلطنة مقاطعات ملكية أو إقطاعيات يخصص دخلها كلية للفاشر، كان أكبرها في جبل مرة حيث توجد حاكورة السلطان⁽¹⁷⁾. وكانت التقاليد السلطانية تقضي أن يحافظ كل ذي منصب على موضع سكنه بالنسبة لقصر السلطان خلفاً عن سلف، فكل من تولى منصباً عليه أن يبني بيته في محل صاحب المنصب الأول أو قريباً منه، ويحافظ هؤلاء على هذا النظام أثناء السفر كذلك⁽¹⁸⁾.

عرف الذكور من أفراد الأسر المالكة بالأمراء، عليهم رئيس منهم يحمل لقب (باسي)، وهو المسؤول عن سلوك أفراد الأسرة المالكة، وترتيب زواج الأميرات، أما الأميرات فعرفن باسم (ميارم)، مفرده ميرم، كما عرفت الأميرة الأولى باسم (إيا باسي). أما العجائز منهن فكن يعرفن بالحبوبات، أما السيدة الأولى بالقصر السلطاني فإنها كانت تحمل لقب (إيا كوري) أي الملكة. وقد تكون الإيا كوري إحدى زوجات السلطان أو أمه أو أخته الكبرى، وتتمتع بالإياكوري بنفوذ واسع⁽¹⁹⁾.

ازدهرت مدينة الفاشر أيما ازدهار في فترة وجيزة من عمر الزمان، وبلغت شهرتها الآفاق واهتم سلاطينها بالعلم والعلماء والفقهاء، وقصدها الناس من كل حدب وصوب. وقد شجع مؤسسها وباني نهضتها السلطان عبدالرحمن الرشيد الفقهاء وأغدق عليهم، ولما ظهر عدله وحبه للعلماء وأهل الفضل والأشراف، وقد عليه الأشراف من جهات عديدة، فكان أول وافد عليه والد الرحالة محمد بن عمر التونسي الذي استقبله السلطان بكل حفاوة وأكرمه ومنحه الأعطيات⁽²⁰⁾. ووفد على السلطان عبدالرحمن كذلك الفقيه الزاهد الناسك الشيخ التمر الفلاني، كما وفد عليه الفقيه النبيه الشيخ حسين عماري الأزهري. ووفد عليه من أشراف مكة الشريف مساعد (يقال أنه من أولاد الشريف سرور). وكان قاضيه الفقيه عزالدين الجامعي، وهو قاضي القضاة بدارفور وأعمالها⁽²¹⁾.

كان عبدالرحمن الرشيد مهتمًا أيما اهتمام وحريصًا على انتظام سير القوافل التجارية بين مصر ودارفور إلا أن بعض أمراء الممالك في مصر دأبوا على الإغارة على تلك القوافل التجارية وتعطيل سيرها، ولذلك فإنه لما انتصر نابليون على أمراء الممالك بادر إلى تهنتته بهذا الانتصار حتى يضمن استمرار سير قوافله، لا سيما بعد أن أعلن نابليون احترامه للدين الإسلامي⁽²²⁾. ولعله أخطأ التقدير في هذه التهنتة.

استقبلت مدينة الفاشر كذلك الرحالة محمد بن عمر التونسي كما استقبلت والده من قبل، وكان محمد بن عمر قد نشأ في مصر وتلقى تعليمه في الأزهر، وكان مولده في تونس سنة 1204هـ/1789م من أب تونسي وأم مصرية، وكانت زيارته للفاشر في عام 1803م، وعاش فيها حوالي سبعة أعوام ونصف، ألم خلالها إلمًا تامًا بأحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية، ونظمها السياسية والإدارية والحربية. وجاء كتابة تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان

غنيًا بالمعلومات عن سلطنة دارفور ونظمها وتقاليدها، وهو مصدر أساسي من مصادر المعلومات عن سلطنة دارفور⁽²³⁾.

وكان الرحالة الإنجليزي براون أول رحالة أجنبي أوروبي تطأ قدماه مدينة الفاشر في عهد السلطان عبدالرحمن الرشيد، وقد سلك براون في رحلته إلى دارفور طريق درب الأربعين من أسويط إلى الفاشر، وظل براون يقيم نحو ثلاث سنوات بمدينة الفاشر من يوليو 1793م إلى مارس 1796م. وقد ظل في أثناء إقامته كأنه سجين، إذ لم يسمح له بالتجول في البلاد أو جمع معلومات عنها بسبب ارتياب السلطان في نواياه، باعتباره أوروبيًا مسيحيًا. لم يعثر براون على تاريخ مدون لدارفور، ولذا جاءت معلوماته التي استطاع الحصول عليها من أهلها قليلة سطحية يشوبها الاضطراب، وقلّة العمق باستثناء بعض المعلومات الخاصة بأحوالها الجغرافية والاقتصادية في ذلك الوقت⁽²⁴⁾. وكان الرحالة الألماني جوستاف ناختيقال من أشهر الرحالة الذين حطوا رحالهم في مدينة الفاشر في عام 1874م، ودون ملاحظاته عنها، وكان قد قدم إليها من وداي وقد بدأ رحلته من طرابلس الغرب في ليبيا متجهًا إلى دارفور عن طريق بحيرة تشاد، وباقرمي، ووداي⁽²⁵⁾.

مكث ناختيقال ستة أشهر في الفاشر في عهد السلطان إبراهيم محمد حسين آخر سلاطين الفور، إلا أنه لم تتح له فرصة التحرك لأسباب عديدة منها الاضطرابات التي اعترت المملكة في حدودها الجنوبية والشرقية، إثر مناوشات الزبير باشا، كما أن السكان المحليين لم يرحبوا به، وكانت الحكومة المصرية حينها وحكومة الخرطوم تعدان العدة لغزو دارفور⁽²⁶⁾. وعلى الرغم من كل تلك الأسباب، إضافة إلى قصر المدة التي مكثها إلا أنه تمكن من جمع مادة غزيرة ثرة، وروايات شفوية ومكتوبة من تاريخ دارفور الوسيط، خاصة وأنه كان آخر من شاهد هذه السلطنة العظيمة، ووثق تاريخها وهي في آخر حلقة من حلقات انهيارها وسقوطها عام 1874م بعد أن بقيت لأكثر من ثلاثة قرون⁽²⁷⁾.

دور مدينة الفاشر في بسط الثقافة الإسلامية في دارفور:

كانت المرحلة الأولى التي نشأت فيها سلطنة الفور، مرحلة انتقالية حفلت بالتحولات المهمة في تاريخ المنطقة، وتم فيها الانتقال من العقيدة الوثنية إلى العقيدة الإسلامية بتوابعها وتأثيراتها القومية على الثقافة واللغة، وهي أيضًا

مرحلة تأسيس الدولة المتحدة وإنهاء حكم العشائر والجيوب المعزولة التي كانت تنعم بالاستقلال في التصرف والحركة، كما شهدت هذه الفترة وضع الدستور والقانون الذي تناول الجزاءات، وطريقة انتقال السلطة، وتأكّدت فيها الهوية الإسلامية للدولة، واعتمدت اللامركزية نمطاً للحكم، وحرص كل سلطان على منافسة سابقه بالمحافظة على قيم الدين⁽²⁸⁾. وقد استمرت المؤثرات الإسلامية تأتي على الإقليم من عدة اتجاهات، وذلك بتشجيع من سلاطين الفور، فقد وفدت إليها هذه المؤثرات من بلاد النيل، وعبر كردفان، ومن مصر عبر درب الأربعين والواحات الغربية، ومن تونس والمغرب عبر دروب الصحراء الكبرى، ومن بلاد السودان الغربي⁽²⁹⁾. وقد بالغ السلاطين في إكرام العلماء وحفظ القرآن الكريم، مما دفعهم للهجرة إلى دارفور، فهاجر علماء من الحجاز مثل محمد بن صالح الكتاني، الذي كان إماماً للسلطان محمد دورا، وحسين الأحمر من كردفان، وعلي الفوتاوي من باقرمي في عهد السلطان أحمد بكر، وعمر التونسي وابنه محمد، وقد سبقت الإشارة إليهما⁽³⁰⁾. وبفضل جهود العلماء من دارفور من خريجي الأزهر بمصر، فقد انتشر الوعي الديني بين طبقات العامة، وصارت دارفور وعاصمتها الفاشر قلعة حصينة ترفرف عليها رايات الإسلام، ودخل المذهب المالكي، وبعض قراءات القرآن المشهورة إلى الإقليم، وفتحت مصر صدرها لاستقبال الطلاب القادمين من دارفور للدراسة في الأزهر الشريف، وقد أفرد لهم رواق خاص بهم، أطلق عليه رواق دارفور⁽³¹⁾. كانت دارفور غنية برجالها، غنية بدينها، فانتشرت الخلاوي لتدريس القرآن الكريم الذي كان يحفظه أغلب الرجال، كما بنيت المساجد الضخمة، وجلس فيها علماء المغرب ومصر، وخريجو الأزهر من أهل البلاد لتدريس العلوم الدينية والعربية، ونشر الثقافة الإسلامية، وكان السلاطين يهتمون بتربية أبنائهم فيحضرون لهم علماء أجلاء لتدريسهم وتربيتهم الدينية الخالصة، وتنشئتهم على دراسة تاريخ الإسلام، وعلى العموم فإن الفاشر عاصمة السلطنة، وإن لم تتهيأ لها الظروف لأن تكون عاصمة السودان الموحد، كما كان الحال مع سنار، فإنها بحق كانت عاصمة السودان المسلم دون منازع، ومركزاً مهماً من مراكز الثقافة الإسلامية، وأختاً صغرى من أخوات سنار العظيمة، وأن تاريخها المجيد جدير بأن يأخذ مكانه اللائق في تاريخ عواصم الإسلام⁽³²⁾.

لقد شاركت دولة الفور مشاركة كبرى في ترسيخ البناء الإسلامي القوي في الإقليم، ومن خلال عاصمتها الفاشر كانت تمارس نشاطها الديني الواسع

في أطراف السودان الغربي، وقامت بإثراء الحركة الإسلامية التي بدأت تتخذ منها معقلاً إسلامياً تنطلق منه الدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية في جنوب وغرب السودان، وكانت دارفور ميداناً التقت فيه الهجرات وطرق القوافل التي كانت تلتقي في أماكن عديدة من القارة الإفريقية⁽³³⁾.

كان من أهم المظاهر الدينية التي تميز مدينة الفاشر خاصة، ودارفور على وجه العموم، هو استقبال شهر رمضان المعظم، حيث كانوا يستقبلونه بالبشر الشديد في زفة كبرى يشارك فيها السلاطين والقادة والعلماء وسائر المواطنين بالطبول والإنشاد على الدواب من خيول وجمال وحمير، ثم المشاة تعلقو وجوههم البهجة، وتمتلىء قلوبهم بالسعادة والحبور، وكان السلطان عبدالرحمن الرشيد مؤسس مدينة الفاشر يصوم رجب وشعبان ورمضان، ويتبع ذلك بست من شوال، والأيام البيض من كل شهر، وكان يحضر بعد صلاة العصر دروس الحديث النبوي الشريف من صحيح البخاري على مدار شهر رمضان، وكذلك الرعية في دارفور⁽³⁴⁾. وكان يدرس لأهل الفاشر عاصمة السلطنة كتاب (الدرة الوفية على الخصائص المحمدية) الذي ألفه الشيخ عمر التونسي والد الرحالة محمد بن عمر التونسي، كما ألف شرحاً على مختصر الشيخ خليل المالكي في الفقه في مجلدين سماه (الدر الأوفى على متن العلامة خليل بن اسحق)⁽³⁵⁾. وفي السنوات التي تلت حكم عبدالرحمن الرشيد كان الناس يدرسون في شهر رمضان المعظم كتاب (الشفاء في شمائل المصطفى) للقاضي عياض، وهو أمر لا زال مستمراً حتى تاريخ اليوم في مدينة الفاشر، كما كانوا يدرسون كتاب (تذكرة القرطبي) لأن فيه وصف أهل النار وأهل الجنة، والكل يأمل في دخول الجنة⁽³⁶⁾. وكان السلطان علي دينار يأتي بحفظة القرآن جميعاً من كل دارفور، ويجعلهم يختمون القرآن في شهر رمضان مع الصلوات والترابيح وقيام الليل، حتى يتم العيد السعيد بالفطر المبارك، ثم يكرمهم ويهاديهم ويجعلهم يعودون إلى مناطقهم في حبور ووثام، وكان السلطان يريد تشريف عاصمته الفاشر بهذا الحدث العبادي الكبير الذي هو أحد أركان الإسلام الأساسية، ولذلك تجد الناس يحرسون حرصاً شديداً على إتقان عبادة الصوم أدباً وتهذيباً وصوناً للجوارح من أي أمر يفسد الصوم مع الاهتمام بكتب العلم مثل ابن عاشر، والصفطي، والرسالة، ومختصر خليل⁽³⁷⁾.

لقد تسابق السلاطين في إحياء سنن الدين وإماتة البدع، وكان كل واحد منهم حريصاً على التمايز على هذا الأساس، وكانوا في غاية التوفيق عندما

اختاروا (التعلم) وسيلة لإدارة عملية التحول من دولة لا تدين بدين سماوي إلى دولة إسلامية دون أن تعرف ردة أو ارتكاسًا عن الهدف الذي حدده بناء الدولة الأولون، فالإسلام دين معرفة، ومن عرف وفقه دعوته جعل أسلوبه في الدعوة قائمًا على الحكمة والموعظة الحسنة والتأثير على الآخرين بأخلاق الفضيلة وتقدير القدوة الحسنة، وهكذا حافظ الإسلام في دارفور على مزية في الخلاوي ليس فقط بتغلغله في الأخلاق، بل أيضًا بتركيزه على حفظ القرآن الكريم وكتابته⁽³⁸⁾.

مراسم تولية السلاطين بالفاشر:

كان اختيار السلطان بالفاشر قرارًا سياسيًا، ولكن بمجرد أن يتم اختياره فإنه يشغل منصبًا مقيدًا بعمق طقوس وممارسات لها جذورها في معتقدات الفور الدينية، وهنا يتجلى الخط الفاصل بين الأبعاد الفوراوية والإسلامية بشدة. وكان موت السلطان يبقى سرًا داخل الفاشر لأطول فترة ممكنة، بينما تجري المشاورات والمناورات في اختيار السلطان الجديد. وفي فترة خلو العرش كان مجمع القصر تحت إشراف الأب الشيخ. وكان يسبق احتفالات التنصيب تغير في درجة سرعة الطبول المستخدمة لنقل الأخبار لكل أنحاء القصر والمستوطنات المحيطة به. فالضربات البطيئة التي تعلن وفاة السلطان تزيد سرعتها لتعلن خلفه⁽³⁹⁾.

وكان يعلن اسم السلطان الجديد للناس بواسطة (الموجيه) منادي البلاط، وتبدأ مراسم التنصيب عندما يذهب السلطان الجديد في عزلة لمدة سبعة أيام في الأكواخ داخل أبعاد فناء في القصر، ولا يمارس أثناء هذه العزلة أي عمل عام، وفي اليوم الثامن تأتي السيدات كبيرات السن والجدات تحت قيادة ملكتهن إلى السلطان، وهن خبيرات في العادات، وكانت كل واحدة منهن تحمل حربتين تضربهما ببعضهما البعض، وتحمل إحداهن فرشاة مصنوعة من سعف النخيل بعد نظافته، وجرّة فيها سائل، ومرة بعد أخرى كانت تضع من هذا السائل على السلطان، بينما تنشد الأخرى تعابير طقوسية معينة، ثم يؤخذ السلطان بعد ذلك إلى بيت النحاس مصحوبًا بالحرس السلطاني. وكان بيت النحاس يقع في الفناء الخارجي بالقرب من بوابة الذكور⁽⁴⁰⁾. وهناك تجري احتفالات التنصيب والتتويج بقرع الطبول، وتقف النساء حول أكثر الطبول أهمية واسمها المنصورة وهن يرددن الأهازيج والأناشيد ضاربات بحرابهن ثم

يصحبن السلطان بعد ذلك إلى ما يعرف بالكر حيث يتم تتويجه، وبينما هو جالس على الكر يضع أحد الزعماء طاقية على رأسه، ويقوم زعيم آخر بوضع العمامة، وثالث يضع الشال، حتى يكتمل لبس السلطان، بعد ذلك يقسم الزعماء الحاضرون يمين الولاء، ثم يعلن أن السلطان قد توج ويعاد (الكر) أخيراً إلى بيت النحاس، وتستأنف الحياة العامة عندما يفتح السلطان الجديد ديوانه.

كانت حياة السلطان مقيدة بالمحرمات والبروتوكولات والطقوس والأعياد والمهرجانات. وكانت أهم هذه المهرجانات مهرجان تجليد النحاس، المهرجان الوطني الكبير الذي يعقد في شهر فبراير أو مارس ويستمر ما بين ثمانية إلى عشرة أيام⁽⁴¹⁾.

محمل سلاطين الفور إلى الحرمين الشريفين:

أولى سلاطين الفور عناية بالغة للحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد حمل السلطان عبدالرحمن الرشيد لقب خادم الحرمين الشريفين دلالة على اهتمامه بأمر الحرمين الشريفين.

يقول نعوم شقير: إن سلطنة الفور كانت مستقلة عن دول الأرض كلها لا تدفع جزية - ضريبة - لأحد ما عدا الحرمين الشريفين، فإنها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة⁽⁴²⁾. وكان محمل سلاطين الفور يخرج من الفاشر عاصمة السلطنة متوجهاً إلى مصر محملاً بريش النعام، وشن الفيل (العاج)، والصبغ، والسمس، والرقيق وغير ذلك مما تنتجه البلاد من خيرات، فتباع كل هذه البضائع والسلع في أسواق القاهرة، ويستكمل بريعها مبلغ الصرة المرسله إلى الحرمين⁽⁴³⁾.

كان المحمل يخرج من مدينة الفاشر قاصداً مصر عبر درب الأربعين للانضمام إلى المحمل المصري والتحرك معاً. وكان من عادة السلاطين في دارفور الخروج في موكب بهيج احتفالاً بوداع المحمل. فقد كان السلطان يركب جواداً قبل الظهر بساعتين، وهو جواد مزركش العدة، وأمامه العساكر حاملين أسلحتهم النارية مشاة، ومن ورائه الخصييان راكبين الخيول، إضافة إلى بعض الجياد المسرجة بكامل زينتها يقودها السياس خلفهم صفاً واحداً، وعن جانبي السلطان نفر من المشاة، يتناوبون حمل مظلة واسعة تظلل السلطان وتظلل جواده⁽⁴⁴⁾. وكان أهل الفاشر يتقاطرون إلى ساحة القصر

السلطاني لوداع القافلة وليشهدوا موكب المحمل الشريف الذي يتقدمه أمير الحج، وإمام الصلوات الجامعة، وجماعات الحجيج القادمة من مدن دارفور المختلفة وضواحيها والتخوم المجاورة لها، وعندما يستقيم ميسم التجمع في ساحة القصر السلطاني، ويتعالى صوت القرع على نحاسات السلطان، وترفع أصوات المزامير، يخرج ممثل السلطان إلى الجموع ويخطرهم بأوامره القاضية بتحريك المحمل الشريف. وفي ضوء الإشارة السلطانية يبدأ الموكب مستهلاً بأي من الذكر الحكيم التي يتلوها طلاب الخلاوي، وحفظه القرآن الكريم زافين بها المحمل إلى مشارف مدينة الفاشر⁽⁴⁵⁾. ومن ثم يتوجه الموكب صوب الأراضي المقدسة - عبر مدينة الخرطوم - أو غيرها من الطرق المأهولة، وبعد راحة قصيرة يتجدد المسير إلى مدينة سواكن للعبور إلى بلاد الحجاز. ويقال أن الناس في جدة ومكة كانوا يخرجون زرافات ووحداً لمشاهدة محمل دارفور وحراسه الذين درجوا على تقديم بعض العروض الفنية بحرابهم المزوقة بريش النعام، وذلك في خفة ومهارة⁽⁴⁶⁾. وفي بعض الأحيان كانت قوافل دارفور تقصد مصر محملة بالغالي والنفيس من خيرات البلاد، وفيها من البضائع السمن والعسل، وسن الفيل وريش النعام، والصمغ تباع في مصر التي يوجد فيها الحاكم بالديار المصرية ممثلاً للباب العالي في تركيا، وقد كانت صرة الحرمين عبارة عن المبالغ المالية التي ترسلها دارفور سنوياً نظير بيع البضائع المحملة إلى مصر، وقد كانت مبالغ كبيرة خصص عائداً منها للقائمين على إدارة الحجاز لتساعدهم في أداء واجبهم، وكانت ميزانية سنوية استمرت منذ عهد قديم⁽⁴⁷⁾. وكانت صرة من الصرر تصحب برهط من الأغوات الذين اختيروا للعمل في خدمة الحرمين الشريفين، وصون مرافقها، وكانت أجورهم تدفع بصورة دورية وتمثل جعلاً مهمّاً من صرة دارفور. وقد استمر محمل دارفور يخرج بصورة منتظمة كل عام من مدينة الفاشر إلى الأراضي المقدسة، وقد توقف لبعض الأعوام في عهد السلطان علي دينار الذي لم يكن على وفاق مع نظام الحكم الثنائي في الخرطوم، وقد جرت بينه مكاتبات عديدة وبين الحاكم العام ونجت باشا، والمفتش العام سلاطين باشا بشأن السماح للمحمل بالعبور إلى بلاد الحجاز، وقد تمكن السلطان علي دينار من إرسال المحمل في الأعوام 1904م، و1906م وكان ذلك تحت إمرة الشيخ محمد سيمايو الركابي⁽⁴⁸⁾. وفي 15 شوال 1331هـ/16 سبتمبر 1913م خاطب السلطان علي دينار سلاطين باشا أعلمه بتحريك المحمل الشريف من الفاشر إلى الخرطوم، ومنها إلى سواكن، ثم

الأراضي المقدسة، وكان ذلك المحمل آخر المحامل الشريفة وصررها المباركة إلى الحرمين الشريفين، وكان آخر محمل تودعه مدينة الفاشر أبو زكريا، وبعدها أسدل الستار على إرث سلاطين دارفور وتقليدهم الإسلامي التقليد⁽⁴⁹⁾.

ظلت مدينة الفاشر عاصمة لإقليم دارفور لمُدَى أكثر من قرنين من الزمان منذ أن تم تأسيسها على يد السلطان عبدالرحمن الرشيد في عام 1792م، وقد جذبت إليها كثيراً من العناصر البشرية من مختلف بقاع الأرض، وضمت بين جنباتها معظم المكونات القبلية في دارفور، ومن الشمال النيلي ومن وسط السودان من الجزيرة، وبعض العناصر الوافدة من غرب إفريقيا، والمغاربة والسنهاير وأولاد الريف وهم مصريون من أصول تركية ولهم حي كامل في المدينة عرف باسم حي أولاد الريف. وهناك الأقباط والأغاريق والشوام والفيضان وغيرهم. وقد احتضنت الفاشر جميع هذه العناصر بدفء وحنان وبادلوها العطاء، وشكلت هذه العناصر البشرية المختلفة نموذجاً متفرداً للترابط الاجتماعي، والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، ورسوموا لوحة بديعة للحياة الإنسانية الراقية في أبهى صورها. فهناك حمد الشايقي بشلوخه الشايقية المميزة ولهجته الفاشرية الأصيلة، وهدوئه وطيبته نفسه، تجده حاضراً في كل مناسبة ومحفل، وصار جزءاً لا يتجزأ من مجتمع الفاشر الكبير. وهناك التهامي وداره الفسيحة العامرة، وهو أول من أدخل البصات السفرية في الإقليم. وضمت المدينة عدداً كبيراً من مشاهير العائلات والأسر التي استوطنت المدينة منذ أمد بعيد مثل (آل السنهوري الريح، وآل السناري، وآل محمد كوكو، وآل القاضي إدريس، وآل أبو سم، وآل إلياس جاد كريم، وآل الطاهر محمد إبراهيم، وآل أبو اليمن، وآل محمد عبدالرحيم حماماتي، وآل الحاج بابكر كرم الله، وآل التاي، وآل عبدالرازق التويم، وآل الكرف، وآل الطاهر العبادي، وآل الخليفة بابكر، وآل سهل البشير، وآل زيدان، وآل شطة، وآل الخضر، وآل الشيخ بشير مالك، وآل صالح حسن، وآل الحلو، وآل عوض بلال، وآل التنقاري، وآل أبو شيبه، وآل قنديل، وآل طاشين، وآل عوض الله دفع الله، وآل الكوارته وغيرهم كثر)⁽⁵⁰⁾. وقد تخصص أولاد الريف في زراعة الخضروات التي يمدون بها كافة أهل المدينة، ومنهم آل الشيخ العالم حسن سالم، وآل الأستاذ المؤرخ سليمان إبراهيم، وآل نورالدين، وآل خلاف، وآل أبوصبرنج، وآل سلطان، وآل محمود أبودقل، وآل عبدالمجيد، وغيرهم من الأسر العريقة⁽⁵¹⁾.

تعد مدينة الفاشر من المدن الغنية بمشاهير علمائها الذين تلقوا دراساتهم في الأزهر الشريف، ودرسوا في معهدها العلمي العريق، وغنية

بمساجدها ومشايخها من أهل التصوف بمختلف مشاربهم، إلا أن الطريقة التجانية هي الغالبة، وهناك حي يسمى حي التجانية، ومن زعمائهم ومشايخهم الشيخ منقه، والشيخ سيدي محمد. ومن علماء وفقهاء مدينة الفاشر البارزين الشيخ أحمد أمين عبدالحميد، والشيخ حسب النبي يوسف إمام الجامع الكبير، والشيخ محمد الأمين كرار، والشيخ محمد أحمد سوار مدير المعهد العلمي، والعالم الكبير المرحوم الشيخ إبراهيم عبدالقادر. ومن أعلام الإدارة الأهلية ورجالاتها الذين لا يشق لهم غبار الملك رحمة الله محمود الذي مثل الفاشر في الجمعية التشريعية حتى مارس 1953م، وكان عضواً في أول برلمان سوداني، وكان من المساندين لإعلان الاستقلال من داخل البرلمان⁽⁵²⁾. ومن أعلام المدينة ومشاهير التجار الشيخ أحمد بابكر نهار، وكان من أعيان الفاشر الذين أثروا حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو من أعيان حزب الأمة وله مساهمات مقدرة في المجتمع الفاشري، ومن التجار أيضاً المرحوم عبدالقادر أبو سم وله أيادٍ بيضاء على المدينة. ومنهم محمد الصديق السنهوري وهو من مشاهير التجار بسوق الفاشر، ومنهم المرحوم أبو زيد علي محمد عثمان وهو شيخ سوق الفاشر⁽⁵³⁾. ومن القادة العسكريين اللواء محمد إدريس عبدالله ابن (القاضي إدريس)، وكان اليد اليمنى للفريق إبراهيم عبود في حكومة 17 نوفمبر 1958م، ومنهم الفريق الركن إبراهيم سليمان رئيس هيئة الأركان الأسبق، ووالي ولاية شمال دارفور 2002 - 2003م. وهناك المرحوم فضل موسى الذي عمل بالسلك العسكري إلى حين تقاعده وهو من كبار رجالات حزب الأمة والأنصار، سياسي متمرس عاصر كثيراً من الأحداث وله إمام كبير بتاريخ دارفور والفاشر على وجه الخصوص⁽⁵⁴⁾. ومن أعلام مدينة الفاشر المرحوم عثمان حمزة السمانى والد الدكتور محمد آدم اختصاصي النساء والتوليد، والمهندس جلال، والتوأم حسن وحسين وإخوانهم، ومن رجالات الأنصار المخلصين المرحوم الفكي شريف محمود إمام جامع الأنصار، والمرحوم عبدالقادر أحمد إمام جامع تمباسي. ومن أعلام المعلمين الأستاذ زكريا إدريس عبدالله (القاضي إدريس) وهو والد الأستاذ عبدالله زكريا قائد اللجان الثورية، ومنهم الأستاذ محمد مصطفى السناري، والأستاذ جبريل عبدالله⁽⁵⁵⁾. ومن الأعلام الذين أنجبتهم مدينة الفاشر المرحوم أبو حمد حسب الله، وقد بلغت شهرته الآفاق، درس في الأزهر الشريف، والولايات المتحدة الأمريكية. كما أهدت مدينة الفاشر إلى السودان أعلاماً في مختلف التخصصات العلمية ومنهم

على سبيل المثال لا الحصر البروفيسور سليمان صالح فضيل صاحب مستشفى فضيل التخصصي، وشقيقه الدبلوماسي التجاني صالح فضيل، والبروفيسور محمود موسى أستاذ الطب البيطري ومدير جامعة جوبا الأسبق، وكذلك عمل مديرًا لجامعة الفاشر، والعلامة البروفيسور عبدالله بريمة (اللغة العربية) تلقى دراساته في الأزهر الشريف، والبروفيسور إبراهيم آدم إسحق أستاذ اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية، والبروفيسور عبدالرحمن سراج أستاذ الحديث وعلومه بجامعة أم درمان الإسلامية، والبروفيسور صلاح الدومة أستاذ العلوم السياسية بجامعة أم درمان الإسلامية، والبروفيسور عبدالله عبدالحى أستاذ العقيدة بجامعة القرآن الكريم، وغيرهم كثر*⁵⁶.

حرق العلم الإنجليزي بمدينة الفاشر:

يعتبر حرق العلم الإنجليزي في مدينة الفاشر من كبريات الأحداث التي شهدتها مدينة الفاشر إبان الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، وكان وقعه على الإدارة الاستعمارية في الخرطوم أليماً ومهيناً في نفس الوقت.

لقد تمردت مدينة الفاشر من قبل على سلطات الحكم الثنائي في عهد السلطان علي دينار ولم تخضع للحاكم العام إلا بعد استشهاد السلطان علي دينار في عام 1916م، وها هي تعود مرة أخرى لتتمرد على الإدارة الاستعمارية بحرق العلم البريطاني.

كان من الأسباب التي أدت إلى حرق العلم البريطاني أن أبناء دارفور الذين يدرسون بمصر قد سمعوا أن الإنجليز يخططون لفصل إقليم دارفور عن بقية السودان وضمه إلى جنوب السودان ليتكون من دارفور، والجنوب، وكينيا، ويوغندا كمنولث Common Wealth شرق إفريقيا مثل كمنولث غرب إفريقيا الذي يضم نيجيريا والدول الأخرى التي تتبع للسيطرة البريطانية، كما أنهم تسامعوا شائعة بأن شخصاً بعينه يريد الإنجليز تنصيبه ملكاً على دارفور، وقد رتبوا قيام معرض قبلي بمدينة زانجي لإخراج ذلك الترتيب، وأن الحاكم العام السير (روبرت هاو) سيكون حاضراً لذلك الملتقى⁽⁵⁷⁾. وما أن تسامع الطلاب الذين يدرسون بمصر بذلك حتى تسارعوا إلى ترتيب أنفسهم وتشكيل وفد منهم يضم أربعة أشخاص للذهاب إلى السودان والتأكد من تلك الأخبار التي سمعوها، وقد ساهم في تحريك وفد دارفور من مصر مسؤول شؤون السودانين بمصر السيد الدريدي أحمد إسماعيل، ووزير الخارجية المصري

محمد صلاح الدين، وأحد رجالات الحزب الاتحادي وهو إبراهيم جبريل⁽⁵⁸⁾. وصل وفد الطلاب إلى الخرطوم والتقوا بالسيد إسماعيل الأزهرى، والسيد مبارك زروق، والسيد يحيى الفضلي وتفهموا أمرهم، وشجعوهم للسفر إلى الفاشر عاصمة دارفور الكبرى لمجابهة الأمر، وقد انضم إليهم خمسة آخرون لتكون اللجنة تساعية، ووصل الوفد إلى الفاشر والتقوا بكافة مكونات المجتمع وتبادلوا الآراء، وواصلوا جهودهم وكونوا لجاناً بالأحياء والأسواق والمؤسسات الحكومية لمناهضة هذا الأمر⁽⁵⁹⁾. وبعد أن تم الإعداد الدقيق لهذا الأمر والتعبئة على مدى أسبوع كامل تحركت مسيرة الطلاب من معهد الفاشر العلمي من مسجد الفاشر الكبير، وملكوا طريق سوق الفاشر الرئيس من الشرق إلى الغرب مروراً بدكان الخواجة (مماكوس) ثم اتجهوا شمالاً إلى المدرسة الأهلية، وهتف الطلاب بسقوط الاستعمار وانضم إلى المظاهرة عدد من المواطنين، وغلت المدينة غلياناً شديداً، وتوجه المتظاهرون نحو مركز الفاشر حيث يوجد المفتش، وقد تصدى لهم البوليس وانهالوا عليهم ضرباً، وقد سقط على الأرض الشيخ عباس محمد نور عالم والعديد من المتظاهرين وتم اعتقالهم، وواصلت المظاهرة سيرها حتى المركز واقتحمته، وانتهى اليوم الأول للمظاهرة بين السوق والمركز وسجن (الخير خنقا) وتم اعتقال أبو القاسم الحاج محمد، ويوسف محمد نور وآخرين⁽⁶⁰⁾. وتجددت المظاهرات في اليوم التالي وتدافع المتظاهرون عصراً نحو المديرية وعلت هتافاتهم بسقوط الاستعمار، وتم إنزال العلم البريطاني من سارية المديرية وتم تقطيعه وحرقه. وقد أدى ذلك إلى اعتقال عدد كبير من المتظاهرين، وأودعوا سجون البان جديد بالأبيض، وشالا بالفاشر، حلوف بالفاشر، وسجن نيالا. وقد حكم على القادة الذين حركوا المظاهرات بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وهم: أبو القاسم الحاج محمد، وعبدالرحمن محمد حسن طويل، ويوسف محمد نور عالم. كما حكم على محمد محمود محمد (ود الريف) بالسجن لمدة سنة، وقيد جنازير في الأرجل والأشغال الشاقة و(25) جلدة لأنه المتهم بإنزال العلم البريطاني وحرقه (سجن حلوف)⁽⁶¹⁾. وحكم على عدد كبير من المواطنين بالسجن لمدد متفاوتة، وبعضهم بالجلد مع توزيعهم على السجون في الفاشر والأبيض ونيالا. وقد حضر هذه المحاكمات المستر (كوكس) مدير بوليس السودان⁽⁶²⁾. وعند اكتمال مدة سجن هذه الكوكبة من الرجال وعند خروجهم من السجون كانوا يزفون إلى منازلهم في سيرة كبرى (بالدلوكة)، وتنشد لهم الوطنية عائشة كرب:

عجبوني الليلة جـوا دخلوا السجن شرفوا
أولاد الفاشر ظاهروا للعلم نزلوه
بالكبريت حرقوه للنمليّة شرطوا
للتلفون قطعوا للحجر كسروا
دخلوا شالا شرفوا ناس (للي) ويوسفو
مع ذكر اسم كل بطل بعد ذلك حتى داره⁽⁶³⁾.

تلك صورة رائعة من صور النضال والوطنية الحقّة التي قدمها بعض الطلاب والمواطنين الشرفاء من أبناء مدينة الفاشر، فقد تصدوا للمستعمر وخططه بكل بسالة وشجاعة، وواجهوا أبشع صور القمع من الضرب والسجن والنفي، ولم تلتن لهم قناة، وهي ملحمة جديرة بالتأمل والوقوف عندها كثيراً، ولكنها لم تجد حظها من التدوين والتعريف مثل غيرها من المواقف الوطنية الأخرى التي شهدتها الوطن على امتداد تاريخنا الطويل.

متحف السلطان علي دينار:

من المعالم الأساسية لمدينة الفاشر متحف السلطان علي دينار، وكان قصرًا للسلطان علي، وبعد سقوط مدينة الفاشر عام 1916م، أصبح القصر المقر الرئيسي للكولونيل كلي القائد الإنجليزي، وبعد استقلال السودان صار مقرًا للمحافظين حتى عام 1977م حيث أصدر المحافظ الطيب المرضي قرارًا بتحويل القصر إلى متحف قومي يضم تراث وثقافة دارفور وذلك بتوجيه من الرئيس الراحل جعفر النميري⁽⁶⁴⁾. ويحتوي المتحف على بعض المقتنيات الأثرية الخاصة بالسلطان، والأخرى بالأمرء، وبعض أرباب الدولة في عصره، والأدوات الحربية الخاصة مثل السكاكين، والحرا، والبنادق، والعصي، والكرابيج، وبعض الملابس الخاصة بالسلطان، وكذلك الطبول، وكرسي السلطنة وما حوله من أدوات الشموخ وهيبة الدولة، إضافة إلى جزء يختص ببعض العملات المعدنية الخاصة بعهدده والمصنوعات الشعبية اليدوية السعفية والجلدية، وأواني مطلية بالذهب، مخطوطات إسلامية⁽⁶⁵⁾.

خاتمة:

مما تقدم عرضه في الصفحات الماضية يتضح لنا أن مدينة الفاشر مدينة تاريخية عريقة قامت بدور مقدر في مسيرة الحياة السودانية، قاومت كافة أشكال الاستعمار والهيمنة، وحملت لواء الثقافة الإسلامية، وظلت لمدى قرون من الزمان تتواصل مع مراكز الثقافة الإسلامية في مصر والحجاز. وقد استحققت أن تكون إحدى عواصم الثقافة الإسلامية التي تختار من قبل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة كما هو الحال مع سنار، أو تمبكتو بمالي، أو داكار بالسنغال، أو فاس بالمغرب، أو طشقند عن المنطقة الآسيوية أو غيرها من مدن الثقافة الإسلامية الأخرى.

المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم آدم اسحق، الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية)، الخرطوم - الطبعة الأولى، 2003م.
- (2) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، العلاقات الخارجية بين دارفور والعالم الخارجي 1640-1874م، الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، الطبعة الأولى، 2016م.
- (3) الأمين محمود عثمان، سلطنة الفور الإسلامية - دراسة تحليلية، الخرطوم: شركة مطابع العملة السودانية، 2013م.
- (4) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة، الطبعة الأولى، 2013م.
- (5) جوستاف ناختيقال، تاريخ دارفور، ترجمة النور عثمان أبكر، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2011م.
- (6) ر. س. أوفاهي، الدولة والمجتمع في دارفور، ترجمة عبدالحفيظ سليمان عمر، القاهرة: مركز الدراسات السودانية، ط1، 2000م.
- (7) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في السودان، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1406هـ / 1986م.
- (8) عز الدين إسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عهد الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- (9) محمد إبراهيم أبوسليم، الفور والأرض، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة، 1975م.
- (10) محمد أحمد بدين، صدى الذكريات، الملكة العربية السعودية - جدة: مركز الياة المعرفية، الطبعة الأولى، 2009 - 2010م.
- (11) محمد بن عمر التونسي، تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق دكتور خليل محمود عساكر، ودكتور مصطفى محمد مسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م.
- (12) محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم عباس حلمي باشا خديوي مصر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1995م.
- (13) محجوب زيادة، الإسلام في السودان، سلسلة اقرأ الكتاب رقم (208)، دار المعارف بمصر، 1960م.
- (14) مصطفى محمد مسعد، سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها،

د.ت أو دار نشر.

(15) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م.

(16) الصحف والمواقع الإلكترونية:

(17) أحمد إبراهيم أبو شوك، سلاطين دارفور وصرة الحرميين الشريفين، صحيفة السودان - الأربعاء 23 صفر 1438م / الموافق 23/11/2016م.

(18) حسين آدم الحاج، دور دارفور في الحركة الوطنية الحديثة، حرق العلم الإنجليزي بالفاشر، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية (Available at

www.sudanjem.com)

الهوامش:

- (1) انظر: جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، شركة مطابع السودان للعملة، ط1، 2013م، ص 13، الأمين محمود محمد عثمان، سلطنة الفور الإسلامية، دراسة تحليلية، شركة مطابع العملة السودانية المحدودة - الخرطوم، 2011م، ص 27-28.
- (2) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، العلاقات الخارجية بين دارفور والعالم الخارجي 1640 - 1874م، شركة مطابع العملة السودانية، ط1، 2016م، ص 24.
- (3) جبريل عبدالله علي، المرجع السابق، ص 14.
- (4) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، مرجع سابق، ص 25.
- (5) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، مرجع سابق، ص 25-26.
- (6) انظر: نعوم شقير، جغرافيا وتاريخ السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2007م، ص 374 وما بعدها، 394-395، 401-402، مصطفى مسعد، سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، دت أو دار نشر ص 88 وما بعدها، عز الدين إسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عهد الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص 113 وما بعدها، جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 44-45.
- (7) ر.س. أوفاهي، الدولة والمجتمع في دارفور، ترجمة عبدالحفيظ سليمان عمر، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ط1، 2000م، ص 41.
- (8) إبراهيم آدم اسحق، الأصول العربية لهجة دارفور العامية (القروية)، ط1، 2003م، الخرطوم، ص 42.
- (9) أوفاهي، المرجع السابق، ص 41.
- (10) الأمين محمود محمد، سلطنة الفور الإسلامية، ص 161.
- (11) أبو البشر عبدالرحمن يوسف، العلاقات الخارجية بين دارفور والعالم الخارجي، ص 30.
- (12) أوفاهي، الدولة والمجتمع، ص 42.
- (13) المرجع نفسه والصفحة.
- (14) المرجع نفسه، ص 42.
- (15) أوفاهي، ص 43.
- (16) أوفاهي، الدولة والمجتمع في دارفور، ص 43.
- (17) المرجع نفسه، ص 44.

- (18) مصطفى مسعد، سلطنة دارفور، ص 245.
- (19) المرجع نفسه، ص 245.
- (20) محمد بن عمر التونسي، تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق د. خليل محمود عساكر، ود. مصطفى محمد مسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م، ص 116.
- (21) المرجع نفسه، ص 117.
- (22) مصطفى محمد سعد، مرجع سابق، ص 235-236، نعوم شقير، مصدر سابق، ص 382-383.
- (23) انظر: تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، مقدمة المحققين خليل محمود عساكر، ومصطفى مسعد، ص 5، ص 9-10.
- (24) انظر: المصدر نفسه، مقدمة التحقيق، ص 7-8.
- (25) انظر: جوستاف ناخنتال، تاريخ دارفور، ترجمة النور عثمان أبكر، الشركة العالمية للطباعة والنشر، 2011م، ص 7.
- (26) المصدر نفسه، ص 7.
- (27) المصدر نفسه، ص 7.
- (28) الأمين محمود محمد، سلطنة الفور إسلامية، ص 99.
- (29) محمد إبراهيم أبو سليم، الفور والأرض، دار جامعة الخرطوم للطباعة، 1975م، ص 16.
- (30) المرجع نفسه، ص 17.
- (31) محجوب زيادة، الإسلام في السودان (سلسلة اقرأ) الكتاب رقم (208)، دار المعارف بمصر، 1960م، ص 87-88.
- (32) محجوب زيادة، الإسلام في السودان، ص 88.
- (33) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في السودان، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1406هـ/1986م، ص 327-328.
- (34) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 78.
- (35) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 78.
- (36) المرجع نفسه، ص 78.
- (37) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 78.
- (38) الأمين محمود محمد، سلطنة الفور الإسلامية، ص 295.
- (39) انظر: أوفاهي، ص 36.

- (40) أوفاهي، الدولة والمجتمع، ص 36.
- (41) المرجع نفسه، ص 37.
- (42) جغرافية وتاريخ السودان، مصدر سبق ذكره، ص 406.
- (43) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص 406.
- (44) انظر: محمد لبيب البتونوي، الرحلة الحجازية لولي النعم عباس حلمي باشا خديوي مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م، ص 267.
- (45) انظر: جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 33. أحمد إبراهيم أبوشوك، سلاطين دارفور وصرة الحرميين الشريفين، صحيفة السوداني، الأربعاء 23 نوفمبر 2016م، الموافق 23 صفر 1438هـ، ص 6.
- (46) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، ص 33. أحمد إبراهيم أبوشوك، سلاطين دارفور وصرة الحرميين الشريفين، ص 6.
- (47) أحمد إبراهيم أبوشوك، المرجع السابق، ص 6.
- (48) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، مرجع سابق، ص 36.
- (49) المرجع نفسه، ص 36-37.
- (50) محمد أحمد بدين، صدى الذكريات، مركز الياية المعرفية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009-2010م، ص 146.
- (51) المرجع نفسه، ص 146.
- (52) انظر: جبريل عبدالله علي، مرجع سبق ذكره، ص 127، 149، 150، 151، 167، 172، 176، 178.
- (53) المرجع نفسه، ص 102، 103، 125، 129، 130.
- (54) المرجع نفسه، ص 126، 233، 334.
- (55) انظر: جبريل عبدالله علي، ص 127، 268.
- (56) * لا يتسع المجال لسرد كافة الأعلام الذين أنجبته مدينة الفاشر، وقد أوردت إشارات مقتضية لبعض هؤلاء الأعلام ممن أسعفتني الذاكرة بالإشارة إليهم، بالإضافة إلى ما جاء في الموسوعة القيمة التي ألفها الأستاذ جبريل عبدالله علي عن تاريخ مدينة الفاشر، وقد وثق لكافة أعلامها توثيقاً أميناً، فهو أحد أبناء الفاشر الذين عاصروا كثيراً من أحداثها، واستمعوا إلى كثير من الرواة، فجاء توثيقه أكثر شمولاً ومعرفة ودقة.
- (57) جبريل عبدالله علي، من تاريخ مدينة الفاشر، مرجع سابق، ص 372.
- (58) المرجع نفسه، ص 373.

- (59) المرجع نفسه، ص 373، 374، 375.
- (60) جبريل عبدالله علي، ص 377، انظر: حسين آدم الحاج، دور دارفور في الحركة الوطنية الحديثة (حرق العلم الإنجليزي بالفاشر)، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، sudanjem.com/s
- (61) جبريل عبدالله علي، ص 377، 378، 379.
- (62) انظر: حسين آدم الحاج، دور دارفور في الحركة الوطنية الحديثة، sudanjem.com/s
- (63) جبريل عبدالله علي، ص 380.
- (64) المرجع نفسه، ص 86، 87.
- (65). r.m.wikipedia.org

إقليم مدينة شمبات دراسة في جغرافية العمران (1963 - 2019)

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية التربية
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د. أحمد مبارك بابكر المبارك

المستخلص:

يهدف البحث إلى وتوضيح العلاقات الوظيفية المتبادلة بين المدينة وإقليمها، تنبع أهمية هذا البحث في إبراز نفوذ إقليم مدينة شمبات وقد اعتمد الباحث على العمل الميداني وقد، استخدم الباحث المنهج المسحي والتحليلي والمنهج العلمي المعاصر. أهم النتائج التي توصل إليها إقليم مدينة شمبات قام على أساس العلاقة الاقتصادية والسكانية والثقافية المتبادلة بين المدينة وإقليمها، وحدد إقليم المدينة عن طريق خطوط النقل حيث يمتد عن طريقها إلى خارج المحلية إلى ولاية نهر النيل وإقليمها الصناعي والتعليمي يمتد إلى مدن السودان الأخرى. أما الخدمي الثقافي فيمتد إلى الريف الشمالي لمحلية بحري. وأهم التوصيات يجب أن نضع المدينة داخل إطارها الإقليمي وتنمية الريف الشمالي لمحلية بحري بإقامة المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية وأن نقوم بإنشاء الخدمات في الريف الشمالي لمحلية بحري.

**The region of Shambat,
a study in urban geography
(2019 - 1963 AD)**

Dr. Ahmed Mubarak Bubiker Al Mubarak

Abstract:

of the research This research dealt with the region of the city of Shambat through the following chapters: 1/ The methodological introduction to the research, , the theoretical framework “the city region”, the geography of the study area, the region of the city of Shambat, and the conclusion, which contains the results and recommendations. The importance of this research it is to show regional function of shambat city and the aim of it to show the relationship between the city and the region of it. The researcher has relied on field work and has used the survey and analytical method and the contemporary scientific method. The most important findings reached by the region of the city of Shambat was based on the mutual economic, demographic and cultural relationship between the city and its region. The Nile River and its industrial and educational territory extend to the other cities of Sudan. As for the cultural service, it extends to the northern countryside of Bahri locality. The most important recommendations are that we must place the city within its regional framework and develop the northern countryside of Bahri locality by establishing agricultural, industrial and commercial projects and establishing services in the northern countryside of Bahri locality.

مقدمة:

إقليم المدينة هو منطقة نفوذها وهو الذي يقوم على أساس العلاقات الوظيفية المتبادلة بين المدينة وإقليمها وهي السكانية والاقتصادية والإدارية والادارية والثقافية والذي يمكن تحديده عن طريق خطوط النقل والخدمات والصناعة والتجارة والإدارة وقد قمت بتطبيق ذلك في هذا البحث على إقليم مدينة شمبات من خلال الفصول الآتية: المقدمة المنهجية للبحث وإقليم المدينة وجغرافية منطقة الدراسة وإقليم مدينة شمبات والخاتمة.

تناول هذا البحث بالدراسة إقليم مدينة شمبات والعلاقات المتبادلة بين المدينة وإقليمها، وأهميته هي إبراز نفوذ إقليم مدينة شمبات.

أولاً : أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعرف:

1. إقليم مدينة شمبات.
2. طرق تحديد إقليم شمبات.
3. العلاقات المتبادلة بين مدينة شمبات وإقليمها.

ثانياً: الحدود الزمانية:

1. من 1963 حتى 2019م.
2. الحدود المكانية مدينة شمبات بحدودها حتى 2019م انظر خريطة رقم (1) وخريطة (2).

ثالثاً: مشكلة البحث:

لكل مدينة إقليم أو نفوذ وله طرق تحدده كما توجد علاقة بين المدينة وإقليمها تبرز مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- أ. هل لمدينة شمبات إقليم أو نفوذ؟
- ب. ماهي طرق تحديد إقليم مدينة شمبات؟
- ت. ماهي العلاقات المتبادلة بين مدينة شمبات وإقليمها؟

رابعاً: فروض البحث:

1. لمدينة شمبات إقليم وهو عبارة عن نفوذها والذي يحدد عن طريق امتداد خطوط النقل وعن طريق خدمات التعليم والصحة والثقافة والصناعة.
2. ينتج عن تفاعل المدينة مع إقليمها، والعلاقات المتبادلة تتمثل في العلاقات الاقتصادية والتجارية والزراعية والصناعية والثقافية.

خامسًا: منهج وأسلوب الدراسة:-

- استخدم الباحث عدة مناهج، وهي:
- أ. المنهج المسحي التحليلي والذي استخدم في إقليم المدينة ثم تحليله.
 - ب. المنهج العلمي المعاصر «الاستقرائي والاستنباطي» والذي استخدم في استخراج النتائج.

سادسًا: طرق جمع المعلومات:

- أ. المصادر الثانوية خاصة بموضوع الدراسة تشمل المراجع جغرافية العمران.
- ب. المصادر الأولية هي العمل الميداني والذي تم على ثلاث مراحل:
 1. مرحلة الاستكشاف.
 2. مرحلة الدراسة الميدانية.
 3. مرحلة التحليل.

1 / مرحلة الاستكشاف:

قام الباحث برحلات استطلاعية شملت المدينة والريف الشمالي لمشاهدة وملاحظة طرق تحديد العلاقة بين المدينة وإقليمها، وقد تم ذلك عن طريق الملاحظة.

2 / مرحلة الدراسة الميدانية:

وقد تمت عن طريق أ/ المقابلات الشخصية. ب/ طريق المعاينة.

أ/ المقابلات الشخصية:

قام الباحث بزيارات ميدانية للمصالح والمؤسسات ذات الاختصاص بموضوع الدراسة ومقابلة مسؤولين فيها وهي:

- 1/ مكتب إدارة النقل بحري - رئاسة شرطة الجمارك بحري قسم رسوم الإنتاج محلية بحري - إدارة الأسواق بحري - لجنة السوق المركزي للفاكهة بحري - مكتب إدارة التعليم غير الحكومي للمرحلة الثانوية بحري - مكتب القبول لوزارة التعليم العالي - سجلات الإحصاء بمستشفى الصافية والبراحة - تجار المشاية محلية بحري - مصلحة المساحة.

2 / المعايشة الميدانية:

نظرًا لأن الباحث عاش في هذه المدينة فإنه يعتبر مصدرًا للمعلومات، فقد عايش العلاقات المتبادلة بين المدينة وإقليمها.

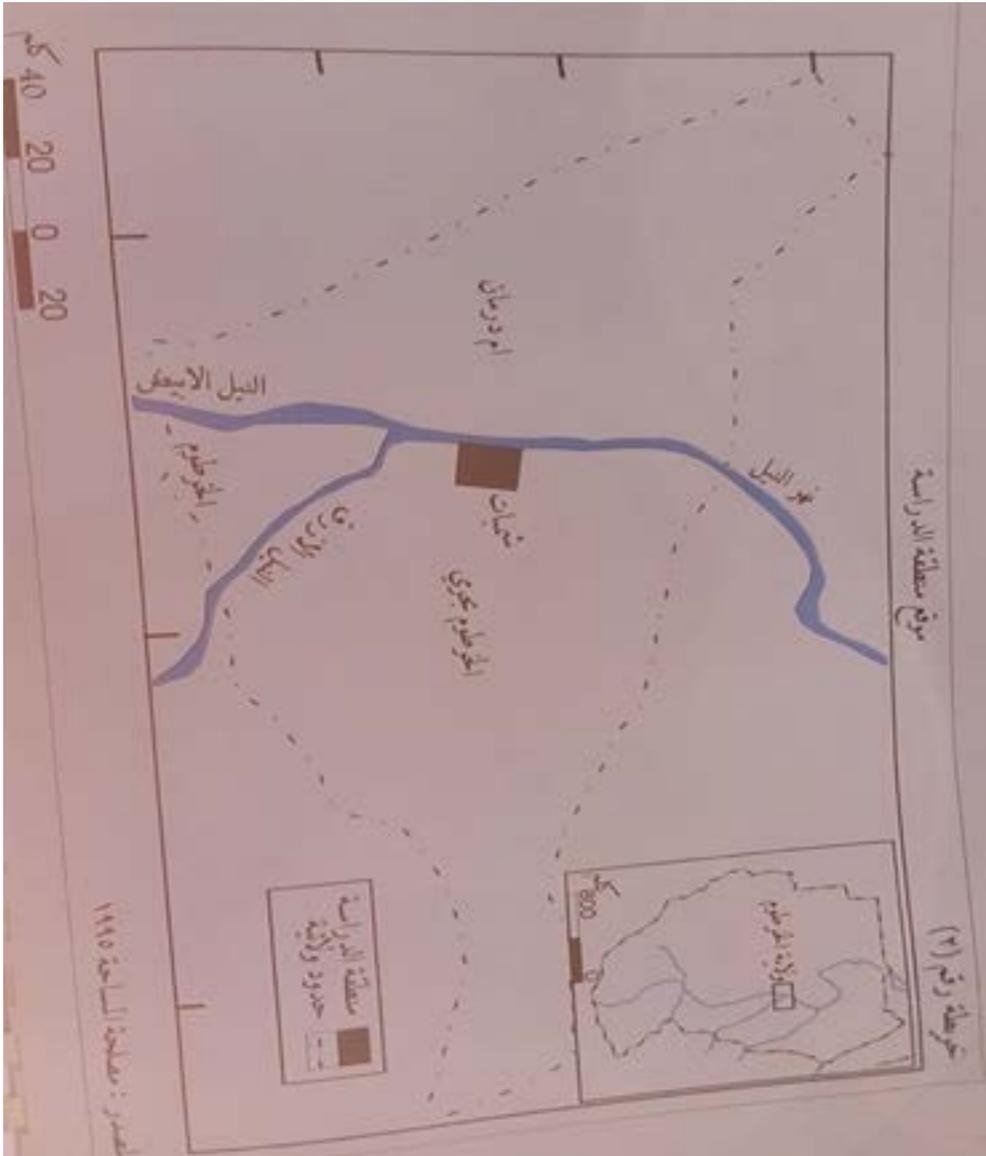
3/ مرحلة التحليل:

قام الباحث بتحليل المعلومات التي قام بجمعها.

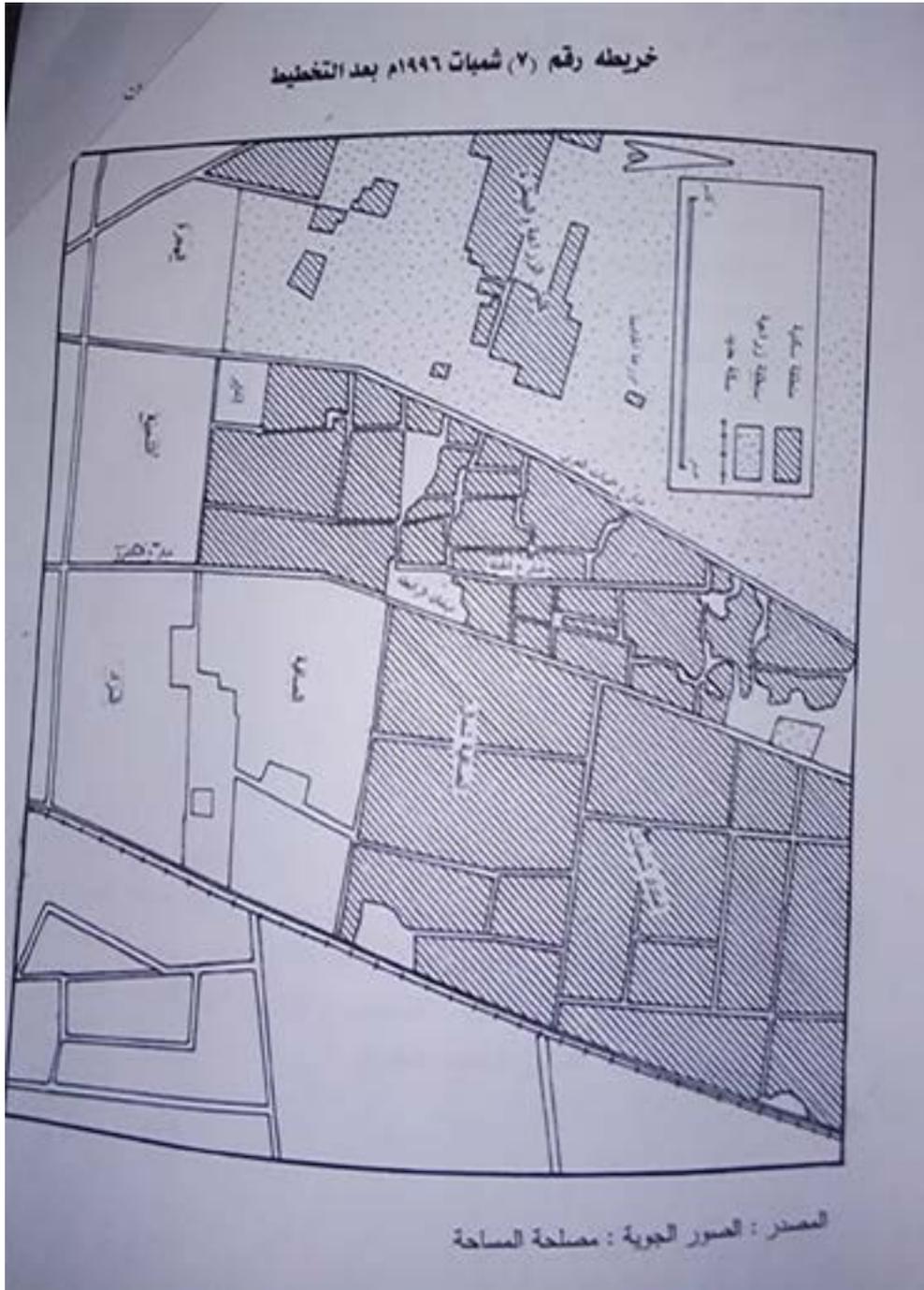
أدوات البحث:

استخدم الباحث 1/ الملاحظ 2/ المقابلات الشخصية.

خريطة رقم (1) موقع منطقة الدراسة شمبات



خريطة رقم (2) خريطة شمبات 1996م



الإطار النظري:

إقليم المدينة:

هو منطقة نفوذ المدينة، وهو الذي يقوم على أساس العلاقات المتبادلة بين المدينة وما حولها من ريف ومدن أصغر: على أساس العلاقات الاقتصادية⁽¹⁾ والسكانية والإدارية والثقافية المتبادلة بين المدينة وريفها⁽²⁾ تحديد إقليم المدينة⁽³⁾ له أهمية في إعداد التصاميم الأساسية لها ولإقليمها مما يحقق أهداف التنمية الشاملة⁽⁴⁾، يحدد إقليم المدينة عن طريق:

1 / المواصلات (طرق النقل):

هي العامل الحاسم في تحديد مدى اتساع نفوذ المدينة والتي لديها جانبان بالنسبة للوقت والتكاليف الأول لهما في حركة الأشخاص، الثاني في حركة البضائع الثقيلة خاصة الموارد الأولية ونصر الوقت أهم لأنه يضبط الحركة اليومية بين المدينة وريفها، فالمنطقة التي تخرج إليها خطوط المواصلات والنقل تحدد نفوذ المدينة.

2. الصناعة تحدد نفوذ المدينة، عن طريق الصناعة بالمناطق التي تسوق فيها الصناعة.

3. الإدارة، نفوذ المدينة الإداري يحدد عن طريق المناطق التي تقع تحت سيطرة السلطة الادارية التي توجد بها.

4. الخدمات التعليمية والصحية والثقافية، بإقليم المدينة التعليمي هو المنطقة التي تؤثر فيها المدينة بخدماتها التعليمية والصحية أيضاً هو المنطقة التي تمتد إليها الخدمات الصحية للمدينة والإقليم الثقافي هو المنطقة التي تمتد إليها المدينة بخدماتها الثقافية.

5. التجاري: إقليم المدينة التجاري هو منطقة نفوذ المدينة بخدماتها التجارية حيث يأتي السكان إليها للتسوق منها.

العلاقة بين المدينة وإقليمها:

هي العلاقة بين المدينة وريفها المجاور ويمكن أن نقسمها إلى أربعة أقسام رئيسية، وهي العلاقات الإدارية والثقافية والسكانية والاقتصادية⁽⁵⁾:

1 / العلاقات الإدارية والثقافية:

يعد الدور الإداري من أقدم أدوار المدينة وتعد المدينة قاعدة لوحدة إدارية وربما كانت حدود الإقليم المدني من ناحية الدور الإداري للمدينة هي الوحدة المحددة بخطتها محدودة⁽⁶⁾.

أما عن العلاقات الثقافية فإن الخدمات الثقافية نجد أنها تشمل مسرح ودار السينما ومدينة الملاهي والنادي. لا توجد في القرية وإنما توجد في المدينة ويأتي إليها سكان القرية. العلاقة السكانية⁽⁷⁾.

تتميز العلاقة بين المدينة وريفها المجاور بظاهرتين هجرة دائمة من الريف إلى المدينة وحركة يومية بين العمل والسكن (الرحلة إلى العمل، 49⁽⁸⁾). والظاهرة الأولى وهي الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة⁽⁹⁾ نتيجة لتوفر فرص العمل في المدينة ولوجود الصناعة وهي عامل اقتصادي عمل على جذب السكان إليها وتوفر الخدمات والمرافق العامة ومناطق الترفية⁽¹⁰⁾.

الظاهرة الثانية رحلة العمل اليومية وهي من السكن إلى العمل نظرًا لأن كثيرًا ممن يعمل في المدينة يسكن خارجها في الإقليم الريفي لذلك فإن هنالك رحلة يومية إلى العمل تجعل من إقليم المدينة ما يسمى بمنطقة الرحلة اليومية⁽¹¹⁾.

العلاقات الاقتصادية وهي الزراعية والتجارية والصناعية:

1 / الزراعية:

تعد من أهم العلاقات وأوضحها بين المدينة وإقليمها والذي يعد بالنسبة لها إقليم تغذية، فالمدينة سوق استهلاكي للريف « منتجات حيوانية وزراعية » وهو من ثم يفرض نفوذه في توجيه الإنتاج الزراعي في الريف المحيط.

والمدينة تؤثر على زراعة الإقليم بعاملين:

1. الطلب فيها كسوق .

2. أثر نمو المدينة على سعر الأرض.

الطلب فيها كسوق، توجه المدينة الريف بزراعة الخضر والفاكهة والتي تحتاج إليها في غذائها وكمواد خام للصناعة، زراعة الزهور التي تحتاج إليها في تجميل الحدائق.

1. أثر زحف المدينة يمثل تعديًا على الأرض، فنمو المدينة يكون على

حساب إصلاح الأراضي الزراعية الملاصقة المباشرة لها⁽¹²⁾.

2. العلاقة الصناعية، هنالك علاقة قوية بين المدينة وإقليمها من الناحية الصناعية لأن الصناعة في المدن تحتاج إلى مواد أولية بعضها في الإقليم كالمواد الزراعية الغذائية والقطن والجوت ومنتجات الألبان واللحوم والجلود والأصواف وغيرها، كذلك يوفر الإقليم الأيدي العاملة الرخيصة للعمل في النشاط الصناعي، إضافة إلى ذلك أن المدينة سوق مستهلك للمنتجات الصناعية. كما تعمل بعض الدول على إنشاء الصناعات في المناطق الريفية لرخص سعر الأرض ولاتساع المساحة⁽¹³⁾.

3. العلاقة التجارية، تعتبر من أهم أوجه العلاقات الوظيفية بين المدينة والإقليم، وذلك بكون المدينة في الوسط في الاتصال بين أجزاء الإقليم بعضها مع بعض وبين الإقليم والمدينة بما يحويه هذا الإقليم من قرى ومدن صغيرة، وهذه العلاقة تتم إما عن طريق حاجة سكان الريف إلى بضائع فتقوم محلات البيع بالمفرد في المدينة بتلبيتها لهم⁽¹⁴⁾.

جغرافية منطقة الدراسة:

تتمثل في الخصائص الطبيعية والبشرية الخصائص الآتية:

أولاً: الخصائص الطبيعية:

تتمثل في الموقع والموضع والتركيب الجيولوجي والمناخ ومصادر المياه والغطاء النباتي.

الموقع، ندرس الموقع من الناحية الفلكية والجغرافية.

الموقع الفلكي: تقع مدينة شمبات عند تقاطع 22 32 شرقاً مع دائرة العرض 15-39 شمالاً⁽¹⁵⁾.

الموقع الجغرافي: تقع على الضفة اليمنى للنيل ويحدها من الغرب نهر النيل ومن جهة الشرق شارع الإنقاذ والمنطقة الصناعية ومن جهة الجنوب حي الشعبية ومن جهة الشمال مدينة الحلفايا، انظر خريطة رقم (1) ورقم (3).

الموقع، يقصد به البقعة التي تقوم فيها المدينة وتتضمن عناصر الموضع دراسة السطح من حيث المناسيب وما يتعلق بالانحدارات أو الميول التي قد توجد به⁽¹⁶⁾.

سطح مدينة شمبات هو جزء من سطح محلية بحري والذي يتميز بأنه عبارة عن منطقة شديدة التسطح⁽¹⁷⁾ فطبيعة المنطقة سهلية هي التي تميزها.

التركيب الجيولوجي: مدينة شمبات هي جزء من محلية بحري والتي نشأت على طبقة فيضية سمكها 100 قدم، وترتبطها هي تربة فيضية صلصالية، وهي تربة زراعية خصبة المناخ، تقع مدينة شمبات في المنطقة الشبه صحراوية⁽¹⁸⁾

المناخ، تقع مدينة شمبات في المنطقة الصحراوية⁽¹⁹⁾ الغطاء النباتي: هو نبات شبه الصحراء والتي أزيلت وحلت محلها المساكن رقم مصادر المياه.

تستمد هذه المنطقة مياهها من محطة مياه بحري والتي تستمد مياهها من النيل الأزرق⁽²⁰⁾.

الخصائص البشرية:

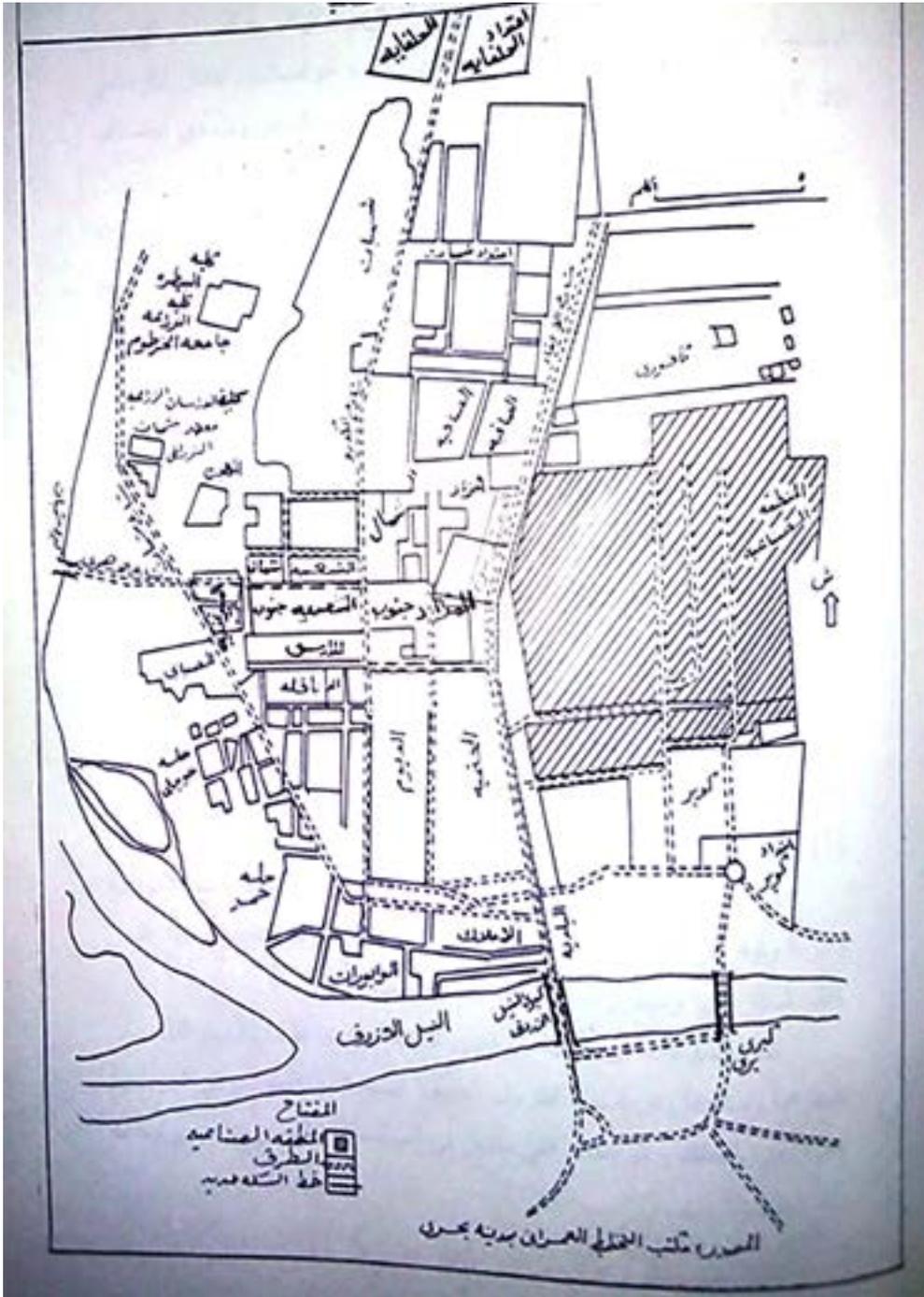
السكان: أخذ عدد السكان ينمو ويزداد منذ 1973م إلى 1993م حيث بلغ في هذا العام 39 و891⁽²¹⁾ التركيب القبلي:

يتكون السكان من عدد من القبائل المحس والعبدلاب والشايقية والجليين وقد انصهرت هذه القبائل مع بعضها عن طريق التزاوج والعلاقات الاجتماعية الأخرى بحكم التواصل اليومي⁽²²⁾.

النشاط الاقتصادي:

قام النشاط الاقتصادي على حرفة الزراعة حيث كان السكان يزرعون على التربة الفيضية الخصبة التي تقع على ضفاف نهر النيل، حيث يزرعون الخضروات والفاكهة، كما توجد مزارع للأعلاف وتربية الأبقار والماشية للألبان. كما يعمل بعض السكان في المؤسسات الخدمية التعليم والصحة الهيئة القومية للمياه والكهرباء وموظفين في المكاتب الحكومية كما يعمل بعض السكان في المصانع⁽²³⁾.

خريطة رقم (3) الأحياء السكنية في مدينة بحري



إقليم مدينة شمبات:

هو منطقة نفوذ المدينة وهو الذي يقوم على أساس العلاقات السكانية والاقتصادية والإدارية والثقافية والتعليمية المتبادلة بين مدينة شمبات وما حولها من ريف محلية بحري ومدن السودان.

تحديد إقليم المدينة:

هنالك العديد من طرق تحديد إقليم المدينة وهي:

1 / طرق النقل «خطوط النقل»:

والتي تتحرك من موقف شندي الذي يوجد في شمال شمبات⁽²⁴⁾

إقليم المدينة التجاري:

هو منطقة نفوذها التجاري والذي يمتد إلى الريف الشمالي لمحلية بحري ومدن محلية بحري ومحلية شرق النيل حيث يوجد فيها السوق المركزي للخضر والفاكهة والذي يأتي إليه السكان ليتسوقوا فيه من تلك المناطق المذكورة⁽²⁵⁾.

إقليم المدينة الصناعي هو منطقة نفوذها الصناعي، يقع جزء من المنطقة الصناعية لبحري في شرق شمبات. فمدينة بحري يوجد بها أكبر مجمع صناعي في القطر، وفيه تتركز غالبية الإنتاج الصناعي في الدولة. نظرًا لأن الصناعة تسوق منتجاتها في ريف المحلية الشمالي وشرق النيل وفي ولاية الخرطوم ومدن السودان الأخرى فلذا فإن المحلية يمتد نفوذها الصناعي لكل مدن السودان⁽²⁶⁾.

إقليم المدينة التعليمي:

هو المنطقة التي تؤثر منها المدينة بخدماتها التعليمية، نجد أن مدينة شمبات تقدم خدمات تعليمية جيدة للريف الشمالي لمحلية بحري وخصوصًا بالنسبة للمدارس الثانوية الخاصة، والتي تقل في الريف الشمالي ويتركز جزء منها في شمبات⁽²⁷⁾.

أما بالنسبة لخدمات التعليم العالي فيمتد نفوذها إلى ولايات السودان الأخرى حيث توجد بشمبات جامعة الخرطوم «كلية الزراعة والبيطرة والإنتاج الحيواني والغابات» وجامعة السودان كلية الدراسات الزراعية وكلية هندسة الصناعة وخاصة المشرق وكلية شرق النيل وكلية الصفوة ومدارس الطيران الرونق للطيران ومركز البحوث الزراعية شمبات وجامعة الزعيم الأزهرى. والتي يأتي إليها الطلاب من جميع أنحاء السودان⁽²⁸⁾.

إقليم المدينة الصحي: وهو المنطقة التي تؤثر فيها المدينة بخدماتها الصحية، يوجد مستشفى الصافية الحكومي والذي يأتي إليه المرضى من أحياء بحري وريف محلية بحري وشرق النيل وولاية نهر النيل. فإن إقليم شمبات الصحي يمتد إلى خارج شمبات إلى ريف المحلية الشمالي وأحياء بحري ومحلية شرق النيل وإلى ولاية نهر النيل⁽²⁹⁾.

إقليم المدينة الثقافي هو المنطقة التي تؤثر فيها المدينة بخدماتها الثقافية نظرًا لتركز بعض المراكز الثقافية فيها «مسرح خضر بشير وبعض صالات الأفراح التي يأتي إليها السكان من أحياء مدينة بحري والريف الشمالي لمحلية بحري ومحلية شرق النيل فإن نفوذها الثقافي يمتد إلى تلك المناطق.

علاقة مدينة شمبات بريف محلية بحري الشمالي:

توجد ثلاثة أنواع من العلاقات هي:

1/ الاقتصادية 2/ السكانية 3/ الثقافية والخدمية.

أولاً: الاقتصادية:

تتمثل في العلاقات الصناعية والثقافية والزراعية:

أ/ الزراعية:

يعتمد سكان المدينة في غذائهم على الإنتاج الزراعي من ريف محلية بحري الشمالي⁽³⁰⁾.

ف نجد أن الريف الشمالي لمحلية بحري يمد المدينة بالمواد الغذائية من الخضر والفاكهة حيث يأتي من واوسي دبك ودرملي الجيلي، قري كما تأتي من أطراف العاصمة والجزيرة⁽³¹⁾.

ف نجد أن مدينة شمبات تؤثر على الإنتاج الزراعي من الريف بالطلب منها كسوق المنتجات الزراعية، كما تقوم بتوجيه الإنتاج الزراعي للحصول على المواد الخام الزراعية اللازمة للصناعة « صناعة المواد الغذائية وينطبق ذلك على مدينة شمبات وهذا يعني أن هنالك علاقة اقتصادية متبادلة بين المدينة والريف الشمالي لمحلية بحري.

ب / الصناعية :

نجد أن الريف الشمالي لمحلية بحري يمد مدينة شمبات بالمواد الخام الزراعية اللازمة للصناعة كما ذكرت، كما نجد أن ريف المحلية الشمالي يمد

مدينة شمبات بحاجتها من العمال ، كما أن المدينة تؤثر على الريف، يأتون إليها ليتسوقوا من المنتجات الصناعية الموجودة في المدينة وهذا يعني أن هنالك علاقة اقتصادية متبادلة بين المدينة وريف محلية بحري الشمالي.

ج/ التجارة، نسبة لأن المدينة تتركز فيها السلع التجارية بمختلف أنواعها يأتي إليها سكان الريف لشراء حاجياتهم فيها كما نلاحظ أيضاً تجار الماشية يأتون إلى الريف الشمالي للمحلية لجلب المحاصيل الزراعية والحيوانات وبينها في مدينة شمبات⁽³²⁾.

ثانياً: العلاقات السكانية:

تتمثل هذه العلاقة في ظاهرتين:

1. ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة: هاجرت أعداد كبيرة من السكان من ريف محلية بحري الشمالي إلى مدينة شمبات لتوفر الخدمات وفرص العمل في المدينة «الصناعة - الزراعة - التجارة - التعليم» وقربها من قلب المدينة.
2. أما الظاهرة الثانية فهي رحلة العمل اليومية من السكان وبين مناطق سكنهم في الريف الشمالي للمحلية ومناطق عملهم في داخل مدينة شمبات سواء كانت مناطق عملهم في الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو خدمية في الصحة أو التعليم أو الكهرباء أو المياه⁽³³⁾.

ثالثاً: علاقات ثقافية:

نسبة لتركز بعض الخدمات الثقافية في مدينة شمبات وانعدامها في الريف الشمالي كما سبق ذكرها نجد أن سكان الريف الشمالي لمحلية بحري يأتون إليها وبالتالي تكون هنالك علاقة ثقافية بين مدينة شمبات والريف الشمالي لمحلية بحري.

الخاتمة:

اتضح من الدراسة أن نفوذ مدينة شمبات أو إقليمها قام على أساس العلاقات (السكانية والاقتصادية والإدارية والثقافية والتعليمية) المتبادلة بينها وبين المناطق المجاورة ومدن السودان الأخرى. وقد تم تحديد إقليمها عن طريق خطوط النقل والخدمات الصحية والتعليمية والثقافية والتجارة والصناعة، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

النتائج :

1. نفوذ مدينة شمبات يمتد إلى ريف المحلية الشمالي وإلى محلية شرق النيل وإلى مدن السودان.
2. نفوذ مدينة شمبات عن طريق خطط النقل امتد إلى بحري وإلى ولاية نهر النيل.
3. نفوذ المدينة الصناعي امتد إلى خارج محلية بحري إلى مدن السودان الأخرى.
4. نفوذ المدينة عن طريق خدمات التعليم يمتد إلى مدن السودان الأخرى.
5. نفوذ مدينة شمبات التجاري امتد إلى ريف محلية بحري الشمالي وإلى محلية شرق النيل.
6. نفوذ المدينة الثقافي امتد إلى الريف الشمالي لمحلية بحري.
7. هنالك علاقات متبادلة بين المدينة وإقليمها تتمثل في العلاقات «الاقتصادية الصناعية والزراعية والتجارية» والعلاقات السكانية والثقافية».

التوصيات :

- وخرجت الدراسة بالتوصيات الآتية:
1. يجب أن نضع مدينة شمبات داخل الإطار الإقليمي الذي تعتمد عليه وتتأثر به وهو ما يعرف باسم التخطيط الإقليمي.
 2. ويجب أن تطوير الريف الشمالي بإنشاء الخدمات في الريف لتقليل الهجرة من الريف إلى مدينة شمبات.
 3. يجب أن نقوم بتنمية الريف بإقامة المشاريع الزراعية والصناعية والصحية لتقليل الهجرة من الريف إلى مدينة شمبات ولتقصير طول رحلة العمل اليومية.

المراجع والمصادر :

- (1) أحمد علي إسماعيل 1982م ، دراسة في جغرافية المدن ط الثانية القاهرة.
- (2) جمال حمدان 1977م ، جغرافية المدن ، ط الثانية ، الناشر عالم الكتب القاهرة.
- (3) حسن عبدالله المنقوري 2005م ، أسس الجغرافية البشرية منشورات جامعة السودان المفتوحة.
- (4) عبدالله حامد العبادي 1974م ، تخطيط المدن في السودان بين الحاضر والمستقبل الخرطوم ، أكاديمية العلوم الادارية والمهنية.
- (5) عبدالفتاح محمد وهيبه ، جغرافية العمران ، منشأة المعارف الإسكندرية. ب.ت.
- (6) عبدالحليم ناصر 2008م ، جغرافية المدن جامعة تعز اليمن.
- (7) فتحي محمد ابوعيانه 2011 ، جغرافية العمران ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

ثانياً : الرسائل الجامعية العربية :

- (1) احمد مبارك بابكر 1999م ، نمو وتخطيط مدينة الخرطوم بحري ، رسالة ماجستير الجغرافيا، كلية الاداب، جامعة أم درمان الإسلامية.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

- (1) (Doxiadis 1959 , Khartoum North along term program and master plan for development of the town project of Dox iadis associ ates –consul tinee rs,engeer London.)

رابعاً : المقابلات الشخصية مع المؤسسات الآتية :

- (1) مكتب إدارة النقل والبترول بحري.
- (2) لجنة السوق المركزي للخضر والفاكهة بشمبات.
- (3) رئاسة شرطة الجمارك بحري ، قسم رسوم الإنتاج .
- (4) إدارة التعليم الغير حكومي للمرحلة الثانوية.
- (5) مكتب القبول وزارة التعليم العالي.
- (6) مصلحة المساحة .
- (7) إدارة الأعلاف بحري.
- (8) سجلات الإحصاء بمستشفى الصافية والبراحة.
- (9) تجار الماشية بمحلية بحري.

خامساً : المعيشة الميدانية.

الهوامش:

- (1) أحمد علي إسماعيل ، دراسة في جغرافية المدن ط الثانية القاهرة 1982م ص 218.
- (2) فتحي محمد أبو عيانه ، جغرافية العمران ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2011م ص 201
- (3) مصدر سابق ص 366-375.
- (4) عبدالحليم ناصر ، جغرافية المدن جامعة تعز اليمن 2008م ص 142.
- (5) فتحي محمد أبو عيانه ، مرجع سابق ص 251.
- (6) مرجع سابق ص 408-559.
- (7) عبدالفتاح محمد وهيبه ، جغرافية العمران ، منشأة المعارف الإسكندرية بدون تاريخ ص 232
- (8) المرجع سابق ، ص 252.
- (9) حسن عبدالله المنقوري ، أسس الجغرافية البشرية منشورات جامعة السودان المفتوحة 2005 م ص 207
- (10) عبدالفتاح محمد وهيبه ، مرجع سابق ص 238
- (11) فتحي محمود أبو عيانه ، جغرافية العمران ، مرجع سابق ، ص 203..
- (12) مرجع سابق ص 255.
- (13) عبدالحكيم ناصر العشاوي 2008م ، مرجع سابق ، ص 150-151.
- (14) مرجع سابق ، ص 150.
- (15) مصلحة المساحة الخرطوم مقابلة 2019.
- (16) أحمد علي إسماعيل ، دراسات في جغرافية المدن ، ط الثانية القاهرة 1982 ص 215
- (17) عبدالله حامد العبادي ، تخطيط المدن في السودان بين الحاضر والمستقبل الخرطوم ، أكاديمية العلوم الإدارية والمهنية 1974 ص 43)
- (18) Doxiadis 1959 , Khartoum North along term program and master plan for development of the town project of Dox iadis associates –consultin eersengineer , Londonp30.
- (19) احمد مبارك بابكر ، نمو وتخطيط مدينة الخرطوم بحري، رسالة ماجستير الجغرافيا ، كلية الاداب، جامعة أم درمان الإسلامية ص 44. نفس المصدر، ص 45
- (20) مصلحة الإحصاء. الخرطوم

- (21) المعيشة الميدانية.
- (22) المعيشة الميدانية.
- (23) وزارة النقل والبترول محلية بحري مقابلة 2019. مع هدير المكتب
- (24) مجلس محلية بحري - إدارة الأسواق بحري مقابلة 2019 زمع ضابط المجلس.
- (25) رئاسة شرطة الجمارك بحري - قسم رسوم الإنتاج مقابلة 2019
- (26) إدارة التعليم غير الحكومي مقابلة 2019. مع مدير المكتب
- (27) مكتب القبول ، وزارة التعليم العالي مقابلة 2019. مع مدير المكتب.
- (28) سجلات الإحصاء ، مستشفى الصافية والبراحة
- (29) عبد الفتاح محمد وهيبه ، مرجع سابق ، ص 229.
- (30) لجنة السوق المركزي للخضر والفاكهة بشمبات مقابلة. مع ضابط السوق 2019
- (31) تجار الماشية بمحلية بحري مقابلة. 2019.
- (32) المعيشة الميزانية.

مدينة ودمدني

(دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي)

(1504 - 1989م)

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

د. مهند فاروق محمد أحمد

أستاذ علم الاجتماع المساعد - جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية

د. عبدالعزيز حسن فضل البصير

المستخلص:

جاءت هذه الورقة بعنوان «مدينة ودمدني: دراسة تاريخية في التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي -1504 1989م» وقد هدفت الورقة للتعرف على التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني (-1505 1989م) باستعراض أهم ملامح تلك التطورات، تنبع أهمية الورقة في كونها تتناول تاريخ تطورات واحدة من أهم المدن السودانية في العصر الحديث، وتنطلق الورقة من فرضية مفادها أن كل الأنظمة التي مرت على حكم السودان كان لها إهتمام كبير بالعمل على تطوير مدينة ودمدني بما لها من أهمية، وقد استخدمت الورقة المنهج التاريخي الذي يقوم على عرض الحقائق وسردها وتحليلها. وخلصت الورقة إلى عدة نتائج من أهمها أن مدينة ودمدني لها تاريخ حافل وتعتبر من أهم المدن السودانية. كما شهدت المدينة طوال تاريخها الطويل العديد من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة، مما يدل على أهمية هذه المدينة.

The City of Wadmadani

(A Historical Study in the Political, Economic and Social Development)

(1504 -1989AD)

Muhand Faroug Mohamed Ahmed

Abdulaziz Haasan Fadlalbaser Ali

Abstract:

This paper came under the title “The City of Wadmdni: A Historical Study in the Political, Economic and Social Development 15041989-AD”. The paper aimed to identify the political, economic and social developments of Wadmadani (15051989-AD) by reviewing the most important features of those developments. The importance of the paper stems from the fact that it deals with the history of single developments. One of the most important Sudanese cities in the modern era, and the paper starts from the premise that all the regimes that passed the rule of Sudan had a great interest in working on the development of the city and Wadmadani with its importance, and the paper used the historical approach that is based on the presentation, narration and analysis of facts. The paper concluded with several results, the most important of which is that the city of Wadmadani has a long history and is considered one of the most important Sudanese cities. The city has witnessed, throughout its long history, many important political, economic and social developments, which proves the importance of this city

المقدمة:

ربما تكون الكتابة والتوثيق للمدن بشكل عام وللمدن التاريخية على وجه الخصوص من أهم شواهد التاريخ الحي التي تقف نابضة بالحياة على التاريخ الإنساني، فهذه المدن والأماكن ظلت على الدوام مركز استقطاب للبشر لما تمثله من أهمية في جميع مجالات الحياة الإنسانية التاريخية والجغرافية والدينية والثقافية والمعمارية، ومن هذا المنطلق جاء التوثيق والكتابة لهذه المدينة المهمة في تاريخ السودان والتي أسهمت ولازالت تسهم في هذا التاريخ.

الموقع الجغرافي والتضاريس :

تقع مدينة ودمدني عاصمة ولاية الجزيرة بين خطي عرض وطول 14. 19 درجة شمالاً، و33. 31 شرقاً. وتتميز بموقعها الجغرافي في وسط السودان حيث تقع على الضفة اليسرى من النيل الأزرق قبل التقائه بنهر الرهد شمالاً. وتقع على مسافة 186 كلم جنوب الخرطوم، وتبلغ المساحة الكلية لمدينة ودمدني حوالي 50 كلم مربعاً⁽¹⁾ وترتفع عن سطح البحر حوالي 405 أمتار وتنحدر الأرض من جهة الغرب نحو الشرق مما يجعل المجاري تتجه بسرعة شديدة وباتجاه النيل الأزرق مسببة عمليات نحت مما أثر في طبيعة المنطقة⁽²⁾ وتعتبر مدينة ودمدني نقطة التقاء مهمة للطرق القومية حيث تربط مدن السودان والعاصمة الخرطوم بميناء السودان الأول ببورتسودان. وفي بداية القرن العشرين من عام 1900م أقيمت محطة السكة الحديد، وتم اكتمال الخط الحديدي الخرطوم - مدني، وفي عام 1912م تم اكتمال خط ودمدني - كوستي- الأبيض. وإلى شرق السودان في عام 1928م، مما أدى إلى ارتفاع في عدد السكان وارتفاع معدلات الهجرة من مختلف أقاليم السودان.⁽³⁾

علماء الجغرافيا يؤكدون أن العوامل الجغرافية التي تشكل معالم السطح والمناخ لها تأثير كبير على حياة المواطن، وتساهم في رسم الخريطة السكانية والاقتصادية. وإن طبيعة المنطقة التي تقع فيها مدينة ودمدني على الضفة اليسرى من النيل الأزرق التي تسمى بالجزيرة، فإنها أخذت هذا الاسم مجازاً ولكن جغرافياً أو طبيعياً فإنها لا تمثل الجزيرة بالمصطلح الجغرافي⁽⁴⁾ وقد كتب عنها المؤرخ ريتشارد هيل: (أن مدينة ودمدني تقع في شبه جزيرة سنار، على مسيرة يومين بالحمير من مدينة سنار على الضفة الغربية للنيل الأزرق. والضفة عند ودمدني منخفضة ومتأكلة يتعذر رؤيتها على القادم إليها بسبب الغابات الكثيفة.⁽⁵⁾

تأريخ نشأة مدينة ودمدني:

تعتبر مدينة ودمدني من أقدم أربع مدن في السودان. فقد كانت قبل دولة السلطنة الزرقاء عبارة عن قرية صغيرة أطلق عليها اسم (نسيم)، والمباني عبارة عن رواكيب مبنية من القش وكانت تسكن في المنطقة قبيلة الكواهلة، واستهوت المنطقة بعض القبائل العربية الأخرى منها الدباسين والعوامرة والشكرية.⁽⁶⁾ وتقول بعض المصادر: يرجع تاريخ مدينة ودمدني الحديث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي. في عهد مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء 1508-1820م)، وذلك باتفاق معظم الباحثين، إلا أن تحديد التاريخ بالسنة موضع خلاف بين المؤرخين المعاصرين للرعييل الأول الذين شهدوا بداية التأسيس؛ فمثلاً ورد في كتاب أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان: ترجع تسمية المدينة إلى مؤسسها الشيخ محمد مدني السني، واستقر فيما يسمى حالياً حي المدنيين، النواة الأولى للمدينة في تاريخ غير محدد.⁽⁷⁾ وتشير بعض الدراسات إلى بداية تأسيس المدينة على يد الشيخ محمد مدني السني في عام 1489م.⁽⁸⁾ وكذلك ورد في كتاب ودمدني الروح: يرجع تأسيس المدينة إلى العارف بالله الشيخ محمد مدني السني، وبناء خلوة للقرآن الكريم عام 988هـ قبل السلطنة الزرقاء بسبعة وعشرين عاماً.⁽⁹⁾ ويرجح د. سالم أن تاريخ نشأة المدينة بين الأعوام (1508-1820م). وقد وضح أن مكان مدينة ودمدني الحالي كان مأهولاً بالسكان، وقد يرجع إلى مملكة سوبا أو ما قبلها بكثير، وذلك لاكتشافه بعض الآثار في وسط منزل أسرته في الجزء الجنوبي لحي المدنيين (نمرة 31. مربع 12) بما يعرف بحفرة السكسك (الخرز) الملون بالأحمر والأزرق، ويؤكد أنه نفس النوع الموجود في متحف السودان، ويقول البعض إنها من عهد العنج، كما يوجد في نفس الحي مقبرة وهيكل بشرية ترجع إلى فترة بعيدة. وتقول بعض المصادر إن المغاربة أول من هاجر إلى ودمدني ونسبوها إلى الشيخ مدني السني والكلمة ليست (ود) ولكنها (واد) في لهجة أهل المغرب العربي⁽¹⁰⁾.

التطور العمراني والتقسيمات الإدارية للمدينة:

لقد كانت بداية حالة المدينة تمثل حياة سيئة، ولم يكن بها عمران سوى قرية المدنيين (حي المدنيين حالياً) التي كانت تتكون من القطاطي المبنية من القش والطين، وتحاط بأسوار من الشوك. وقد كانت الصورة

التاریخية لءریطة مءینة وءمءنی الجءرافية عءء بءایة نشأتها عبارة عن غاباء ءئیفة وءءجیراء مءشابءة وأشواءك على مساءاء واسعة من المءینة ٱمءمء فیها مءینة وءمءنی شمألاً یءءها شاطئ النیل الأزرق من غابة أم بارونة شرقاً ءءى مورةءءءء بالءباغة غرباً، وءنوباً یءءها شریط السءة الءیء. وشرقاً ءءءها ءزیره الفیل. وغرباً یءءها ءءلك شریط الءیء الءی یشكل شبه قوس فی الاءءاء من الءنوب إلى الغرب مءءءاً شمألاً إلى الءرطوم وءاءء هءه المساءة من الأرض ءءطیها الأشءار والأعشاب الءئیفة وءسءنها الءعابین والمرافعین والنمور والءیواناء المءوءشة⁽¹¹⁾.

بءأت نشأة العمران فی فءرة الءءم الءرءی ءیء شیءء المباءی ءون ءءطیط، ولا ءءاء ءعءر على مبنی یسءرعی الاءءباء عءا ءءناء الءیء، وهی عبارة عن صرء ضءم مربع الشكل ءءیط به الأءیاء السءئیة، ویقع على بعء أربعین ءطوة من النیل على الواءة المءلة على النهر للءءناء، ألء مبنی آءر أءسن شكلاً وارءفع عن بقیة المباءی، وهو منزل الضابء المسؤل. ویقع على بعء مائة ءطوة من هءا المربع المسءشفی العسءری⁽¹²⁾، الءی ءءوسطه مساءة واسعة ءءطیها أشءار السنط، وءول الساءة ءءراء بعءها مءازن وبعءها الآخر مساكن الممرضین، وءءراء آءرى للأطباء والموظفین والصیءلیة بمعملها والمطبخ، ومكان لءسل الموءى والءءفین، وغرفة ءبیره بها نوافء من ءمیع الءهاء لیعبر منها ٱیار الهواء من الساءة لءبریء الماء فی الأزیار على طول الغرفة وعرضها⁽¹³⁾. وعلى بعء نحو أربعمائة ءطوة شمأل الءءناء یطل على النهر منزل أمین بك قاءء الفرقة الءامنة الءی ءمءل العموء الفقری للءامیة، هءا المنزل كان یءكون من طابقین بءءران صلبة ویعءبر من أءمل المنازل فی مءینة وءمءنی فی ءلك الفءرة، له بلكونة ءطل على النیل لءءشف المنءة المءءة أمامها بما فیها النهر والغاباء على الضفءین⁽¹⁴⁾. وفی منءصف المءینة ءوءء قبة الشیء مءنی السنی وقء بنیء من الطوب الأحمر على ءلاف سائر المنشاءء والمنازل الءی شیءء بالطوب الأخضر ماعءا الءءناء الءی بناها إسماعل باشا بالءءر الءشن المءطى بالءین. وبالقرء من هءه القبة یوءء مسءء یءطى أرضیة الطوب الأحمر، وقء بنى فی عهد ءالء باشا ءسرو ءاكم عام السوءان (1845-1850م). أما السوءق فقء كان عبارة عن مءموءة من الأكواء أخذء

مكانها على خطين متوازيين. فالمدينة عامة كانت غير منظمة وقذرة حيث تقع في منطقة منخفضة تمتلئ بالحفر التي تطفح بالمياه في فصل الخريف، وتبقى المياه حتى فترة الجفاف حيث لا يوجد نظام للمجاري، فتتغفن المياه تحت أشعة الشمس مسببة أنواعاً مهلكة من الحمى والأمراض الوبائية.⁽¹⁵⁾ وفي فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898 - 1956م)، أخذت المدينة شكلها الأساسي بعد دخول القوات الإنجليزية المستعمرة إلى السودان؛ حيث أعيد تنظيمها بعد تشييد أحد الأحياء؛ وهو: حي القسم الأول: يقع هذا القسم غرب السوق الكبير مباشرة، ويمتد في شكل شريط مستطيل غرباً حتى شارع الحرية، ويحده شمالاً النيل الأزرق، وجنوباً شريط السكة الحديد، وكانت من أوائل العوائل السودانية عائلة البوشي؛ ذلكم الرجل الذي أسهم بفكره وتعامله في دعم التنمية الاجتماعية بمدينة ودمدني، وقد تم على يده تشييد أول مسجد لأداء صلاة الجماعة بالحي في عام 1894م، وقد انطلقت فكرة التعليم الديني، والثقافة الإسلامية من هذا المسجد.

كان يسكن هذا القسم شريحة من التجار الأجانب؛ من الهنود والشوام والإغريق والمغاربة. ويعرف بحي التجار، وتتكون معظم مبانيه من الطوب، والأسمنت، مع قلة من المباني الطينية وتمتاز شوارعه بالتخطيط والاتساع، كما يمتاز بوجود المساجد، والحدائق، والمنتزهات العامة والأندية الرياضية. ودور السينما والأحزاب السياسية، والكنائس المسيحية، والفنادق، والمدارس (البندر)، وأهم الأحياء البصيلية والبحيرية.⁽¹⁶⁾

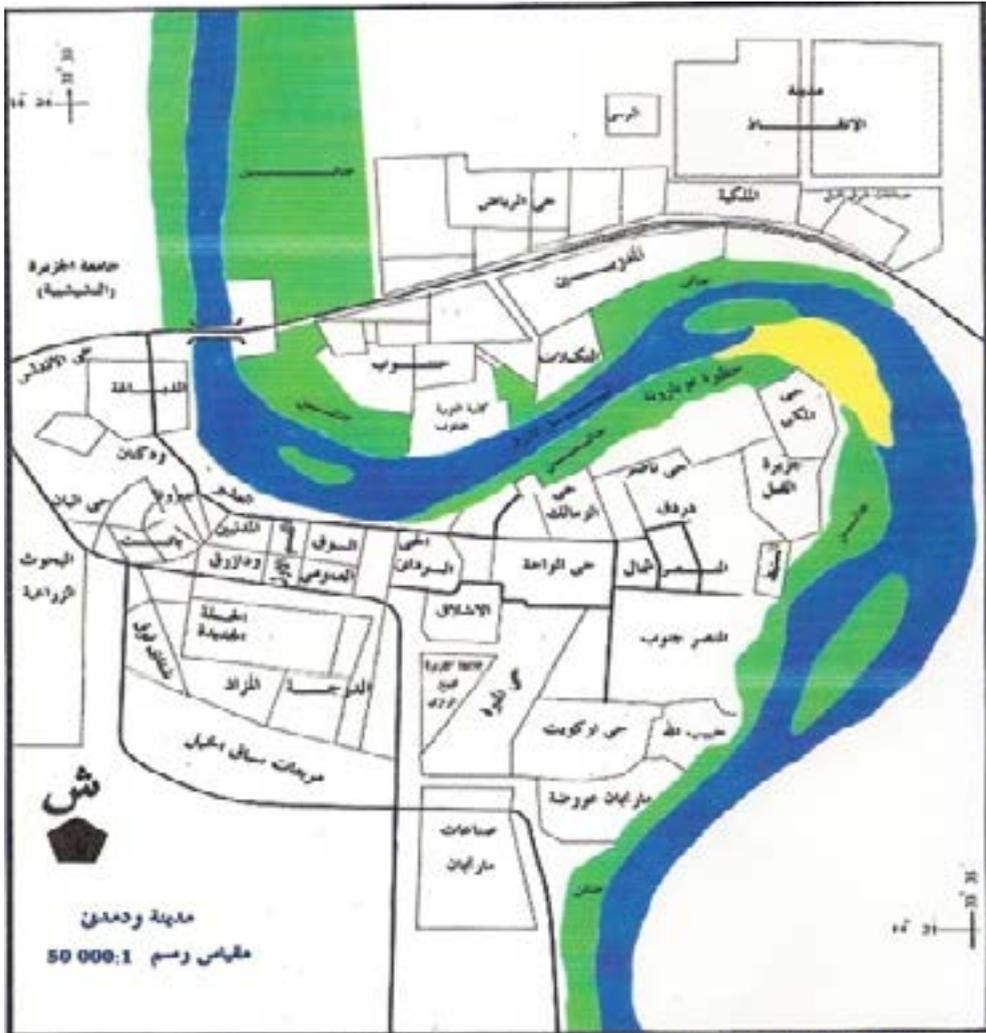
القسم الثاني: يقع غرب القسم الأول في شكل مستطيل ممتد من النيل الأزرق شمالاً حتى شريط السكة الحديد، ويعتبر في الزمان القديم حدود ودمدني غرباً. ويسكن في هذا القسم أحفاد وأبناء الشيخ محمد بن مدني، وخليط من أبناء القبائل السودانية المختلفة، وهو يشكل مركز الثقل السكاني آنذاك، كما يعكس التنوع المهني لمختلف الصناعات والمهن والحرف اليدوية ذات القيم الجمالية الرائعة التي ساهمت في إحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادي. كما كان يسكن في هذا الحي فئة من المزارعين الذين امتهنوا الزراعة على ضفاف النيل، ومشروع الجزيرة.⁽¹⁷⁾

العمران في هذا القسم كان أقل جودة من القسم الأول فمعظم المنازل كانت من الطين والقليل من الطوب. أما أهم المرافق التي شيدت في هذا القسم: الجامع الكبير (جامع الحكومة)، مسجد باننت، مسجد الأحمدية، مسجد

ومسيد الشيخ شاطوط. ثم المدرسة الأميرية الوسطى، المدرسة الأهلية، المعهد العلمي في مباني الجامع الكبير، خلوة الشيخ محمد مدني السني، وغير ذلك. ويلاحظ داخل هذا القسم مسميات الأحياء والفرق المرتبطة بأسماء العوائل أو القبائل؛ التي انحدرت منها الأسر ولعل من أشهر هذه الأسماء: ودأزرق، فريق السناهيم، النضيراب، أم سويقو، فريق القبة، فريق المدنيين، فريق الحلبة، ودقيحا، مربع الهوارة، مربع 11، فريق البصيلية، فريق ودعيسى إلخ⁽¹⁸⁾ أخذت ومدني شكل المدن الاستعمارية، خصوصاً عند مكان القبة (قبة الشيخ محمد مدني السني) حيث أخذ تقاطع الشوارع شكل العلم الإنجليزي. وما زال هذا الطابع مسيطراً على هيكلها العام كما هو في أغلب مدن السودان الكبيرة. وبعد اكتمال مباني الحكام بدأ العمل في تشييد المصالح الحكومية مثل مباني المديرية 1902م.⁽¹⁹⁾ وقد تم بناء الدوائر الرسمية على امتداد شارع النيل منها البريد والمحكمة والكلوب الإنجليزي (نادى الجزيرة حالياً) والحدائق العامة؛ كعكاتي- البلدية سابقاً -حديقة سليمان وقيع الله، وميدان الملك سابقاً (ميدان الحرية حالياً). هذا إلى جانب ميادين التنس. وتحتل مساكن الإنجليز الناحية الشمالية الشرقية للمدينة حيث تسمى آنذاك الحي البريطاني الآن الحي السوداني، ويقع جنوب الدوائر الرسمية السوق الكبير، حيث يلاحظ وجود جنسيات أجنبية مثل الشوام، والأغاريق، واليهود يعملون في السوق الأفرنجي، ويشكل أولاد البلد المنطقة المتاخمة لهم حيث تعرف بالسوق العربي⁽²⁰⁾. ونجد أن حي الموظفين الذي يسكنه الموظفون حسب درجاتهم الوظيفية، فكما اتجهنا جنوباً تقل رتبة الموظف، وكذلك مستوى السكن، حتى تصل الأورطة وهي سكن أفراد البوليس، وبعدها سكن عمال الدولة، التي تحد جنوباً بمقابر الأجانب غير المسلمين، وجنوب السوق يوجد المستشفى الملكي، ومحطة السكة الحديد. وفي بداية الخمسينيات ظهرت أحياء إضافية مثل: بانث، شندي فوق، جبرونا، حي الثورة (الصقور سابقاً)، دردق، حي المزاد، وفي الستينيات ظهرت الأحياء السكنية الجديدة مثل الدرجة الأولى، والدرجة الثانية مع تطور في المباني عمراناً، كما ظهر حي المطار (درجة أولى) على شكل طوابق، وفلل وحدائق داخلية. ولاحقاً في عام 1967م أضيفت بعض المناطق التي كانت حول المدينة مثل: المكى، جزيرة الفيل، مارنجان عووضة، وعترة، الكريبة. وخلال فترة السبعينيات خطت أحياء مايو، أركويت. وفي عام 1984م ظهرت أحياء الزمالك.

وفي التسعينيات ظهرت أحياء المنيرة، الأندلس، كما شهدت الامتدادات الجديدة شرق النيل. وقد شهدت مدينة ودمني ثلاث خطط إسكانية في الأعوام 1976م / 1982م / 1987م الممتدة حتى تاريخه. ويلاحظ أن هنالك سكناً عشوائياً منظم حول المدينة يتمثل في القرى التي قامت بصورة تلقائية منها حبيب الله، عووضة، مارنجان. وهناك سكن عشوائي غير منظم مثل حلة رضوان، السنيط، كمبو حليلة، كمبو هيئة البحوث الزراعية.⁽²¹⁾ وقد أدى السكن العشوائي بمدينة ودمني لمشاكل اجتماعية وأمنية.

خريطة مدينة ودمني



السكان والتغيرات الديموغرافية:

تعد التغيرات السكانية أهم مظاهر الحراك الاجتماعي التي عرفتھا البشرية منذ زمن بعيد، حيث كان الناس في الماضي يرحلون من مكان إلى آخر بحثًا عن الطعام والماء والأمن والإيواء في أماكن وجودها فالهجرة والارتحال والانتقال هي واحدة من سنن الحياة، وقد أورد القرآن الكريم أهم دوافع وأهداف الهجرة وهو البحث عن سعة الرزق في الأرض، والبحث عن أماكن الأمن خوفًا من ظلم الطغاة، حيث يقول الله تعالى مبيّنًا حالة قريش في رحلة الشتاء والصيف بقوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ) (قريش: 4). ويقول تعالى: (... قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء: 97⁽²²⁾ وعلماء الدراسات السكانية دائمًا ما يؤكدون أن الهجرة تتجه إلى حيث تكون الظروف الاقتصادية مؤاتية للكسب ورفع مستوى المعيشة.⁽²³⁾ وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية.⁽²⁴⁾ ولقد شكلت مدينة ودمدني من ناحية تاريخية شبكة علاقات اجتماعية تتكون من المجموعات الإثنية، وهذه ضرورة حتمتها الظروف التي عاشتها المدينة منذ تأسيسها، وقد ازداد نزوح القبائل العربية في فترة السلطنة الزرقاء (1504-1821م) وبمرور الزمن صار المكان أهلاً بالسكان بعد تأسيس الخلاوي وحلقات العلم على يد الشيخ مدني السني من مختلف أنحاء السودان وبعض دول الجوار الإفريقي فتوج ذلك عنصر التلاقي والتعايش الثقافي، ونجد أن المجتمع تأثر كثيرًا بغرس قيم الدولة السنارية، والتي تعتبر أول كيان سياسي إسلامي قام في السودان كنتاج لدخول الثقافة العربية الإسلامية في السودان. ومع تطور المدينة السكاني والمتغيرات المحلية ونهاية السلطنة الزرقاء (دولة سنار) ثم الغزو التركي للسودان عام 1821م، تأثرت مدينة ودمدني كغيرها من المدن الأخرى بتدفقات سكانية عالية بعد أن أصبحت العاصمة الجديدة للسودان في ذلك الوقت لموقعها المتوسط وأحاطتها بأراضٍ زراعية غنية تعرف بمنطقة الجزيرة وسكنوا في الأحياء التي تعرف بالسكة الحديد والسوق والدرنية. ولقد استوعب جيش محمد علي باشا الغازي للسودان عام 1821م مجموعات من الأرمن والشراكسة والألبان والأرمنووط. ووفدت إلى ودمدني أجناس متعددة الهوية

من خارج السودان كالمصريين والأقباط والمغاربة والشوام والمجر والإيطاليين والأغاريق (اليونانيين) والهنود والنقادة واليهود وأخذوا القسم الأول سكنًا لهم.⁽²⁵⁾ ومن داخل السودان هاجرت إلى ودمدني بعض القبائل والجماعات الهاربة من ويلات الحروب، وقهر السلاطين، أثناء فترة الحكم التركي فكان أشهر تلك القبائل نزوحًا قبيلتي الشلك والعنج، وهجرات من شمال السودان بعد الحملات الانتقامية للسلطة التركية بعد حرق إسماعيل باشا. وبعد نهاية الحكم التركي للسودان سرح الأتراك الجنود الذين كانوا بالجيش التركي فقصدهم معظمهم مدينة ودمدني حيث الأمن والرخاء، واستقروا في الفراغ الذي يقع بين جزيرة الفيل وحي دردق، وتجمعوا في شكل قبائل أو جماعة وعوائل وحطوا الرحال في مكان وجعلوه سكنًا سمي ذلك المكان بالرديف ويعني الجنود المتقاعدين.⁽²⁶⁾ (The Retired Troops.)

أما قبل وخلال فترة الثورة المهديّة 1985م -1898م شهدت مدينة ودمدني بصفة خاصة والجزيرة بصفة عامة أكبر التحركات السكانية وهي الهجرات ذات الصبغة المهديّة والتي اتجهت من غرب إفريقيا نحو الشرق إما لأداء فريضة الحج وانتظار ظهور المهدي المنتظر أو الاقتراب من الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي وتهيئة الطريق لمواصلة الرحلة لمبايعته عند ظهوره. وارتبطت هجرات مسلمي إفريقيا إلى السودان واستقرارهم بمفهومهم للشرق (بالهوسا Cabas) مأخوذة من القبس (الذي يصاحب شروق الشمس) باعتبارها اتجاهًا لمهبط الوحي والكعبة المشرفة، كما أنه الاتجاه الذي توجد فيه بقية الأماكن المقدسة مثل المدينة المنورة حيث قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس الشريف بدولة فلسطين، وزيادة على ذلك هناك في الشرق يوجد الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي عليه السلام.⁽²⁷⁾ ويرى الباحثان لقد كانت لهذه الهجرات أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية بالجزيرة، وكان لحسن المعاملة التي وجدها هؤلاء المهاجرون ما أغرى البعض منهم إلى الاستقرار نهائيًا بالسودان بحثًا عن العمل ولأن السكان من أصل رعوي فقد اشتدت الحاجة بهم إلى الأيدي العاملة لنجاح مشروع الجزيرة بعد قيامه. وبعد ظهور المهدي شهدت مدينة ودمدني تدهورًا سكانيًا واقتصاديًا، حيث هاجر معظم سكانها الذين استدعتهم قيادة الثورة للدفاع عن الدولة الإسلامية، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري ونهاية الثورة المهديّة عاد السكان مرة أخرى إلى مدينة ودمدني. بعد دخول جيوش الاحتلال

الإنجليزي (-1898 1956م) تم اختيار ودمدني عاصمة لمديرية سنار في عام 1903م، وفي أول يناير 1906م صارت عاصمة لمديرية النيل الأزرق. وقد شهدت هجرات أخرى من مصر ومن قارة أوروبا وقارة آسيا ومن غرب إفريقيا، وقد ازدادت الهجرات أكثر بعد قيام مشروع الجزيرة، ومؤسسة الحفريات والري والأشغال والبحوث الزراعية والسكة الحديد، وحاجة المشروع إلى العمالة في الغيط والمحالج فنشأت أحياء عمالية في منطقة بركات ومارنجان، وحلة حسن وحي 114. وكانت اللغة العربية تمثل لغة التفاهم المشتركة بين هذه القبائل في كل المعاملات.⁽²⁸⁾

أما في مرحلة ما بعد استقلال السودان (1956م) فقد تميزت مدينة ودمدني بنمو كبير للسكان بسبب التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والتعليمي والخدمي، وقد أدى ذلك إلى هجرات عدد كبير من أقاليم السودان ومن الريف إلى ودمدني بعد أن اتسع النشاط الاقتصادي وازداد دخل الفرد بعد نهاب المستعمر، وتضاعفت حركة النشاط العمراني والتعليمي والثقافي.

التطورات السياسية:

قبل نشأة مدينة ودمدني في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي كانت هي عبارة عن أرض ولم يكن بها أي معلم لحياة الإنسان، وقد كانت الحياة بدائية ولا يوجد أي نظام سياسي للحكم سوى الأطماع السلطوية لبني الإنسان آنذاك، تسيطر عليه مملكة علوة وعاصمتها (سوبا) جنوب الخرطوم، وقد كانت المملكة مفتوحة الأبواب للعرب والمسلمين وغيرهم من رجالات الدين المسيحي. وقد أسهمت الدولة السنارية - السلطنة الزرقاء- (1504-1821م) خلال عقود حكمها التي كانت نتاج غرس للثقافة العربية الإسلامية في إحداث نقلة نوعية على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية لأهل السودان، وقد انتقل المجتمع السوداني من سيادة المسيحية والوثنية والعادات الجاهلية النوبية إلى سيادة الإسلام وشيوع اللسان العربي وتمدن وتحضر الإنسان السوداني بمقياس ذلك الزمان.⁽²⁹⁾ وقد استمرت الأحوال في ودمدني بعد نشأتها دون أي تنظيم إداري وسياسي مفتعل حيث كانت تعتمد على النظام الأهلي حتى بدأ الزحف التركي - المصري للاستيلاء على السلطنة الزرقاء في عام 1821م، وتضافرت عوامل الضعف والتفكك وحلقات التآمر الخارجي ضد الدولة السنارية، فإن المعنى ليس انقلاباً موجهاً ضد

سلطات الدولة السنارية وإنما الهدف هو اجتثاث للقيم الاجتماعية والأفكار التي مكنتها وتمثلتها الدولة السنارية، فأخذت المدينة تتغير وتتأثر كغيرها بمتغيرات الغزو الجديد وقوامه من عناصر الأتراك والشراكسة والأرمن وغيرهم.⁽³⁰⁾ وبعد دخول الحملات التركية في عهد محمد علي باشا حاكم مصر عام 1821م اتخذ إسماعيل باشا ابن إبراهيم ابن محمد علي باشا خديوي مصر والسودان مدينة ودمدني مركزاً وحامية تركية لجنوده تمهيداً لغزو سنار عاصمة السلطنة الزرقاء التي كانت تخضع لها معظم ممالك السودان وأقاليمه الأخرى آنذاك بما فيها مدينة ودمدني.⁽³¹⁾ ويقول شقير أما إسماعيل باشا فإنه زحف بجيشه حتى وصل إلى ودمدني فقبله رجب ودعدلان والأرباب دفع الله أحمد بالطاعة فأمنهما وأخذهما معه، ولما قرب من سنار خرج إليه ملكها الملك بادي طائغاً، ودخل إسماعيل باشا بالأبهة العسكرية في 12 يونيو سنة 1821م فأطلق 21 مدفعاً احتفالاً بذلك. وكان ذلك قبل قتله حرقاً على يد المك نمر في شندي في ديسمبر عام 1823م. وبعد مقتل إسماعيل باشا شهدت مدينة ودمدني بعض الأحداث بعد أن انتشر الخبر فنشطت الرؤوس للثورة ضد الأتراك والمصريين وفر الأرباب دفع الله من ودمدني ونزل في قرية عبود فتجمعت عليه الجموع فشغل به محمد سعيد أفندي، وأرسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من ودمدني ليلاً وأصبحوا في عبود فوجدوا الأرباب دفع الله فقد فر بمجموعة فقتلوا الفقيه عبدالعليم خليفة ولد عبود وخرّبوا القرية ونهبوا أموالها وعادوا إلى ودمدني. أما الأرباب دفع الله فر إلى أبي شوكة واجتمع على حسن ودرجب فأرسل إليهما محمد سعيد أفندي سرية من العساكر برئاسة مصطفى كاشف فقاتلتها قتالاً شديداً، وقتل حسن ودرجب وعمه الشيخ حسين وابنه محمد وجماعة من رجاله وغنم منهما غنائم ثمينة ورجع إلى ودمدني. ولما بلغ الدفتردار في كردفان خبر حرق إسماعيل باشا نزل إلى ودمدني بعد حرق شندي والطفايا وجزيرة توتي والعلفون، وقد بلغه هنالك أن أهالي النيل الأبيض قد شقوا العصا فأرسل حسين أغا إليهم وقام بحاربتهم. وقد أقام الدفتردار في قرية أم عروق جنوب ودمدني يتعقب الثوار في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الأمر فنزل إلى مصر ومعه السيد أحمد السلوي الحنفي وتتابع بعده الولاة على السودان إلى أن كانت الثورة المهديّة.⁽³²⁾ وشهدت فترة الحكم التركي-المصري بزوغ أول وحدة سياسية للسودان الحديث بالرغم أن الهدف الأسمى من ضمه للدولة العثمانية

خلال فترة الدولة المهديّة (1898-1985م) لم يكن لمدينة ودمدني دور سياسي كبير بالمعنى المفهوم وذلك نسبة لتمرکز السلطة في مدينة أم درمان، وقد كان اهتمام خليفة المهدي بالشؤون السياسية الخارجية، ومجابهة الدول الاستعمارية، وقد كان أول دور سياسي لمدينة ودمدني أن اختارت المهديّة والوصوفي والياً على المنطقة التي تقع بين الرميّلة غرب الخرطوم حتى سنار، واتخذ ودمدني عاصمة لولايتيه (سالم: 1996: 18). وقد اهتمت الدولة المهديّة بتأمين الغذاء من الجزيرة حيث تم تشييد مجمع للغلال جنوب قبة الشيخ محمد مدني السّني وأصبح بها أهم سوق للغلال إضافة إلى أسواقها الأخرى.⁽³⁷⁾

تعتبر فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898-1955م) من أهم فترات التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني .. حيث كانت ودمدني محل أنظار الإنجليز لموقعها الجغرافي وسط السودان كملتقى للطرق البرية والبحرية، ولهذا الموقع أهمية اقتصادية واجتماعية وأمنية، فقد اتخذ الإنجليز أن تكون ودمدني عاصمة ثانية بعد الخرطوم بعد أن كانت مرشحة لأن تكون العاصمة الأم. وقد جعلت مدينة الكاملين عاصمة لمديرية النيل الجزيرة في يوم 8 مارس 1903م، وكانت ودمدني مركزاً تابعاً لمديرية سنار، وكانت العاصمة مدينة سنجة. تم نقل مركز الإدارة العمومية من مدينة سنار لمدينة ودمدني في 20 إبريل عام 1903م حيث صارت عاصمة لمديرية سنار، وفي أول يناير 1906م صارت ودمدني عاصمة لمديرية النيل الأزرق وأضيفت لها مديرية الجزيرة.⁽³⁸⁾

في هذه الفترة بدأت المدينة تزداد من ناحية السكان ازدحاماً بالوافدين فنتج عن ذلك انتعاش لحركة التجارة والزراعة والصناعات المحلية، وتم إرساء نظام الحكم والإدارة حيث كان الحكم برئاسة مدير المديرية ونائبه ثم مفتش المركز وثلاثتهم من الإنجليز، أما المأمور ونائبه فكانا من المصريين يعاونهما العمد والمشايخ المشهود لهم بالذكاء والحكمة، ويلاحظ عدم إعطاء السودانيين المثقفين أي فرصة لتولي مناصب قيادية في إدارة الحكم إلا في أواخر أيام الحكم الثنائي حيث كانت أعلى وظيفة هي وظيفة مأمور.⁽³⁹⁾

وقد شهدت مدينة ودمدني في ذلك القرن الأحداث السياسية الضخمة التي وقعت حوله، فهناك استعمار وثورات وطنية ومؤتمرات وجمعيات وحركات ثورية في السودان وحرب عسكرية وحرب باردة في جميع أنحاء العالم، كانت هنالك إرهابات الحرب العالمية الثانية (1939-1945م). وكانت السنوات

الأخيرة من تاريخ الاحتلال الثنائي (الإنجليزي المصري) للسودان، وفترة التحول السياسي وتكوين الأحزاب السودانية وهي نقطة تحول مهم في تاريخ السودان المعاصر. فقد شهد مؤتمر الخريجين الذي تم تكوينه بمدينة ومدني عام 1937م وثبة كبرى في أنشطته نقلته من دائرة العمل في مجال التعليم والإصلاح الاجتماعي وتشبيد المدارس ودعم خلاوي القرآن ورعاية النشاط الأدبي والثقافي (المهرجانات الأدبية) إلى ساحة العمل السياسي، وتقديم مذكرته الشهيرة بتاريخ 3 إبريل سنة 1942م إلى «صاحب معالي حاكم عام السودان»⁽⁴⁰⁾. وكانت أهم فقرات المذكرة المطالبة بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير المصير بعد نهاية الحرب العالمية مباشرة... جاء فيها «إن السودانيين قد تمكنوا من إدراك حقوقهم كشعب يجب أن يكون له كيان خاص، وأنهم بناء على هذا الإدراك يطلبون تعديل بعض الإجراءات التي كانت قائمة آنئذٍ، كما طالبوا بإصدار تصريح مشترك يمنح السودان بحدوده المعلومة حق تقرير المصير»⁽⁴¹⁾. وعلى الرغم من أن الإدارة البريطانية في السودان رفضت المذكرة وردتها ردًا غير كريم بدعوى تجاوز المؤتمر دائرة اختصاصه. فقد ظلت المذكرة معلماً مهماً في تاريخ الحركة الوطنية، وخطوة أولى في طريق المجاهدة والمصابرة التي انتهت بتحقيق استقلال السودان السياسي. وأخذت وقتها الحركة الوطنية تتجه نحو الاستقلال، وكانت تعقد المساجلات والندوات والمناقشات في الأندية والجمعيات الأدبية⁽⁴²⁾. وقد شهدت مدينة ومدني تكوين الأحزاب السياسية وانتشار الحركة الشيوعية وتصاعدها، وكانت الشيوعية تبث تعاليمها بين طلاب المدارس ونقابات العمال وتنشئ خلاياها لدراسة الفكر الماركسي وتبني دعائم تنظيمها السياسي من منطلق الفلسفة «الماركسية اللينينية في مدينة ومدني بالإضافة إلى مدن الخرطوم وعطبرة. كما شهد السودان بدايات انبعاث الحركة الإسلامية في السودان وجيل الإخوان المسلمين الأول وبداية حركته السرية والعلنية في تكوين التنظيم بقيادة الداعية الأستاذ بابكر كرار، وكيف أن الإخوان المسلمين أسهموا في تبليغ رسالتهم والسودان في قبضة العلمانية وخلايا الفكر الشيوعي، وشهد عملية تطور الحركة الإسلامية من العمل الدعوي والتنظيمي إلى اكتمال بنائها الإداري في مجال العمل السياسي، والعمل الوطني، وتبني مسألة الدستور. وتأسيس منهج الحركة التربوي ونشاطها الفكري والثقافي والاجتماعي، وهو المنهج الذي يفصح عن فلسفة الحركة ورؤيتها لبناء المجتمع الإسلامي وإعداد جيل يتطلع بجد وإخلاص لقيام وترسيخ الدعوة الإسلامية وقيام دولة الإسلام

والشريعة. وقد شاركت مدينة ودمدني في العديد من الأحداث السياسية وكيف كان تأثيرها على نظام الحكم في السودان، بالإضافة إلى استقلال السودان فقد كانت شاهداً على الأسباب التي أدت إلى انقلاب ثورة 17 نوفمبر 1958م بقيادة الفريق إبراهيم عبود، ثم الانقلاب عليها بقيام ثورة جماهيرية في 21 أكتوبر عام 1964، ثم قيام الديمقراطية الثانية، والأسباب السياسية التي أدت إلى انهيارها بعد مجيء انقلاب ثورة مايو بقيادة حركة الضباط الأحرار، وعلى رأسها كوادر الحزب الشيوعي السوداني، وكذلك شهدت مجاهدات الحركة الإسلامية ضد حكومة مايو اليسارية والانقلاب عليهم بواسطة الرئيس جعفر محمد نميري ومحاكمتهم وإعدامهم بعد قيامهم بانقلاب عسكري ضد الحكومة. وكيف استفادت الحركة الإسلامية من انقلاب هاشم العطا وتحول ثورة مايو من اليسار إلى اليمين واستمر ذلك حتى قيام المصالحة الوطنية في عام 1978م، وترسيخ مؤسسات العمل الإسلامي وتحول الاقتصاد إلى الاقتصاد الإسلامي. ثم جاء انقلاب الرئيس «نميري» على الإسلاميين وإيداعهم السجن مما أدى إلى قيام انتفاضة إبريل/ رجب سنة 1985م والإطاحة بحكومة مايو، وقيام الديمقراطية الثالثة ومشاكلها وانهيارها بعد قيام الحكم الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية بمساندة كوادر الجبهة الإسلامية (ثورة الإنقاذ الوطني) بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير. وفي ظل هذه المعطيات السياسية شهدت مدينة ودمدني العديد من الحكومات المحلية، وقد ظلت مدينة ودمدني عاصمة مديرية النيل الأزرق، ثم عاصمة لإقليم الأوسط، ثم عاصمة لولاية الجزيرة، وفي عهد نظام مايو تم تكوين مجلس تشريعي يتم انتخابه عن طريق التصويت المباشر، ومن مهامه الرقابة على السلطة التنفيذية، وإصدار القوانين المحلية. وفي عهد ثورة الإنقاذ الوطني اتخذت مدينة ودمدني عاصمة لولاية الجزيرة ومقرًا للحكومة، وكون بها عدد من المطبات والمجالس التشريعية بالانتخاب المباشر.

التطور الاقتصادي:

عند بداية نشأة مدينة ودمدني لم يكن يوجد أي نشاط اقتصادي، إذ لم تكن الزراعة أو الصناعة معروفة لدى السكان الأوائل لمدينة ودمدني، وقد كان اعتماد السكان على سبل كسب العيش البدائية وهي التقاط الثمار وجمعها وأكلها مثل النبق والللوب، وربما أثرت طبيعة النشاط التعليمي الصوفي على الزهد والاكتفاء بالموجود وما تهبه الأرض من زرع وقد شهدت المدينة نشاطاً

تجاريًا في عهد دولة السلطنة الزرقاء، فقد كانت تمر عبرها قوافل كردفان التجارية الذاهبة إلى سواكن بطريق القصارف النيل الأزرق بعد مرورها بقريّة (ود شلعي) على النيل الأبيض وقريّة (عبود) بالجزيرة، وبعد قيام الخرطوم ورثت ودمدني المركز التجاري الذي كانت تحتله سنار في حوض النيل الأزرق. وقد كانت عامرة بأسواقها كقريّة كبرى لفتت انتباه الرحالة الأوربيين واستقر بها عدد من جنود الفونج وأسسوا بها عددًا من المقاهي والمطاعم.⁽⁴³⁾ وكان نظام التجارة والأسواق في عهد السلطنة الزرقاء لكل مشيخة سوقًا تجاريًا عامًا يفتح في يوم معين من أيام الأسبوع فيتجمع إليه التجار لبيع ما لديهم من السلع والحبوب والمواشي، وقد تميزت هذه الأسواق بوجود الأصناف المختلفة من لحوم البقر والإبل والأغنام، كما يوجد اللبن ومشتقاته إلى جانب البقول والخضروات والفواكه والتوابل إضافة إلى الروائح العطرية والعطرون والحنة.⁽⁴⁴⁾ كما كانت تأتيه منتجات المشيخات من سن الفيل والذهب والمنسوجات.⁽⁴⁵⁾ لم تكن للسلطنة عملة خاصة.⁽⁴⁶⁾ فكان تبادل المنتجات المحلية بين الأهالي يتم عن طريق المقايضة في القرى والمدن الصغرى⁽⁴⁷⁾ وذلك عن طريق مبادلة سلعة بسبعة أخرى⁽⁴⁸⁾ هذا إلى جانب بعض العملات المحلية التي يصنعها الحدادون وتعرف باسم مثل أبو منجل والحشاش.⁽⁴⁹⁾ كما كانت تستخدم العملات الأجنبية المجلوبة من الخارج بواسطة التجار الأجانب وهي لا تواجه أي صعوبة في التعامل والتداول ولهذا كان لها قيمتها وسط التجار الأثرياء.⁽⁵⁰⁾ وأهم النقود الرائجة التي كانت متداولة في مدينة ودمدني ومدن السودان الأخرى في فترة في السلطنة الزرقاء هي ريال أبو طيرة.⁽⁵¹⁾ كما استعمل في بربر وشندي الدولار الأسباني.⁽⁵²⁾ لم تكن المكوس باهظة فقد كانت أول ضريبة فرضتها سلطنة الفونج على القبائل هي تورات* العسكر وهي عبارة عن عمار* لبن وفطير ويكون مناصفة بين الأهالي.⁽⁵³⁾ وقد أطلق الفونج كلمة الخراج على كل ما يدفع للحاكم.⁽⁵⁴⁾ وتفرض ضريبة الخراج على أرض الدولة أو الأرض التي جرى تملكها ولم ينص على إسقاط خراجها.⁽⁵⁵⁾ وفي عهد الحكم التركي كانت السوق في مدينة ودمدني عبارة عن أكواخ صغيرة، تحتوي على بعض الأقمشة ذات الألوان الباهتة (الشيت) كما تسمى، والأحذية والخرز والسكر والبن والبهارات، وقد كان أفضل «دكان» هو ذلك المقهى الذي يحتل ركنًا من مربوع عند نهاية الأكواخ. في هذا المربوع تباع الذرة والذرة الشامية والقمح وغيرها مما يجلب السكان من المناطق المجاورة.⁽⁵⁶⁾ وقد شهدت مدينة

ودمدني خلال فترة الاحتلال التركي المصري للسودان تطوراً في النشاط الزراعي نتيجة لوجود مجندي الجيش التركي الذين اتخذوا من الأراضى الواقعة بين حي جزيرة الفيل وحي دريق مقرّاً لهم وانتعشت زراعة الذرة الرفيعة والذرة الشامى والبطيخ والبامية والملوخية والعجور والطماطم. وقد عمل بعض الشوام والإغريق والهنود بعد استقرارهم بحى القسم الأول بومدني العمل في النشاط التجاري وبدأوا يعملون في تجارة الأقمشة والسكر والشاي والخزف وغير ذلك من السلع المستوردة من الخارج، كما عمل بعض الأهالي في تجارة المحاصيل المختلفة عن طريق البحر كالسمسم والدخن والذرة.⁽⁵⁷⁾

أما في فترة المهديّة 1885-1898م فقد كانت الجزيرة إقليمًا له أهميته بوصفه مصدرًا لمد الجيوش بالغذاء والتموين. فقد شهدت تلك الفترة فترة ركود اقتصادي في السودان عامة، لأنها كانت فترة تأسيس للحكم بعد ثورة غيرت من نظام الحكم الأجنبي المستعمر للبلاد (التركي - المصري)، وأيضًا فإن الهجرة إلى أم درمان عاصمة الدولة المهديّة بطلب من الإمام المهدي كان لها أثر كبير، وبالتالي كسدت الأحوال الاقتصادية ولم تذق مدينة ودمدني انتعاشًا اقتصاديًا في تلك الفترة. ونسبة لصعوبة إمكانيّة الحياة والعيش في أم درمان سمح الخليفة عبدالله التعايشي لسكان الجزيرة بالعودة إلى ديارهم في عام 1888م وهي ماتعرف بسنة المجاعة المعروفة في السودان بـ (سنة 6)، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري وبنهاية الثورة المهديّة عاد بقية السكان الذين تخلّفوا بمدينة أم درمان.⁽⁵⁸⁾ وفي فترة الحكم الثنائي الإنجليزي المصري (1898-1955م) شهدت مدينة ودمدني انتعاشًا اقتصاديًا عم كافة القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات نتيجة للازدحام السكاني والهجرات التي توافدت إلى المدينة من مختلف القبائل من داخل السودان ومن مختلف الأجناس من خارج السودان من تجار وحرفيين وموظفين. وقد شهدت مدينة ودمدني منذ العهد التركي وحتى فترة الحكم الإنجليزي للسودان العديد من هجرات التجار اليهود للسودان، وهم الذين كانوا يعملون في الاستيراد والتصدير، وقد كان من أبرزهم يوسف داود وهو من مواليد مصر عام 1902م وقد تجنّس بالجنسية السودانية بوثيقة رقم 1142 بتاريخ 12 يونيو 1959م، عمل في مجال التجارة بسوق ودمدني، وهو ابن خال هنري داود العيني الذي كان يعمل مع صالح باروخ بومدني. وجهته التي هاجر إليها غير معلومة الجهة. وأيضًا السيدة فكتورين يعقوب ملكة

من مواليد مدينة ودمدني في يوم 28 نوفمبر 1948م، تجنست بالوثيقة رقم 845 بتاريخ 30 إبريل 1950م وهي متزوجة، هاجرت إلى أمريكا. وأيضًا يعقوب يوسف عبودي من مواليد مدينة ودمدني 1917 وقد منح الجنسية السودانية بالميلاد تحت الرقم 191 بتاريخ 30 أكتوبر 1949م، عمل في تجارة الخردوات، هاجر إلى أمريكا في إبريل عام 1967م قبل حرب النكسة 1967 بشهور!. ومن أشقائه موسى، وموريس وجوزيف وإبراهيم، د. شلومو، وجميعهم استقروا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ومن الذين أيضا لهم دور في التجارة بدمدني البرت سامويل أشكازي من مواليد مدينة ودمدني عام 1932م تم منحه الجنسية السودانية بالوثيقة رقم 1734 بتاريخ 29 نوفمبر 1953. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1964م. ومن التجار أيضًا إلياس البنو (يطلق عليه أهل ودمدني إلياس البني) هاجر إلى دولة نيجيريا بعد حرب النكسة يونيو عام 1967م وقد تعرضت أعمال شقيقه إدوارد للمصادرة. وقد أدى هذا التمازج العرقي إلى بروز تباين ثقافي وسط هذه المجموعات فاستفاد مجتمع ودمدني من هذا التباين في دفع الحركة الاقتصادية، إذ كثر الطلب على الإنتاج والسلع والخدمات، وكان لكل قبيلة أو جالية أجنبية مستلزمات تود الحصول عليها، فعمرت الأسواق بمختلف الأصناف وتطورت وسائل الزراعة فتأثر الإنتاج إيجابًا كمًا ونوعًا.⁽⁵⁹⁾ ومن أهم الفترات التي برزت فيها أهمية ودمدني بوصفها مدينة تجارية كانت بعد قيام مشروع الجزيرة في عام 1924م الذي أنشئ لاستغلال موارد السودان الطبيعية والزراعية وكان من أهم طموحاتهم العمل على زراعة القطن طويل التيلة، وقد أصبح القطن الذي يزرع في الجزيرة الغرض منه التصدير إلى الخارج لجلب العملة الصعبة، وقد كان الإنجليز قبل سودة مشروع الجزيرة يعتمدون عليه في الارتقاء بصناعة النسيج في لانكشير ببريطانيا، ولا يستهلك من محصوله محليًا إلا قدر ضئيل للغاية لعدم اهتمام الحكومات السودانية المتعاقبة بتطوير صناعة النسيج في السودان.⁽⁶⁰⁾ وقد كان لا بد من الضروري بناء خط حديدي لربط مناطق الإنتاج بميناء السودان الوحيد آنذاك سواكن، وفي عام 1912م تم ربط مدينة ودمدني ببقية مدن السودان المهمة، حيث كان ذلك الحدث مؤثرًا لمرحلة اقتصادية وتغيرًا اجتماعيًا كبيرًا بالمدينة، وقد كانت تستقبل يوميًا عشرات القبائل والقوافل المحملة بحاصدات السودان، ودخلت المدينة أعداد كبيرة من العاملين والحرفيين الذين أثروا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبذلك أصبحت مدينة ودمدني وقتها

أهم دعومات اقتصاد السودان. وقد كان النشاط الصناعي آنذاك بدائيًا للغاية وهو عبارة عن الآلات الزراعية التقليدية من الحديد والخشب مثل (الملود) وهي عبارة عن آلة لتنظيف الحشائش الأرضية، وأيضًا اشتهرت صناعة الكوريق والطورية والسلوكة (آلة للزراعة) والواسوق (آلة لتسوية الأرض) وغير ذلك من الصناعات البدائية مثل صناعة العناقيرب والأحذية البلدية (المركوب) وصناعة الأسلحة البيضاء مثل السيوف والحراب والسكاكين والبنادق الخفيفة، وقد تخصصت بعض العائلات في هذه المهن وانحصرت في أغلب سكان حي القسم الأول.⁽⁶¹⁾ أما بقية السكان فهم في الأغلب مزارعون، مارسوا الزراعة سواء في مشروع الجزيرة، أو الزراعة المطرية، أو زراعة الجروف، وعمل البعض جزارين وخضرجية وفي تجارة القطاعي وصيد السمك.⁽⁶²⁾ وقد كان النشاط التجاري ينصب حول المنتجات الزراعية والبضائع المستوردة والمحلية التي كانت تزدهم بها الأسواق المشهورة مثل (سوق أم سويقو)، و(سوق الأشراف) جوار خور ودقيحة. أما العملة المتداولة آنذاك فقد كانت من فئة الريال أبوعشرين قرشًا حيث يساوي القرش الواحد عشرة مليمات وهي عملة نمساوية كانت متداولة في مصر والسودان والحبشة، كما كانت هنالك العملة المصرية فئة (الشلن) الذي يساوي خمسة قروش⁽⁶³⁾ وقد جلب مشروع الجزيرة الغنى للسودان بعد قيامه، كما ضرب في نفس الوقت مثلًا باهرًا لما يمكن أن يتحقق في دولة إفريقية، إذ ما تضاربت عوامل التجارب المتأنية، مع البحث العلمي والكفافية الإدارية الحكومية، والتجارية، والشراكة التعاونية بين الدول والمؤسسات التجارية. وقبل الحرب العالمية الأولى كانت ثروات السودان ضئيلة للغاية.⁽⁶⁴⁾ وبصرف النظر عن التطور الاقتصادي والاجتماعي العام للبلاد فإن مشروع الجزيرة تسبب في تغيير حياة وتوجه سكان المنطقة بشكل جذري ففي خلال عقدين فقط من الزمان تم تطوير مجموعة من البشر الفقراء والمتخلفين، والذين يعيشون حياة غير مستقرة في جزء من البلاد بأمطار غير مضمونة لا تتعدى بوصات في العام، إلى مجتمع غني واقتصاد متوازن يعيش فيه مزارعون متعلمون ويمارسون المسؤولية الاجتماعية. قام الدكتور محمد أفضال مدير الأبحاث للجنة القطن المركزية الباكستانية بجولة في مشروع الجزيرة وهيئة البحوث الزراعية بدمني وكتب: «إن الجزيرة تمثل أعظم تجربة رائعة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في هذا القرن، وأن نجاحها لعظيم بدرجة تؤهلها لدخول التاريخ كأسطورة رومانسية في الإنجاز الإبداعي». ⁽⁶⁵⁾ وبعد الحرب

العالمية الثانية وما بعد الاستقلال ظلت مدينة ودمدني من أكثر المدن جذبًا للسكان حيث لعب القطاع الصناعي دورًا مهمًا في التنمية الاقتصادية المهمة التي أدت إلى إحداث التنمية البشرية وزيادة دخل الفرد بتوفير فرص العمل وتحقيق القيمة المضافة للمنتجات الزراعية والحيوانية خاصة بعد قيام المنطقة الصناعية مع ازدياد النشاط التجاري للمدينة وظهور مناطق سكنية جديدة وتوسعت حركة الأداء الحكومي نسبة للتطور الإنمائي والاجتماعي. أقيمت بعض المؤسسات الاقتصادية، وأقيمت فروع لبعض الشركات الضخمة مثل جرتلي هانكي، سودان ماكتاير، وكاتربيلر، وشركات الجرارات الخفيفة والثقيلة، وأقيمت مصانع للنسيج، والمشروبات الغازية والحلويات، ومطاحن الدقيق، وصناعة الزيوت والجلود، والإنتاج الحيواني. وقد أدى هذا التطور الاقتصادي إلى التغيير في نمط الإنتاج فتحول سكان ودمدني من النمط التقليدي البدائي مثل الزراعة والأعمال الشاقة إلى الاعتماد على الآلة والتكنولوجيا.⁽⁶⁶⁾ (اقتصاديات ولاية الجزيرة: 2005.199)

التطور الاجتماعي والثقافي:

لما انتشر الإسلام في القرن التاسع الميلادي شهد السودان ثقافة جديدة في الشمال تلك هي الثقافة الإسلامية. وكانت البداية في شكل مجموعات صغيرة من التجار والرعاة البدو، ومنذ القرن السابع الميلادي أخذت مجموعات كبيرة من القبائل العربية تهاجر من الجزيرة للسودان.⁽⁶⁷⁾ وكان من جراء انتشار الإسلام واستقرار القبائل العربية قيام ممالك إسلامية في السودان، ولذلك كان على الآباء أن يهيئوا كل الفرص والسبل لأبنائهم لحفظ القرآن الكريم، كما كان هناك حافز آخر للعرب المهاجرين، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك لأن يحققوا لأنفسهم ولأبنائهم وأحفادهم السيطرة الثقافية، ومن ثمة السيطرة السياسية على أهالي البلاد الأصليين.⁽⁶⁸⁾

شكل المسجد الركيزة الأساسية لبداية التعليم بمدينة ودمدني، حيث تقام الصلوات وتقام فيه الدروس التي تُعنى بتحفيظ القرآن الكريم ونشر فقه العبادات والمعاملات وتدريس الحديث النبوي الشريف. وقد تم تشييد أول مسجد بدمدني من القش والأخشاب بالقرب من خلوة القرآن التي أسسها الشيخ محمد بن مدني السني التي كانت لها قوة عظيمة في محاربة الرذيلة والعمل على خلق مجتمع روعي فاضل⁽⁶⁹⁾ تم إنشاء المسجد الكبير بديلاً

للمسجد الأول في عام 1898م، ومسجد البوشي في عام 1893م. ولما ازداد عدد المتعلمين على مر الزمن، وعظم الإقبال على التعليم تحول مسجد البوشي نواة لمعهد ودمدني العلمي الذي أسس في عام 1927م، وقد قام هذا المعهد بتدريس العلوم الشرعية، وبعض علوم اللغة العربية مثل النحو والصرف، وقد كان لهذا المعهد دور عظيم في التغيير حيث كان منارة في الإشعاع الديني والعلمي. وقد كانت سنوات الدراسة بالمعهد ثماني سنوات تمثل في مجموعها مرحلتي الدراسة المتوسطة والثانوية، يلتحق الطالب بعد إكمالها بنجاح بمعهد أم درمان العلمي لينال الشهادة العالمية في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. وفي عام 1959م تم فصل الصفوف الأربعة الأخيرة وهي تمثل المرحلة الثانوية إلى جامع بانة، وأدخلت مقررات العلوم الحديثة مثل اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم الاجتماعية ضمن مقررات المرحلة المتوسطة بينما حافظت المرحلة الثانوية على مقررات العلوم الشرعية ريثما تتم تغذية المرحلة الثانوية بالطلاب الناجحين من المرحلة المتوسطة. وفي نقلة عمرانية نوعية أنتقلت الدراسة من مسجد بانة عام 1960م إلى المباني الجديدة جوار منازل 114. وقد أدى المسجد والمشايخ دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية والترابط الاجتماعي بين السكان بالرغم من اختلافهم العرقي.⁽⁷⁰⁾ وفي عام 1970م تم اتخاذ قرار غير موفق بعد سيطرة الحزب الشيوعي على نظام مايو بتصفية نظام الدراسة بالمعاهد العلمية (العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية) وتم إلحاقها كمدارس بوزارة التربية والتعليم وأصبح المعهد العلمي العريق يسمى مدرسة السني الثانوية. وهكذا تم التخلص من أحد منابع التعليم القرآني الديني الذي كان يحمل مشاعر هذه العلوم.

بداية التعليم النظامي:

شهد السودان التعليم النظامي الحديث لأول مرة إبان الحكم الثنائي في عام 1898م حيث قامت بعض جمعيات بعض التبشير المسيحي بفتح مدارس نظامية على النهج الغربي في بعض المدن الكبرى في السودان الشمالي، وفي قليل من المدن في الجنوب.⁽⁷¹⁾ وقد سعى الإنجليز للاستلاب الفكري وكان منهجهم خروج السودانيين من تعليمهم وقيمهم الدينية، وقد سلب المستعمر في بداية دخوله ثقافة وحضارة ودمدني التي قامت على هدى الثقافة الإسلامية، ونهج بنوها وساكنوها طريق المعرفة القرآنية والمدرسة الربانية.⁽⁷²⁾ وقد بدأ البريطانيون

في مدينة ودمدني يشجعون التعليم النظامي بغرض توفير الأعداد اللازمة من الموظفين الذين يمكن الاعتماد عليهم في إدارة مكاتب الحكومة. وفي عام 1903م أنشئت أول مدرسة أولية (مدرسة كتاب النهر الأولية) على النظام التعليمي المصري، وكان المعلمون من الجنسية المصرية، ثم تبعتها مدرسة البندر الأولية عام 1906م على نفس الأسس التعليمية، ثم أنشئت مدرسة مدني الأميرية الحكومية في نفس العام 1906م، وتعتبر هذه المدرسة أعلى درجة من الكتاب وتأخذ تلاميذها من مدارس الكتاب (الأولية) وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتمثل هذه المدرسة ما يعرف في مصر بالمدرسة الابتدائية، وقد أنشئت مدرسة السكة الحديد التي كانت تستعمل عربات السكة الحديد فصولاً لها. وفي فترة الأربعينيات من القرن الماضي حضرت بعثة للتعليم المصري للسودان وضمت إليها مدرسة الاتحاد القبطية وأصبح اسمها المدرسة المصرية ثم عدل الاسم ليكون المدرسة العربية، وتطورت لتضم قسمًا للمرحلة الثانوية مع استمرار الدراسة المختلفة.⁽⁷³⁾

شهدت مدينة ودمدني منذ مطلع القرن العشرين تغيرات اقتصادية عميقة نتيجة قيام مشروع الجزيرة 1925م، مما ساهم في إحداث تغيرات اجتماعية شاملة في مجال التعليم والانبعث الثقافي الغربي. وتوالى تأسيس المدارس، ففي عام 1956م بعد خروج المستعمر تم تأسيس مدرسة ودمدني الثانوية للبنين حيث استوعبت هذه المدارس عددًا من أبناء ودمدني مما أحدث ذلك تحولاً في مجال التعليم بعد أن تأهل عدد من الطلاب لجامعة الخرطوم.⁽⁷⁴⁾ وفي تلك السنة ظهرت لدى المسؤولين فكرة نظام التعليم الشعبي المعان. وكان الغرض منه تشجيع المواطنين للإسهام في تطوير التعليم بمختلف مراحلها، وتقوم الدولة ممثلة في وزارة التربية والتعليم بدعم تلك الجهود بالكتب والأثاث المدرسية أو المعلمين أحياناً وبالإعانات المادية أو العينية، مثل: الأراضي. وتحت هذا المفهوم قامت مدارس أبو زيد أحمد، ومدارس الجيلي صلاح، ومدارس يونس للبنين ومدرسة شدو المتوسطة، ومدارس فريني المتوسطة والثانوية للبنين، وقد أسهمت هذه المدارس في دعم العملية التربوية والتعليمية في مدينة ودمدني مما كان له الأثر الواضح في دعم الوعي والتماسك الاجتماعي لسكان المدينة والوافدين إليها، وتنمية القدرات والمهارات وكان ذلك يشكل رافداً في مجالات التنمية البشرية. ومن السمات البارزة في تاريخ التعليم في ودمدني نشأة الدور الوطني الذي قام به التعليم الأهلي في تعليم البنات، فإن

أول مدرسة كتاب للبنات كانت هي مدرسة الحضري التي قام بإنشائها عام 1938م الشيخ أحمد الحضري. أما أول مدرسة ابتدائية (متوسطة) فقد كانت المدرسة الإرسالية الابتدائية الإنجليزية للبنات وكانت تتبع للكنيسة الإنجليزية (البروتستانت)، وعندما أنشئت المدرسة الغربية للبنات في عام 1953م سحب المواطنون المسلمون بناتهم من هذه المدرسة الإرسالية. وفي عام 1960م تم تأسيس مدرسة مدني الثانوية للبنات. ومدارس الليثي للبنات، ومدارس أبوبكر المتوسطة والثانوية للبنات، ومدارس عبدالستار الثانوية للبنات. وقد أسهمت أيضاً بيوت الخياطة وهي مراكز للتعليم النسوي لتعليم البنات خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي (العشرين)، وكانت بعض النساء والمرشدات من الإنجليز والسودانيات يعلمن النساء الخياطة وغزل القطن والتطريز وفن الطبخ.⁽⁷⁵⁾ أما في مجال التخصص في التعليم الديني للنساء؛ فقد تصدى الشيخ محمد عبدالرحمن شاطوط لتعليم البنات وقام بتأسيس معهد علمي بحري وأزرق على نفقته الخاصة عام 1976م واقتصر نشاط المعهد على الوعظ والإرشاد والفقهاء والتدريب المنزلي والأشغال اليدوية ومحو الأمية. وقد ظل هذا المعهد يقدم دوراً تنموياً إيجابياً في إرشاد العنصر النسائي والبناء الأسري. وفي مجال التعليم المهني قامت مدرسة ودمدني الصناعية في بداية الخمسينيات من القرن العشرين وهي مدرسة أكاديمية صناعية يقبل لها التلاميذ الذين يجلسون لامتحان دخول المدارس المتوسطة ممن لهم الرغبة في تعليم مختلف أنواع الحرف. يتلقى التلاميذ في هذه المدرسة إلى جانب مواد المتوسطة مبادئ الحدادة والرسم الهندسي. وفي عام 1969م صدر قرار من وزارة التربية والتعليم بتحويل هذه المدرسة إلى مدرسة متوسطة كاملة. وأنشئ بدلاً عنها معهد الحرفيين الذي تم التركيز فيه على الحرف المذكورة آنفاً. وفي عام 1970م تم إنشاء معهد التدريب المهني، وهو معهد يعني بالتدريب على مهن النجارة والحدادة والبناء والكهرباء وميكانيكا السيارات ومهن أخرى. ويعتبر هذا المعهد الذي تم إنشاؤه بالتعاون مع اليونسكو وحكومة السودان أكثر تقدماً من معهد الحرفيين. وفي فترة السبعينيات تم إنشاء أول جامعة بدمدني وهي جامعة الجزيرة، وفي التسعينيات تم إنشاء كلية ودمدني الأهلية، وكلية أبوبكر عثمان الجامعية، وكلية ودمدني التقنية، وجامعة السودان المفتوحة وجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم بالإضافة إلى بعض المعاهد المتخصصة والمدارس الخاصة والتأهيلية، وقبل ذلك ألحق عدد كبير من أبناء ودمدني بالجامعات السودانية المختلفة وخارج السودان.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة التطورات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني، وقد تعرضت الدراسة لنشأة المدينة والتطورات والتحولت الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالإضافة إلى التطورات العمرانية التي مرت بها المدينة منذ حقب بعيدة تمتد إلى تاريخ نشأتها. ومن خلال الدراسة نخلص إلى أن المدينة توسعت وتطورت بصورة كبيرة عما كانت عليه منذ نشأتها.

النتائج:

- ومن أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة الآتي:
- أن مدينة ودمدني لها تاريخ حافل وتعتبر من أهم المدن السودانية.
 - شهدت المدينة طوال تاريخها الطويل العديد من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة، مما يدل على أهمية هذه المدينة.
 - أسهمت ودمدني بشكل كبير في التطورات التي شهدها السودان من خلال ما شهدته من تطورات على كافة الأصعدة.

الهوامش:

- (1) عبدالعزيز حسن البصير: ودمدني كرة القدم خلال مائة عام، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2004م، ص 17.
- (2) محمد التجاني الجعلي: ودمدني النشأة والتطور، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة 2005م، 2004م، ص 53.
- (3) عبدالعزيز حسن البصير، مرجع سابق، ص 103.
- (4) محمد محمود الصياد، ومحمد عبدالغني: السودان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص 128.
- (5) ريتشارد هيل: على تخوم العالم الإسلامي - حقبة من تاريخ السودان (1822-1841م) ج 1 (د، ت)، ص 69.
- (6) عبدالعزيز حسن البصير، مرجع سابق، ص 104.
- (7) عبدالله علي حامد العبادي: أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 1975م، ص 71.
- (8) أحمد، صلاح الدين الطاهر: التخطيط العمراني بمدينة ودمدني، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس - كلية التربية - جامعة الجزيرة - د.ت. ص 13.
- (9) مبارك عبدالرحمن شاطوط: ودمدني الروح، ودمدني، 1995م، ص 11.
- (10) عبدالرحيم سالم: ودمدني - بعيني طفل وذاكرة رجل، الأردن، 1996م، ص 13.
- (11) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق، ص 10.
- (12) لا أثر الآن للتكنات ولا المستشفى في موقعهما بالقرب من الجامع الحكومي، في المنطقة الواقعة بين حي المدنيين والمدينة الحديثة، ولا يزال منخفض على الشاطئ كان يعرف بحمام الجيش.
- (13) ريتشارد هيل: مرجع سابق، ص 70.
- (14) نفس المرجع
- (15) المرجع نفسه، ص 71.
- (16) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق ص 162.

- (17) نفس المرجع
- (18) المرجع نفسه، ص 161.
- (19) عبدالرحيم سالم : مرجع سابق ، ص 17.
- (20) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق ص 161.
- (21) نفس المرجع، ص 163.
- (22) ياسر ابو الحسن : مجلة آفاق الهجرة، مجلة بحثية يصدرها مركز السودان لدراسات الهجرة والتنمية والسكان بجهاز تنظيم شؤون السودانيين العاملين بالخارج، العدد السادس، نوفمبر 2011م، ص 93.
- (23) حسن عبدالحميد أحمد رشوان: المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، ط5، 1989م، ص 107.
- (24) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع -شبكة العلاقات الاجتماعية - ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، القاهرة، 1962م، ص 25.
- (25) صلاح الباشا : اريخ آلة الكمان بالسودان، طرق استخدامها وأساليب عزفها (من منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام 1940م) - ودمدني أنموذجا-رسالة ماجستير (غير منشورة) -أكاديمية الفنون - جمهورية مصر العربية، 1992م، ص 22.
- (26) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 13.
- (27) الأمين أبومنقة: رحلات الحاج وأثارها الاجتماعية والاقتصادية على السودان وادي النيل، مجلة الدراسات السودانية، العدد 14، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم، أكتوبر 2008م، ص 14.
- (28) عبدالعزيز حسن البصير ، مرجع سابق ، ص 18.
- (29) عبد الرحيم محمد خير: «السودان القديم: بداية صناعة الحديد في إفريقيا»، أدوماتو(المملكة العربية السعودية)، العدد الأول، يناير 2000م ، ص 35.
- (30) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 78.
- (31) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق، ص 17.
- (32) نعوم شقير: تاريخ السودان، تحقيق وتقديم محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة، 1981م، ص 208.

- (33) عبد الرحيم محمد خير: مرجع سابق ، ص 29.
- (34) نعوم شقير: تاريخ السودان ،مرجع سابق ، ص 201.
- (35) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 79.
- (36) نفس المرجع، ص 104.
- (37) المرجع نفسه ، ص 80.
- (38) عبدالعزیز حسن البصير،مرجع سابق، ص 18.
- (39) مبارك عبدالرحمن شاطوط:مرجع سابق ، ص 20.
- (40) أحمد خير المحامي: كفاح جيل، الدار السودانية للكتب، 1948، ص 78.
- (41) نفس المرجع ، ص 78.
- (42) دوقلاس نيوبولد: مذكرة السكرتير الإداري - 29 ابريل 1942م - ردًا على مذكرة المؤتمر، ص 149.
- (43) محمد بشير الخليفة : المجتمع السوداني في العهد التركي، (1302هـ - 1885م)، رسالة دكتوراه في التاريخ (غير منشورة) - جامعة إفريقيا العالمية - كلية الآداب، 2008م، ص 209. (43) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ج 1، ، لبنان ، بيروت ، مطبعة دار الثقافة 1972م، ص 1078 .
- (44) مكى شببكية: مملكة الفونج الإسلامية ، ط2، معهد الدراسات العربية، 1963م، ص 17.
- (45) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، الخرطوم، ط1، 1966م، ص 18.
- (46) الشاطر بصيلي: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، مصر، القاهرة، النهضة العامة للكتاب، 1972م، ص 271.
- (47) محمد زكي المسير: اقتصاديات النقود، القاهرة، دار النهضة المصرية ، 1985م، ص 12.
- (48) الشاطر بصيلي: مرجع سابق ، ص 217.
- (49) محمد سعيد القدال: السياسة الاقتصادية للدولة المهديّة، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1986، ص 24.
- (50) الشاطر بصيلي: مرجع سابق ، ص 180.

- (51) نعوم شقیر : جغرافية وتاریخ السودان، ص 1180.
- (52) محمد النور ودضیف الله : كتاب الطبقات، خصوص الاولیاء والصالحین والعلماء والشعراء فی السودان، تحقیق د.یوسف فضل حسن، دار التألیف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط 4 1992م، ص 82.
- (53) محمد إبراهيم أبو سلیم : الساقية، معهد الدراسات الأفريقية والآسیوية - جامعة الخرطوم 1980م، ص 203.
- * تورات : ضریبة من وجبات الطعام أو تعینات العسكر الذین ینزلون فی بلادهم حتی یرحلوا عنها
- * عمار : إناء معین لحفظ اللبن.
- (54) بابكر فضل المولى : مظاهر الحضارة فی دولة الفونج الاسلامیة، دار السداد، 2004م، ص 154. (55) ریتشارد هیل : مرجع سابق، ص 71
- (55) محمد التجانی الجعلی : مرجع سابق، ص 152.
- (56) مبارك عبدالرحمن شاطوط : مرجع سابق، ص 13.
- (57) محمد التجانی الجعلی : مرجع سابق، ص 153.
- (58) یوسف عبدالله الكارب : تجربة حياة فی مشروع الجزيرة، (-1948 1980م)، سینان العالمیة للطباعة، الخرطوم، 2012م، ص 25.
- (59) محمد التجانی الجعلی : مرجع سابق، ص 152.
- (60) عبدالرحیم سالم : مرجع سابق، ص 33.
- (61) محمد التجانی الجعلی : مرجع سابق، ص 152.
- (62) سیر هارولد ماكمايكل (.G.C.M.G-D.S.O.): السودان، ترجمة محمود عثمان صالح، ط 2. مركز عبدالکریم میرغنی الثقافی، أم درمان، ینایر 2009م، ص 222.
- (63) نفس المرجع، ص 204.
- (64) إقتصادیات ولاية الجزيرة : للعام 2005م : ولاية الجزيرة، وزارة المالیة والاقتصاد الوطنی، الإدارة العامة للتخطيط والتنمية والبعوث، ص 199.
- (65) عبدالعزیز حسن البصیر : ألق الزاهیدین وبرد الیقین، معهد مبارك قسم الله للبعوث والتدريب، 2011م، ص 3
- (66) محمد عمر بشیر : تطور التعلیم فی السودان (1898-1956م)، دار الجیل، بیروت - مكتبة خليفة عطیة، الخرطوم، 1983م، ص 25.

- (67) مبارك عبدالرحمن شاطوط: مرجع سابق ، ص 33.
- (68) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 63.
- (69) محمد عمر بشير: مرجع سابق ، ص 21.
- (70) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 82.
- (71) نفس المرجع، ص 129.
- (72) عبدالرحيم سالم: مرجع سابق ، ص 45.
- (73) محمد التجاني الجعلي: مرجع سابق، ص 124.

نشأة مدينة مروي

(دراسة في العوامل الجغرافية والاجتماعية)

جامعة الجزيرة

د. نجلاء عبد الرحمن وقيع الله بلاص

مستخلص:

تهدف الورقة إلى تحديد مدى انتشار ظاهرة المدن عمومًا ومدينة مروي خصوصًا تحديد العوامل الاجتماعية والجغرافية لنشأة مدينة مروي. تنبع أهمية الورقة في الكشف عن مدى انتشار ظاهرة المدن عمومًا ومدينة مروي خاصة. المساهمة المتواضعة في دراسة اجتماعية توثيقية عن مدينة مروي. اتبعت الورقة المنهج الوصفي لوصف أو تقدير واقع معين في فترة زمنية محددة بوقت إجراء الدراسة، ولأنه يدرس الواقع أو الظاهرة محل الدراسة، ويعبر عنها كافيًا، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها. لذا جاء المنهج الوصفي ملائمًا للدراسة الحالية. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: تلعب الهجرة الداخلية أو الخارجية الدور الأساس في نشأة المدن وتطورها واستمرارها، لأن المدينة تشكل عامل جذب للسكان نسبة لوجود الخدمات المختلفة، وتتركز أهمية العامل الاجتماعي في قدرة المدينة على استيعاب الوافدين الجدد من المهاجرين، وقدرتها على تهيئتهم للحياة الحضرية. نشأت المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو عند مصباتها، لأن العامل الطبيعي والمتمثل في الموقع الاستراتيجي والذي له دوره في تحقيق الكفاية أو الوفرة الإنتاجية للغذاء وتوافر مصادر المياه والتي تعد سببًا في تجمع الأفراد ومن ثم قيام المدن. تعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني، والتجمعات الإنسانية المختلفة، واختلف نمط المدينة باختلاف المراحل التاريخية والاقتصادية التي مرت بها الإنسانية لذا كانت محل اهتمام الفلاسفة والباحثين عبر كل العصور. كما توصلت الدراسة إلى عدد التوصيات منها: من إعداد دراسات للأثر البيئي وتقييمها ومقارنتها بالمعلومات المرصودة قبل قيام السد، مع ضرورة إشراك الأهالي أصحاب المصلحة في إعداد الدراسات وتقييمها إعمالًا للشفافية والمصداقية، وجبرًا للضرر بما يهيئ المواطنين المشاركة في تنمية المنطقة وانتشارها من وهديتها. أن تتم زراعة محاصيل جديدة مثل الموالح والمناجو وغيرها من المحاصيل التي تتواءم مع التغيرات البيئية والمناخية، وذلك تماشيًا مع ما جاء في تقرير لجنة تقصي أسباب موت النخيل، الذي أكد على تغيرات بيئية ومناخية بسبب قيام السد مما أفضت إلى موت مفاجئ للنخيل.

The birth of the city of Meroe Study of geographical and social factors

Dr.Nagla Abdelrhman Wagialla Blass

Abstract:

The paper aims to determine the extent of the phenomenon of cities in general and the city of Meroe in particular, and to determine the social and geographical factors for the emergence of the city of Meroe. The modest contribution to a documentary social study on the city of Meroe. The paper followed the descriptive approach to describe or estimate a specific reality in a specific time period at the time of the study, and because it studies the reality or phenomenon under study, and expresses it qualitatively, the qualitative expression describes the phenomenon and explains its characteristics. Therefore, the descriptive approach was appropriate for the current study. The study reached a number of results, including: Internal or external migration plays the main role in the emergence, development and continuity of cities, because the city is an attractive factor for the population due to the presence of various services. Ancient cities arose on the banks of rivers or at their estuaries, because the natural factor represented in the strategic location, which has a role in achieving the production sufficiency or abundance of food and the availability of water sources, which is the reason for the gathering of individuals and then the establishment of cities. The city is a social phenomenon whose existence is linked to the existence of the human community. The different human gatherings, and the city's style differed according to the different historical and economic stages that humanity passed through, so it was of interest to philosophers and researchers throughout all ages. The study also reached a number of recommendations, including: preparing and evaluating environmental impact studies and comparing them with the information observed before the construction of the dam, with the necessity of involving the stakeholders in preparing the studies and evaluating them in implementation of transparency and credibility, and reparation for the damage that prepares the citizens to participate in the development of the region and lift it out of its grave. That new crops be planted such as citrus, mango and other crops that are compatible with environmental and climatic changes, in line with what was stated in the report of the committee investigating the causes of palm death, which emphasized environmental and climatic changes due to the construction of the dam, which led to the sudden death of palms.

مقدمة:

تعتبر المدينة مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية عالية، ولها أهمية خاصة تميزها عمّا عداها من المدن. رغم ذلك قامت بعض الدول بوضع مميزات وشروط معينة لتحديد المدينة عن القرية.

ارتبطت بداية نشأة المدن وظهورها ارتباطاً وثيقاً ببداية تكون المجتمعات البشرية الأولى، والمدن هي تجمعات إنسانية لذا تقوم بالعديد من عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية المختلفة الجوانب. وتشير الدراسات الإحصائية إلى أنّ المكان الذي يسكن فيه أكثر من 20 ألف نسمة يصنف بأنه مدينة، طالما أن المساحة الجغرافية القائمة تحتوي على كافة المظاهر المدنية، من منازل، ومدارس، ومراكز صحية، ومجلس بلدي، وغيرهم. ذلك بالإضافة إلى تميز المدينة بمجموعة من المميزات التي تساعد في التمييز بينها وبين المناطق السكانية الأخرى، ولاسيما القرى، والريف.

وتعتبر المدن الحديثة أحد الأشكال المتقدمة من أشكال التجمعات الإنسانية عموماً، حيث تستنطق المدينة أساليب حياتية تتلاءم مع بُنيته العمرانية والاجتماعية، والاقتصادية، والأيدولوجية، وتُناسب الطابع الاجتماعي الخاص بها، لذا بلغت الحياة في المدينة ذروة التعقيد، مما أدى إلى تغير أنماطها المعيشية حتى تتماشى مع مكّونات سرعة إيقاع الحضارة المعاصرة، وبالتالي أصبح على السكّان التكيّف والتوافق مع أوضاع وظروف المدينة المعاصرة.

تُعتبر المُدن مراكز للسكّان دائمة نسبياً، فهي تظلُّ قائمة لفتراتٍ طويلة من الزمن ولا يهجّرها السكان بسهولة، وعادةً ما تكون ذات عاداتٍ اجتماعية وثقافية مُميّزة تميزها عن غيرها من المدن، ولها دورٌ ثقافيّ وحضاري مهم بالنسبة لسكان الدولة التي توجد فيها. ومن هذه المدن المميزة مدينة مروي، والتي تقع في الولاية الشمالية التي تعتبر إحدى ولايات السودان، والولاية الشمالية هي معبر الرسائل ومنفذ وملتقى الحضارات وبوتقة الثقافات.

مروي هي مدينة أثرية في شمال السودان تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، تبعد حوالي 6 كيلومترات إلى اتجاه الشمال الشرقي من محطة كبوشية بالقرب من مدينة شندي، كما تبعد حوالي 200 كيلو متر من العاصمة السودانية الخرطوم. ويوجد بالقرب من الموقع مجموعة من القرى تسمى البجراوية. كانت هذه المدينة عاصمة للمملكة الكوشية لعدة قرون، وقد أطلق الكوشيون هذا الاسم على كل الجزيرة أو شبه الجزيرة الواقعة بين نهر

عطبرة في الشمال والنيل الأزرق في الجنوب ونهر النيل في الشرق ويطلق على هذه المنطقة جغرافياً اسم إقليم البطانة.

أهداف الورقة:

1. تحديد مدى انتشار ظاهرة المدن عموماً ومدينة مروى خصوصاً.
2. تحديد العوامل الاجتماعية والجغرافية لنشأة مدينة مروى.
3. المساهمة بدراسة موسوعية وواقية لمدينة مروى ونشأتها ومراحل تطورها وإسهاماتها في المجالات المختلفة.

أهمية الورقة:

1. الكشف عن مدى انتشار ظاهرة المدن عموماً ومدينة مروى خاصة.
 2. المساهمة المتواضعة في دراسة اجتماعية توثيقية عن مدينة مروى.
- منهج الورقة: اتبعت الورقة المنهج الوصفي لوصف أو تقدير واقع معين في فترة زمنية محددة بوقت إجراء الدراسة، ولأنه يدرس الواقع أو الظاهرة محل الدراسة، ويعبر عنها كيفياً، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها. لذا جاء المنهج الوصفي ملائماً للدراسة الحالية.

العوامل الاجتماعية لنشأة المدن:

تشير العوامل الاجتماعية إلى مجموعة من العناصر التي لها جذورها في المجتمع. وتعرف العوامل الاجتماعية: بأنها العوامل التي تحدد نمط الحياة الكاملة لمجتمع معين بسبب علاقتها مع جميع العوامل الأخرى التي تحدد مجتمعه نمط الحياة والبناء الاجتماعي للمجتمعات⁽¹⁾.

العوامل الاجتماعية: Social Factors هي العوامل التي تحتوي كل أنواع الأنظمة والعوامل الأخرى وتقوم على علاقات التبادل والتفاعل بين مختلف أنواع العوامل من خلال إقرار المجتمع الذين هم العنصر المحرك لكل الأنظمة، كما تشكل العوامل الاجتماعية من الثقافات والعادات والتقاليد المتوارثة⁽²⁾.

المدينة (الجمع: مَدُنٌ وَمَدَائِنٌ) هي مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية كبيرة، ولها أهمية معينة تميزها عن المستوطنات الأخرى⁽³⁾. تعريف المدينة: اشتُقَّ مصطلح المدينة من الكلمة اللاتينية (civitatem)، والتي تعني المواطنة أو مجتمع المواطنين، وتُعرَّف على أنها منطقة سكنية تحتوي على عدد كبير من الناس بالنسبة لمساحة الأرض التي يعيشون عليها،

ويسكنون بقرب بعضهم البعض في شقق منفصلة أو مساكن متعددة الشقق، وتُدار المدينة من قبل الحكومة من خلال وضع أنظمة خاصة لتوفير المرافق وطرق للنقل وعمليات للصيانة لتسهيل حياة المواطنين⁽⁴⁾.

لم يتفق اللغويون أو علماء اللغة والمتخصصون على تعريف واحد لمفهوم المدينة، ويمكن القول - من منطلق عام - إنَّ المدن هي تجمعاتٍ مستقرّةٍ ومُنظمةٍ بدرجةٍ عاليةٍ للبشر، يُقيمون فيها بصورةٍ دائمةٍ، وعادةً ما تكونُ أكبر حجمًا وأكثر سُكَّانًا وأهميّةً من البلدات والقرى⁽⁵⁾.

لا يوجد تعريف متفق عليه للمدينة، لكن هناك مميزات لا بد من وجود بعضها أو كلها في المدينة، مثلًا للمدينة حكومة أو نظام إداري للحكم، هذه الميزة شرط من شروط وجود المدينة ولا تخلو منها أي مدينة. والنظام الإداري فيها يعتمد على أجهزة حكم على عكس القرى والبلدات الصغيرة التي يعتمد النظام الإداري فيها على أنظمة اجتماعية مثل النظام العشائري أو الاتفاق بين سكان القرية، والعادات والعرف.

عرّف ابن خلدون المدينة بأنها أمصار تمتلك أبنية كبيرة، وأجرام وهيكل عظيمة، وهي عامّة حيث تحتاج إلى التعاون واجتماع الأيدي، من أجل اختطاط المدن وتمصيرها⁽⁶⁾. وعرّف ماكيفر المدينة كمجتمع محلي؛ بأنها وحدة اجتماعية تضم مجموعة من الأفراد تسود بينهم مصالح مشتركة، ويتعاملون مع بعضهم البعض بقيم عامة؛ فيشعرون بالانتماء ويتشاركون ظروفًا أساسية تمكنهم من العيش بحياة مشتركة، كما أشار علم الاجتماع إلى أنَّ المدينة عبارة عن تنظيم اجتماعي يتضمن أنماطًا اجتماعية داخل نظام إيكولوجي محدد، كما ارتبط مفهوم المدينة بتنوع نمط الحياة المتبع، إذ يختلف أسلوب حياة المجتمع الحضري اختلافًا كبيرًا عن أسلوب حياة المجتمع الريفي، وهذا ما يميز المدن عن الأرياف والقرى⁽⁷⁾. ويقترح ماكس فيبر تعريفًا نموذجيًا للمدينة مقرًا بوجود عدة تعاريف بخصوص المدينة مدشّنًا النقاش المستمر إلى الآن بين دعاة التعاريف الكمية (عدد السكان) ودعاة التعاريف الكيفية (معيار الثقافة) إذ يقول: يمكن تعريف المدينة بعدة طرق لكن هناك نقطة واحدة مشتركة بين كل التعاريف، كون أن المدينة لا تكمن في سكن واحد أو سكنات متعددة منتشرة بشكل مبعثر، فالمدينة تتشكل من السكن المجتمع (نسيبًا) أي محلة (localité). وفي المدن تبنى الدور بالقرب من بعضها البعض، فالقاعدة

العامة تقول هي أن تبني حائط لحائط. فالتصور الشائع في الوقت الحاضر يربط المدينة بخصائص كمية محضة (8).

مراحل نشأة المدن:

أهم العوامل الرئيسية لنشوء المدن هي:

- العامل الطبيعي: والذي يتمثل في الموقع (الاستراتيجي) من حيث دوره وكفاءته في تحقيق الكفاية أو الوفرة الإنتاجية للغذاء وتوافر مصادر المياه لذلك نشأت المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو عند مصباتها.
- العامل الديني: يلعب دوراً مهماً في نشوء بعض المدن وتطورها، إذ إنه كان العامل المميز لبعض المدن القديمة، حيث يحتل المعبد الرئيسي مركز المدينة في بعض الأحيان، رغم أن السمة الدينية لا تغلب على معظم هذه المدن لأنها تقوم بوظائف حيوية قد تتساوى في بعض الأحيان مع أهمية الوظيفة الدينية.
- العامل الاجتماعي: تلعب الهجرة الداخلية أو الخارجية الدور الأساس في نشأة المدن وتطورها واستمرارها، لأن المدينة تشكل عامل جذب للسكان نسبه لوجود الخدمات المختلفة وتعدد فرص العمل، وتتركز أهمية العامل الاجتماعي في قدرة المدينة على استيعاب الوافدين الجدد من المهاجرين، وقدرتها على تهيئتهم للحياة الحضرية ومن ثم قدرتها على الحفاظ على الهوية الثقافية للمدينة من خلال تطبيعهم على الحياة المدنية أو الحضرية لاسيما إن كان هؤلاء المهاجرون من الريف، تم تدريبهم بالقدرة على تقبل القيم الحضرية بدلا من القيم الأصلية التي أتوا بها من الريف مما يتيح لهم ذلك التعايش السلمي والتفاعل الاجتماعي داخل المدينة.
- العامل العسكري: من ناحية الدفاع عن المدينة فغالباً ما يتم اختيار مواقع المدن قرب الموانع الطبيعية مثل البحار أو الأنهار أو الجبال، وذلك لتسهيل عملية الدفاع عنها وعدم احتلالها، ومن ثم استمرار المدينة في البقاء والازدهار.
- العامل الإداري والسياسي: له أهمية بالغة في نشوء المدن، ويعتمد هذا العامل مع أهميته أو كبر حجمه أو مركزيته بين المدن المحيطة أو الأمصار، فتمثل بذلك عاصمة لدولة المدينة وينطبق ذلك في المدن القديمة.

- العامل الاقتصادي: يعتبر من العوامل المهمة أيضاً في نشوء المدن، لذا يطغى عليه النشاط التجاري، بالإضافة لتعدد النشاطات الإنتاجية الأخرى التي تعتمد على التجارة في استمراريته حتى في حالة الاقتصاد الزراعي للمدينة، وذلك عبر المتاجرة بالمنتجات الزراعية. إن نشوء وقيام المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو عند مصباتها يكاد يكون سمة مشتركة بين معظم المدن القديمة التي نشأت فيها الحضارات القديمة إلا أن العامل المميز لهذه المدن بعضها عن البعض الآخر هو الارتباط المباشر بين الحياة فيها وبين التغيرات الطبيعية التي تحدث لهذه الأنهار. بل إن استمرارية الحضارة ذاتها جاء من هذا المنطلق الذي خلق نمطاً من التحدي الطبيعي لحياة الإنسان في صراعه مع الطبيعة من أجل البقاء، فكانت الحياة المدنية لسكان المدن القديمة هي العامل الأساس في خلق الاستجابة المناسبة في التوقيت المناسب لتحديد من التأثير السلبي للطبيعة المفرطة القوة لمعظم هذه الأنهار. وبالتالي فإنها العامل الأساس في استمرار الحضارة في البقاء وتطورها من خلال التراكم المعرفي والتكامل الحضاري الذي يستند إلى التنوع الهائل الذي تتضمنه المدينة ممثلاً في تعقد نمطية التقسيم الاجتماعي للعمل بين المكونات الديموغرافية للمدينة والتي ارتبطت بعضها مع البعض الآخر من خلال الحياة المدنية. وتعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني، والتجمعات الإنسانية المختلفة، واختلف نمط المدينة باختلاف المراحل التاريخية والاقتصادية التي مرت بها الإنسانية لذا كانت محل اهتمام الفلاسفة والباحثين عبر كل العصور.

يساعد التعريف السوسولوجي للمدينة في اختيار الأبعاد الاجتماعية التي تحدد العناصر الحضرية في مختلف المجتمعات المحلية والتنظيمات الاجتماعية، وقد أكدت عدد من الأدبيات الحضرية وجود مقاربة سيولوجية لهذا المفهوم، يدل على أنّ المدينة هي تنظيم اجتماعي مكوّن من عدد من الأنساق، والنظم الاجتماعية الموجودة داخل تنظيم أيديولوجي، وقد عرّف السيد مصطفى الخشاب المدينة سيولوجياً بأنها مجرد فكرة، إلا أنّ عناصرها من إقامة، ووسائل تنقل، وأبنية داخلية، هي موجودات ذات طابع مختلف، مما يجعل المدينة من الأمور المحددة، التي تمتلك تكاملاً وظيفياً في كافة عناصرها المختلفة بحيث تكون وحدة كليّة، وقد عرّفها السيد عبد العاطي السيد على أنّها نظام اجتماعي ذو حالة حركية وديناميكية مستمرة، كما أنّ العلاقة بين

مكوّنات المدينة وعناصرها، والعلاقة بين الأنظمة متغيرة بشكل دائم⁽⁹⁾. المدينة ظاهرة حضارية حضرية (مدنية) ميزت المجتمعات البشرية الأولى فقد كانت العامل المميز لانتقال الإنسان من طور البربرية والوحشية إلى التمدن والحضارة.

يعتمد سكان المدن على نشاطات مختلفة في معاشهم وتكثر فيها التجارة والخدمات. بعض المدن قد تعتمد على مصدر وحيد أو أساسي للاقتصاد كالنفط مثلاً، إلا أن السكان غالباً ما يمارسون مختلف النشاطات الاقتصادية كالتجارة والصناعة والحرف والبناء والمهن المتخصصة⁽¹⁰⁾. يُعرف مركز المدينة بأنه بؤرة الحياة الخاصة بها، حيث يمتلك هذا الموقع أهمية خاصة في المجتمعات، فهو المركز الرئيسي من أجل التسلية، والثقافة، وإدارة الأعمال في المدينة، حيث يضم المحلات التجارية، والبنوك، والنوادي، والفنادق، والمتاحف، والمسارح، ويتميز مركز المدينة بأنه مركزي، حيث تلتقي به طرق المواصلات، ويأتي إليه عدد كبير من السكان كل يوم من أجل العمل أو الزيارة، وهناك عدّة أنواع من المراكز منها: الحكومي، أو المكتبي، أو المركز التجاري، أو الديني، أو الاجتماعي، أو السياحي، وقد تكون بعض المراكز مُختلطة، حيث تتراوح نسبة الاختلاط على حسب الخلفية الاجتماعية، والاقتصادية، والحضرية، والسياسية⁽¹¹⁾.

للمدينة على الأقل مركز واضح واحد يسمى حي الأعمال المركزي أو مركز المدينة أو وسط البلد أو غيرها من التعبيرات حسب الدولة مع اتساع وكبر المركز مثل مدينة دمشق؛ بعض المدن لها أكثر من مركز مثل بغداد التي لها أربعة مراكز تاريخية. غالباً ما يكون مركز المدينة في وسطها، إلا أنه في بعض الأحيان يكون المركز في أحد الأطراف أو الجوانب وغالباً ما يكون ذلك في المدن التي تقع على أرض لها ميزات جغرافية محددة كأن تكون ميناءً فيقع المركز قرب الميناء أو أن تكون على حافة جبل فيمنع الجبل توسعها من إحدى الجهات.

تتميز المدينة عن القرية والبادية في أنها أعلى منهما في الكثافة السكانية، وأنها تحتوي على أغلب ضروريات الحياة والمرافق الخدمية⁽¹²⁾.

يؤثر الموضع في التركيب الداخلي للمدينة وتوزيع استعمالات الأرض فيها، فإذا كان الموضع بين منطقة مائية ويايسة فإن ذلك سوف يؤثر في البنية الداخلية للمدينة والتي تتوزع ما بين اليايسة والمياه، أما بالنسبة إلى الموضع

الجبلي فإنه كثيراً ما يتطلب عمليات التعديل وتسوية الأرض وتأتي هذه العمليات استجابة للحاجة إلى تخطيط المدينة على أساس التدرج في الارتفاع بحيث تأخذ شكلاً كنتورياً. والموضع الجبلي على العموم لا يشجع على التوسع المساحي وذلك للكلفة العالية التي تتطلبها عملية تسوية الأرض لمد الطرق فيها.⁽¹³⁾ وهناك قوى أخرى محفزة للنمو الحضري للمدينة تتمثل بما يحتويه الإقليم من الموارد الطبيعية والبشرية، التي لها دور فعال في نمو وتطور فعاليات المدينة المختلفة، عندما تقوم المدينة باستثمار تلك الموارد تنشأ بفعل ذلك علاقات تفاعل مكانية بينهما فعندما يحتوي الإقليم على عناصر التنمية فإن الروابط الإقليمية بين المدينة وظهرها يشتد أوارها. أما فيما يتعلق بالموارد البشرية فيعتبر سكان الإقليم عاملاً مهماً ورئيسياً في النشاط الاقتصادي من خلال مساهمتهم الفعالة كقوة عمل في النشاطات الاقتصادية وعلى الأخص في مجال الصناعة التي تتطلب الخبرة في العمل.

كما أن لشبكة النقل أثرها البارز في تحفيز النمو الحضري وزيادة الاتساع المكاني لتأثير المدينة، فبعد أن كانت المدن ذات مساحة محدودة وحجم صغير لا يتعدى نصف كيلومتر مربع، إلا أنها تضاعفت بعد استخدام وسائل النقل الحديثة التي ساهمت بشكل كبير في التوسع المساحي للمدن وتطورها. فلا يمكن للمدن أن تنمو وتتوسع بدون طرق النقل ووسائله فهي العامل الأساس في ربط أجزاء المدينة مع بعضها البعض، ثم ربطها بالمناطق المجاورة لها، كما أن الفعاليات الوظيفية في المدينة لا تستطيع أن تتفاعل مع بعضها من دون وجود عامل النقل.⁽¹⁴⁾

وظائف المدينة:

- أُنشئت المدن لوظائف عديدة مهمة تتفاوت أهميتها من مدينة لأخرى، وهذه الوظائف تُحدد أهمية المدينة وسبب وجودها، ومن أبرزها:
- الوظائف العسكرية: إذ تعد مركزاً أمنياً يوفر حماية عسكرية لسكانها.
 - الوظائف التجارية: إذ إنها تربط بين الأسواق ومعايير الحدود.
 - الوظائف الصناعية: فيتوفر فيها مصانع للمواد الخام وفقاً لتوافرها في الطبيعة.
 - الوظائف السياحية: حيث الآثار والمناطق السياحية.
 - الوظائف الثقافية: فتتوفر فيها المدارس والجامعات والمعاهد.

الوظائف الدينية: إذ تتوفر فيها الأماكن الدينية.⁽¹⁵⁾ وعلى الرغم من تعدد الوظائف في المدينة إلا أنّ هناك دائماً وظيفة أكثر أهمية من غيرها تقوم كعامل جذب رئيسي لها، وتُعد الوظيفة الأساسية التي تتركز عليها المدينة، ولها الأولوية في خدمتها وتوفير الموارد التي تحتاجها⁽¹⁶⁾.

أنواع المدن: تنقسم المدن إلى تقسيمات شتى سواء إذا كان أساس التصنيف هو الموقع الجغرافي أو الوظيفة التي تؤديها المدن، ومن هذه التصنيفات:

- المدن الدينية: هي المدن التي يغلب عليها وجود مكان مقدس وثقافة دينية محددة ترتبط بهذه المدينة، وعادة ما تكون محدودة التنوع الثقافي، وتقتصر على اتباع ثقافة أو دين محدد، وتسمى أيضاً المدن الطقوسية.

- المدن الإدارية: المدن التي توجد بها مراكز صنع القرار وبيوت السياسة المختلفة، وأروقة الحكم والسياسيين، أيضاً تحتوي هذه المدن على تنوع ديموغرافي واجتماعي، وتحتوي على أعداد كبيرة من السكان وغالباً ما كانوا متنوعين عرقياً، وبها وظائف متنوعة.

- المدن التجارية: ظهر هذا النوع من المدن على الخريطة الجغرافية على إثر تفكك الإقطاع الزراعي في المجتمعات الحضرية، وتعد روابط المدينة التجارية مع الثقافية الأوسع نطاقاً، كما هو الحال مع المدن الإدارية، بحيث تعد هذه المدن مراكز تجارية لتصريف بضائع المدن الصناعية.

- المدن الصناعية: ظهرت المدن الصناعية بعد تطور النظام الرأسمالي الصناعي في أواخر القرن الثامن عشر، ويتناسب دور هذه المدن مع النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي سيطر على المؤسسات الاجتماعية الأخرى آنذاك، بحيث اعتمدت الرأسمالية على إنتاج السلع من خلال العمل المأجور، وبذلك أصبحت المدينة مركزاً لعمليات الإنتاج وموقع المصانع، وأيضاً أماكن المواد الخام اللازمة للإنتاجية، وبذلك أيضاً نشأت الوظائف الحضرية الإضافية مثل الأعمال المصرفية وتجارة الجملة والتجزئة والعقود الخاصة بالنقل والاتصالات بهدف تسريع إنتاج المصانع أو توفير القوى العاملة⁽¹⁷⁾.

- المدينة الصغيرة: هي المدينة التي تظهر حديثاً، بمعنى يتم تصنيفها على أنها مدينة بعد أن كانت قرية، أو لواء يتبع لمدينة

أخرى، وتتميّز هذه المدن بظهور العديد من البنايات، والمصانع المتطورة، مع ازدياد ملحوظ في عدد السكان فيها، كما أنها تهتمّ بزيادة عدد المدارس بكافة أنواعها، من أجل استقطاب الطلاب والطالبات للحصول على التعليم المناسب لهم.

المدينة الكبيرة: هي المدينة التي تعتمد على تاريخ حضاري قديم، أي إنّها وجدت منذ العصور البشرية القديمة، ومازالت قائمة حتى هذا الوقت، واستمرّت في التطور مع ازدياد النهوض البشري العمرانية فيها، وتعاقب الحضارات الإنسانية عليها.⁽¹⁸⁾

أهم خصائص المدن:

- الكثافة السكانية: إذ يعد عدد السكان هو المقياس الرئيسي في العديد من دول العالم لتحديد المدن بشكل صحيح، فإذا سكن في الميل المربع الواحد أكثر من عشرة آلاف نسمة، توصف هذه المساحة الجغرافية بأنها مدينة. -

المهن العامة: تختلف المهن التي يعمل بها سكان المدينة عن سكان المناطق الأخرى؛ فيعمل أغلب السكان في المهن الصناعية، والإنتاجية، والتجارية، ويعمل القسم الآخر منهم في الوظائف العامة، والخاصة في الشركات والمؤسسات. ففي المدينة تتعدد المهن، ويكون هناك العديد من الوظائف الاجتماعية المتمثلة في الدين، والثقافة، والإدارة، وهناك الوظائف الاقتصادية المتمثلة في التجارة، والصناعة، والخدمات، وقد يؤدي تعدد المهن إلى تقسيم المدينة إلى عدة أقسام، وتتعدد فيها الطبقات، وتتكون الطبقة الفقيرة، والطبقة المتوسطة، والطبقة الغنية⁽¹⁹⁾.

- الحياة الثقافية: تتميّز المدينة بانتشار العديد من الأماكن التي تدلّ على المظاهر الثقافية فيها، مثل: المسارح، والمكتبات، والمتاحف الأثرية، والتي تعدّ مصدرًا من المصادر الرئيسية لتطور الفكر الثقافي عند المهتمين بالقراءة، ومتابعة إصدارات الكتب الجديدة. انتشار المواصلات الحديثة، والتي تعد جزءًا من أجزاء المدن، فتساهم في الربط بين أطرافها⁽²⁰⁾.

- تهتم بتطبيق الأحكام القانونية: إذ إنّها توجد في أغلب المدن مراكز للشرطة، ومحاكم تشريعية، وقانونية من أجل فرض القانون، وتطبيق نصوصه بشكل صحيح، ففي المدينة تظهر التشريعات

القانونية لتحلّ مكان التقاليد، ويكون من شأنها أن تضبط المجتمع، يبدأ الفرد بالابتعاد عن التقاليد الضابطة له شيئاً فشيئاً، وتعمل هذه التشريعات القانونية على تنظيم علاقات السكان بعضهم ببعض.

- مظهرها الخارجي: حيث يمكن التعرف على المدينة من خلال النظر إلى المباني والشوارع، وتتعدد فيها المدارس، والمعاهد، والدوائر الحكومية، والبنوك والفنادق، ومما يميزها عن القرية بشكل أساسي هو الضوضاء وكثرة حركة المشاة، وفي المدينة يمكن ملاحظة التطور الكبير في وسائل النقل والمواصلات، الأمر الذي أدى بدوره إلى اتساع المدينة وسهولة التنقل فيها، وأن المباني في المدينة ترتفع إلى طوابق متعددة، وتختلف في وظائفها والمواد التي تبنى منها أيضاً، حيث إن الحديد، والحجر والأسمنت هي المواد الأساسية في بناء المباني المدنية، بالإضافة إلى وجود المباني الخرسانية الفخمة، ولا يخلو أن تكون هناك أحياء فقيرة في المدينة مبنية من الطين⁽²¹⁾.
- تحضر الأفراد: حيث إنه عندما تكبر المدينة وينمو حجمها تقل معرفة الأفراد بعضهم ببعض كمعرفة شخصية، وبالتالي فإن العلاقات الاجتماعية تصبح سطحية إلى حد كبير، كما أنّ إنسان المدينة لا يتنقل كثيراً، ويصبح مرناً وغير جامد اتجاه العادات والتقاليد⁽²²⁾.

العوامل الجغرافية لنشأة المدن:

تعرف المدن بأنها رقعة جغرافية يقطن بها عدد كبير من السكان وعادة ما يكون للمدن حكومات وقطاعات إدارية خاصة لتطويرها وصيانة مرافقها، وتعرف أيضاً بأنها مركز سكاني دائم نسبياً وعالي التنظيم، وهو أكبر من البلدات والقرى، وترتبط المدن بالمجتمعات الحضرية والتمدن⁽²³⁾.

تعد جغرافية المدن فرعاً من فروع الجغرافية البشرية، وإن كانت حديثة النشأة بالمقارنة مع بقية فروع الجغرافيا البشرية. ويمكن القول أن بعض البدايات الأولى لجغرافية المدن قد ظهرت عند قدامى الجغرافيين مثل المؤرخ الإغريقي «اسطرابون»، ومن بعده الجغرافيون العرب والمسلمون وخاصة الاصطخري وابن حوقل وابن خلدون وغيرهم.

وإذا كانت جغرافية العمران تنقسم إلى شقين: أحدهما يدرس جغرافية الريف والآخر يدرس جغرافية المدن، فإن الاهتمام بدراسة المدن أكثر وضوحًا، لأن اتجاه سكان العالم يتزايد إلى سكنى المدن في كافة الأقطار، بحيث تتناقص نسبة سكان الريف إلى سكان المدن في معظم دول العالم، مما يوحي بأن سكان العالم جميعًا سيتحولون إلى سكان مدن، ويحدث ذلك بمعدلات سريعة في دول العالم النامي الذي يشهد طوفان من الهجرة من الريف إلى المدن، فقد يؤدي ذلك إلى تفاقم مشكلات الريف والمدن على حد سواء. ويضع الباحثون الجغرافيون مراحل عدة لقيام ونشوء المدن تبدأ بمرحلة الظهور على شكل مستوطنة، ومن ثم تتوسع نتيجة زيادة استعمالات الأرض للأغراض غير الزراعية (الدينية أو الصناعية أو التجارية)، بالإضافة إلى إقامة وحدة معمارية تؤدي دور النواة المركزية للمدينة. وعطفاً على ما سبق ذكره يمكن القول إن المدينة تبدأ على شكل بلدة أو مستوطنة حضرية ثم مرحلة النمو الذي يكون في أغلب الأحيان عن طريق نمو السكان بسبب الهجرة، بالإضافة إلى النمو الطبيعي فيها عن طريق زيادة المواليد.

مما يتطلب ذلك التوسع في التقسيم الاجتماعي للعمل من خلال المؤسسات الإدارية بالمدينة وذلك لتنظيم الحياة الاجتماعية للسكان الذين يفتقدون التجانس والانسجام نتيجة تعدد أصولهم الاثنولوجية الذي خلقته هجرتهم من مناطق واثنين مختلفة، لتصل بذلك الى مرحلة النضج التيت تمثل في الاتساع الأفقي (الجغرافي للمدينة) ومن ثم الاتساع العمودي الذي يظهر جليا في التعقد في تقسيم العمل والتنظيم الاجتماعي بسبب تعقد هيكلية بناء المدينة وزيادة الحاجة إلى الخدمات الاساسية المختلفة، وزيادة الكفاءة الوظيفية للعاملين في هذه النشاطات المتعددة.

الاستيطان أو العمران البشري، فرع حديث في الدراسات الجغرافية يرتقي به العهد إلى مطلع القرن العشرين، ولعل أبرز أهدافه هو الربط بين مظاهر السطح والخصائص الطبيعية للمكان من جهة وبين اختيار مواضع للمستوطنات لأغراض معينة من جهة أخرى. وقد اتسع منهج البحث في الآونة الأخيرة ليشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للمستوطنات فكما تهتم الجغرافية بدراسة الإنسان من حيث توزيعه وانتشاره، كذلك باستخدام الأرض في مجالات مختلفة في مقدمتها اختيار الإنسان مواقع لاستقراره دون غيرها متخذًا إياها موطنًا للعمران. ومن هنا فقد أكد (فلبريك) في تعريفه للجغرافية

تحليل وتفسير أنماط السكن، على أن الدراسات التي تناولت العمران لم يعد التركيز فيها على أنماط المساكن ومواد البناء المستخدمة بل على موضوعات تتعلق بتوزيع وتصنيف المساكن والتنظيم المكاني للمساكن والمستوطنات⁽²⁴⁾. ولا ريب في أن اهتمام الجغرافية بالسكن إنما هو من قبيل العناية بظاهرة من صميم حياة الإنسان ومن شأن الجغرافي في تعميق النظرة الموضوعية وتوسيع دائرة البحث الميداني، وصولاً إلى تقويم عملية السكن، وأنماط المستوطنات ومتابعة العوامل المؤثرة بها. وتمثل القرية (نواة المدينة الأولى) أقدم مراكز الاستيطان البشري وأكثرها انتشاراً على سطح الأرض فلقد اضطر الإنسان إلى الاستقرار عقب حقب طويلة متنقلاً بحثاً عن الماء والكلاً والراحة والأمان ومن المرجح أن استقرار الإنسان هذا ارتبط أول الأمر بالملاجئ والكهوف التي اتخذت فيما بعد شكل المنازل الصغيرة وكانت أول التجمعات السكنية. ويعود ظهور النويات الأولى إلى العصر الحجري الحديث خلال الفترة 10000 - 7000 ق. م حيث انتقل الإنسان من مرحلة الجمع والالتقاط والصيد إلى مرحلة الرعي والزراعة، وتقترن الحضارات الزراعية بظهور هذه التجمعات، فهي أول مظهر من مظاهر التعاون بين السكان في العمل والنشاط الاجتماعي.

ولا شك فإن لطول فترة التعمير البشري أثراً واضحاً في حجوم مراكز الاستيطان فغالباً ما تتسم مناطق التعمير القديمة بكثافة في سكانها وتتقارب بين مستوطناتها بينما تكون الأقاليم حديثة التعمير صغيرة الحجم ومتباعدة ويبدو أن معظم المدن القديمة كانت عبارة عن قرى اندثرت إما بسبب تغيير مجاريها أو بسبب تغير الظروف المناخية أو الحروب والأمراض والأوبئة أو الأحداث السياسية ولم يبق منها سوى الأطلال⁽²⁵⁾. ولكي يصنف الجغرافيون المدن اتبعوا في ذلك الكثير من الأسس والمعايير نذكر منها:

1. التصنيف التاريخي Historical Classification أي تصنيف المدن حسب أصولها التاريخية أو المراحل التاريخية التي مرت بها وأبرز سماتها المعمارية، ولعل أبسط تقسيم في هذا المجال ما يقسم المدن حسب الفئات الآتية: أ- مدن ما قبل التاريخ ب- المدن الإغريقية والرومانية ت- مدن العصور الوسطى ث- مدن النهضة والباروك ج- المدن الصناعية الحديثة.

2. التصنيف المكاني : Spatial Classification يقوم هذا التصنيف على أساس اختلاف الخصائص الطبيعية لمواقع المدن، وبموجبه تصنف

المدن كالاتي:

1. أ-مدن الأنهار Cities Rivers : وللمدن هنا ثلاثة مواضع فمنها ما يقع عند مصبات الأنهار مثل مدينة لندن عند مصب نهر التايمز.. إلخ، ومنها ما يقع عند ملاقي الأنهار مثل مدينة المقرن في السودان، ونوع ثالث يقع عند مخاضة النهر حينما يضيق ويسهل عبوره مثل مدينة الجيزة في مصر.

أ. مدن الجبال Cities mountains : تأخذ المدن الجبلية أربعة مواضع لها، عند التقاء الجهات الجبلية كما في خط المرتفعات في اسكتلندا، وإقدام الجبال كما هو الحال على طول إقدام الكتل القديمة في جنوب ألمانيا من الراين حتى سيليزيا العليا. ومواضع في مقدمات الجبال كما في الجهات الشمالية لجبال الألب مثل مدن ليون وبرن وميونخ. وهناك مدن تهيئ لها مواضع داخل الجبال كمدينة شقلاوه على سطح جبل سفين وكويسنجق عند جبال هيبية سلطان شمال العراق⁽²⁶⁾.

ب. مدن السواحل Coast cities : وهذه المدن أما إن تقع على ساحل بحر أو ساحل نهر، وغالبًا ما يهيئ لها الساحل على أساس طبوغرافيته لأن تصبح مدن موانئ بحرية أو نهريّة، وقسم آخر يقع على بحيرة أو خليج، والأمثلة على ذلك كثيرة منها البصرة وشيكاغو وجنيف وطرابلس ودرنة في ليبيا.

ج. مدن السهول The cities of the plains : تختار أغلب مدن العالم السهول الفيضية أو الساحلية موضعًا لها، كونها أفضل البيئات لقيام ونمو وتطور المدن، بفضل ما توفره من أراض منبسطة لاستعمالات الأرض ومد طرق النقل عليها، فضلاً عن توفيرها الأراضي الصالحة للزراعة لإقليم المدينة الذي يمدّها بالمواد الغذائية، فمدن بغداد وباريس والقاهرة ولندن مثال لهذه المدن.

3-التصنيف البنوي Structural Classification يعتمد هذا التصنيف على شكل المدينة أو بنيتها وتختلف المدن في ذلك حسب الخطة التي رسمت لها. وبذلك تبرز لنا الأنواع الآتية :

أ-المدن الشبكية ب- المدن الشعاعية ج- المدن المحتشدة د- المدن الطولية.

4 -التصنيف المرتبي Hierarchical classification تصنف المدن هنا

وفق عدة معايير منها على أساس الحجم (عدد السكان) أو على أساس مركزها الإداري أو على أساس وظائفها التي تقدمها. إلا إن الجغرافيين درجوا على تصنيف مدنهم على أساس الحجم باعتباره أنسب المعايير وأوضحها. وعلى أساسه تأخذ المدن المراتب الآتية:

المرتبة الأولى: 5000 نسمة فأقل.

المرتبة الثانية: 5001 - 10000 نسمة.

المرتبة الثالثة: 10001 - 25000 نسمة.

المرتبة الرابعة: 25001 - 100000 نسمة.

المرتبة الخامسة: 100001 - مليون نسمة.

المرتبة السادسة: أكثر من مليون نسمة.

5-التصنيف الوظيفي Functional classification يعد تصنيف المدن

وظيفية بحق تحدياً كبيراً للجغرافيين والمهتمين بشأن المراكز الحضرية، لأنه لا توجد مدينة تختص بوظيفة محددة بل إن جميع مدن العالم هي متعددة الوظائف. ولكن بالإمكان تحديد الوظيفة الرئيسية أو الغالبة في المدينة. إلا أن الوظيفة الرئيسية هي الأخرى ليست ثابتة طالما أن المدن عرضة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية. فكثير من مدن الصيد البريطانية في القرن التاسع عشر تحولت في الوقت الحاضر إلى مدن سياحية كما تحولت كثير من مدن الأسواق القديمة إلى مدن صناعية. والمدن القديمة ذات الصفة الدفاعية (الحربية) أو الدينية قد تغيرت بمرور الزمن بل وتدهورت بعد ذلك، في الوقت الذي تعاضت فيه وظائف أخرى كانعكاس للتطور الاقتصادي الذي شهدته الحضارة البشرية. وعلى الرغم مما سبق فإنه يمكن وضع تصنيف عام لكثير من المدن على أساس الوظائف الرئيسية التي تمارسها معتمدين في ذلك على الطرق الإحصائية والرياضية في التصنيف وكالاتي:

أ. مدن التعدين والمحاجر Cities mining and quarrying: مثل مدن

استخراج الفحم وتعدين النحاس والذهب.

ب. المدن الصناعية Industrial Cities: كالمدينة المتخصصة بصناعة الحديد

والصلب والصناعات الهندسية.

ت. مراكز النقل Transportation Centers: وهي متخصصة في الصناعات

المرتبطة بالنقل مثل صناعة السفن والسيارات والطائرات والقطارات.

- ث. المدن التجارية Commercial cities: وتشمل الآتي:
1. مدن الأسواق الزراعية مثل وينبيج وكنساس سيتي.
 2. مدن البنوك والمال مثل فرانكفورت وأمستردام.
 3. مدن داخلية كبرى ذات تركيب تجاري متنوع مثل مانشستر وسانت لويس .
 4. الموانئ التجارية الكبرى.
- ج-المدن الإدارية Administrative cities وتشمل:
1. العواصم القومية القديمة The old national capitals مثل باريس ولندن والقاهرة والعواصم الحديثة مثل برازيليا وكنبره.
 2. العواصم الإقليمية Regional capitals في إطار اتحاد فيدرالي كواشنطن وموسكو سابقاً ومثلها عواصم المحافظات.
- ج-المدن الاستراتيجية Strategic cities وتشمل:
1. مدن القلاع القديمة مثل أدنبره ودلهي وبكين.
 2. قواعد بحرية للأسطول مثل برست وبورتسموث.
 3. مدن الحاميات العسكرية Cities and military garrisons.
- ح-المدن الثقافية Cultural cities وتشمل :
1. مدن الحج مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف والنجف الأشرف وروما.
 2. المراكز التعليمية غالباً ما تكون فيها جامعة مثل كمبردج ولوفان وأوسبالا.
 3. مراكز المؤتمرات مثل برايتون وشيكاغو.
- خ-مدن الاستشفاء والترفيه cities hospitalization and recreation وتشمل:مدن المياه المعدنية مثل سبا وفيشي وطلوان وحمام العليل في الموصل. المجمعات البحرية،المنتجعات الجبلية.منتجعات داخلية أخرى.
- د-مدن سكنية Residential cities ومنها:مدن النامات وغالباً ما تكون في ضواحي المدن الكبرى.الضواحي مثل بيغري هلز قرب لوس انجلوس⁽²⁷⁾.
- إن الطبيعة الصناعية للبيئة الحضرية هي سبب زوال كثير من المدن القديمة التي لم تدمرها الحروب فدمرها أهلها أو أزالها هجران سكانها، إذ هُجرت كل المراكز الحضرية الكبيرة التي أقامتها حضارة المايا قبل 900 م وسبقتها في الزوال معظم مدن العراق القديم؛ كأوروك وإريدو. كان سبب

انهيار كثير من المدن القديمة هو زيادة السكان واستنزاف الموارد، ويرى (مفورد) أن ذلك يحصل مع المراكز الحضرية «حين تفقد المدينة تعايشها مع الأرض المحيطة بها؛ بالنمو السكاني الذي يُرهق الموارد المحلية -كالماء- فيعرضها للخطر. وحين تحتاج المدينة إلى دعم نموها المستمر، يجب عليها الوصول إلى موارد الماء والوقود والمواد الإنشائية خارج منطقتها المباشرة⁽²⁸⁾. إن أهم عامل في تكوين المدن هو العامل الطبيعي الذي يمثله الموقع (الاستراتيجي) فيما يتعلق بدورها وكفاءتها في تحقيق إنتاج غذاء كاف أو وفير وتوافر مصادر المياه، لذلك ظهرت المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو في مصبات الأنهار.

أظهرت الدراسات الأثرية والتاريخية أن المدن القديمة ارتبط وجودها بوجود المناخ الجيد والموقع الجغرافي المناسب من أجل تجمع السكان وتربية الحيوانات والتربة الجيدة من أجل الزراعة وتوفير المياه. كما أنها بحاجة إلى توفر طرق المواصلات البحرية والبرية وذلك من أجل نقل المواد الغذائية والتبادل التجاري عن طريق المبادلة أو المقايضة، حيث إن سكان المدن القديمة استخدموا العربات والمراكب الشراعية⁽²⁹⁾.

مدينة مروى:

الولاية الشمالية هي ولاية سودانية تقع في شمال البلاد. كانت تعرف سابقاً باسم المديرية الشمالية أو المحافظة الشمالية حتى سميت الولاية الشمالية عام 1994م بموجب قرار من رئيس الجمهورية. تقع الولاية الشمالية على خطي طول (10-32-50-25) شرقاً وخطي عرض 32-61 شمالاً تحدها من الشمال جمهورية مصر العربية وإلى عمق الصحراء عن الحدود الليبية ومن الشرق ولاية نهر النيل ومن الجنوب ولايتا الخرطوم وشمال كردفان ومن الجنوب الغربي ولاية شمال دارفور (30). يجري في الولاية الشمالية النيل من الجنوب إلى الشمال بطول 650 كلم، تبلغ مساحتها حوالي 348.76 كم مربع.

مدينة مروى تقع في شمال السودان في الولاية الشمالية، وتبعد من الخرطوم مسافة 350 كيلو متراً. يسودها المناخ الصحراوي الحار في فصل الصيف الذي يبدأ في شهر مايو ويستمر حتى أواخر سبتمبر، ويتميز الشتاء بالبرودة حيث تنخفض درجة الحرارة إلى 20 درجة مئوية ومعدل الرطوبة إلى

أقل من 20% ويمتد الشتاء من أواخر نوفمبر حتى منتصف مارس. أما كمية الأمطار فهي شحيحة وقليلة جدًا بحيث لا يزيد متوسط عدد الأيام المطيرة فيها في السنة عن ثلاثة أيام فقط (31).

مروي» المدينة التي تمثل حاضرة أهل السودان القدماء في منطقة الشمال، وتربط بين السودان وجنوب منطقة النوبة. وهي أرض مختلف القبائل السودانية وأهمها الشايقية الذين يعتبرون السكان الأصليين لها ثم الرباطاب والدناقلة والمحس وغيرهم من القبائل العربية التي سكنت المنطقة وما زالت حتى اليوم⁽³²⁾.

مروي أو مرواه بالعربية⁽³³⁾. أو ميدوي، أو بيدوي باللغة المروية، وبالإغريقية (Κ (Μερόη) جميعها أسماء لمدينة مروي⁽³⁴⁾.

صنم.. صنم.. المركز.. مروي وغيرها، كلها أسماء لمدينة كانت من أعظم وأجمل مدن هذا البلد قبل استقلاله وتسليم مقاليد الأمور فيه لابنائهم⁽³⁵⁾. وفي أغنية (الرايقة هووي) والتي تعد إحدى دُرر التراث الشايقي ذكر الشاعر الصنم وقال:

مابخليك إلا انضرب

إلا سيفاً يأخذني تب

داير أضوق سجنك يا صنم

تقع مدينة مروي الحديثة على الضفة الغربية لنهر النيل، وقد سُيدت بالقرب من آثار مدينة صنم أبو دوم (أو صنم) التي يرجع تاريخها إلى العهد النبتي (900-270 ق.م.)، حيث توجد بها مقبرة كبيرة، تضم 1500 قبر، ومعبد للإله آمون، وقصر ملكي. وتُعدُّ تلك المقبرة دليلاً أثرياً على وجود استيطان بشري في المنطقة منذ وقت مبكر من عمر الدولة الكوشية (مروية). وقبل مجيء الغزو التركي المصري عام 1820م، وكان اسم مروي يطلق على مروي شرق، مركز ملوك الشايقية العدلاناب. وفي العهد التركي المصري (1821-1885م) أضحت مروي (صنم أبودوم) رئاسة لخط مروي الإداري، إلى أن حررها أنصار المهديّة بقيادة الطيب السورابي عام 1884م، وخرّبوا مكاتبها الحكومية، واستولوا على خزينة الدولة، وشونة الغلال. وفي عهد المهديّة (1885-1898م) جعلها الخليفة عبد الله رئاسة لخط مروي الإداري، وعيّن عليها الشيخ محمد أحمد كنيش. وبعد سقوط المهديّة جعلها سردار الجيش الغازي معسكراً لتمويل حملة بربر المتجهة صوب الحاضرة أمدرمان، ثم بعد ذلك أضحت مأمورية إدارية، ثم مركزاً لرئاسة منطقة

مروى الكبرى الواقعة بين الباجة شمالاً، وأمري جنوباً⁽³⁶⁾. وعندما ضُمت مديرتا دنقلا وبربر في مديرية واحدة تُعرف بالمديرية الشمالية، أضحت مروى رئاسةً لمركز موحد يضمُّ مجلسي ريفي مروى وريفي دنقلا. وفي ضوء قانون الحكم الشعبي المحلي لسنة 1971م، قُسم مجلس ريفي مروى إلى ثلاث وحدات إدارية، شملت مجلس ريفي مروى الشعبي، ومجلس ريفي كريمة الشعبي، ومجلس ريفي الدبة الشعبي.

حسب نعوم شقير «صنم» كانت عاصمة مأمورية في بداية العهد الإنجليزية-المصري، علمًا بأن كتاب نعوم صدر عام 1903. وربما تكون الإشارة إلى المقبرة الأثرية التي توجد فيها، أو إلى النصب التذكاري الذي وضعه الكولونيل بتلر (W.F. Bulter)، الذي بنى نصبًا تذكاريًا لمشاركة القوات البحرية وسلاح المهندسين في حملة إنقاذ غردون عام 1884م. ويوجد هذا النصب (أو الصنم) في مدينة مروى قبل أن تكون مأمورية في بداية الحكم الثنائي. (انظر النصب أدناه)⁽³⁷⁾.

شكل رقم (1)

نصب تذكاري لمشاركة القوات البحرية وسلاح المهندسين في حملة إنقاذ غردون عام 1884م.



المصدر: أحمد أبوشوك، مرجع سابق
شكل رقم (2)

نصب تذكاري (عن قرب) لمشاركة القوات البحرية وسلاح المهندسين في
حملة انقاذ غردون عام 1884م.



المصدر: أحمد أبوشوك، مرجع سابق

مروي من المدن التاريخية التي يعود عهدا إلى الحضارة النوبية القديمة، ومحاطة بالآثار التاريخية المهمة والمتنوعة الحضارة، ومن أهم المناطق الأثرية، جبل البركل، ونوري، والكرو⁽³⁸⁾.

وتقع مروي في الحافة الشرقية لهذا الإقليم الذي يحتوي على موقعين كوشيين مهمين هما النقعة والمصورات الصفراء⁽³⁹⁾.

أبرز ما يميز موقع مروي هو وجود أكثر من 200 هرم في ثلاث مجموعات، أطلق عليها اسم الأهرامات الكوشية وهي مباني مميزة الأحجام والأبعاد، وقد تحطم الكثير منها عبر العصور⁽⁴⁰⁾.

كانت مروي العاصمة الجنوبية لمملكة نبتة/ مروي، ووفقًا للنصوص

المروية التي لم تفك شفرتها كلياً فإن المملكة امتد عمرها من العام 800 قبل الميلاد حتى العلادية وكان اسمها ميدوي أو بيدوي⁽⁴¹⁾. وقد كشفت الأبحاث الأثرية جوار مناطق التكدس البشري أدلة مهمة خصوصاً في المدافن الملكية الكوشية في المقابر الغربية التي تعود لحقبة نبتة 800 قبل الميلاد إلى 200 قبل الميلاد. ويعود تطور الثقافة المروية للأسرة الكوشية الخامسة والعشرين التي نشأت في كوش، وينسب تطور مفهوم الحياة المدنية في مروى لنظام الملك اركماني الذي بدأ عام 280 قبل الميلاد عندما تم تحويل المدافن الملكية من جبل البركل في نبتة إلى مروى. كما يوجد بها معبد أمون ومعبد إيزيس والأضرحة. وكان الاحتلال الروماني لمصر سبباً مباشراً للاضرابات الحدودية بين النوبيين والرومان وتعددت الغزوات الكوشية على جنوب مصر، مما حدا بالحاكم الروماني بترونيوس غزو مملكة كوش لإنهاء هذه الأزمات وطرد الكوشيين جنوباً ونهب ثرواتهم، وفي هذه الأثناء قام الكوشيون بهجوم كبير على المدن المصرية قرب الشلال الأول في أسوان وقاموا بالاستيلاء على العديد من المقننات والتماثيل وكان من بين الغنائم تمثال معدني لرأس الامبراطور أغسطس نفسه، وقام الكوشيون بدفن التمثال عند درج المعبد كي يطأه الناس بأرجلهم في دلالة على الاستحقار⁽⁴²⁾. وبعد توقيع اتفاق السلام بين الكوشيين والرومان في جزيرة ساموس، عام 22 ميلادي أعاد الكوشيون التماثيل وتمتعت مروى بعلاقات تجارية قوية مع الرومان. ولكن رغم ذلك وكننتيجة مباشرة للحروب مع الرومان وتدهور الصناعات التقليدية في مروى بدأ الضعف يدب في أوصال الامبراطورية في القرن الأول أو الثاني بعد الميلاد⁽⁴³⁾. وقد وثقت الحقبة الأخيرة من حضارة مروى في مسلة انتصار نصبها ملك غير معروف من مملكة أكسوم (يرجح أنه الملك عيزانا) في مروى حوالي العام 350 ميلادية، وقد ذكر الإغريق أن ذلك الملك كان يحكم مملكتي أكسوم وحمير.

قامت مروى على كنف مملكة غنية ومزدهرة بصناعة الحديد والتجارة العالمية مع الهند والصين، وقد استقطبت عمال التعدين من كل أنحاء العالم، وهذا مادفع المؤرخون لإطلاق اسم بيرمنغهام إفريقيا على مروى للإنتاج الهائل ولحجم التجارة الكبير في خام الحديد والحديد المصنع مع إفريقيا وكل مراكز التجارة العالمية في ذلك الوقت، وكان الحديد ينتج بواسطة أفران الصهر والمحاق وكان المرويون أفضل صناع الحديد في العالم. ويعتقد بعض العلماء مثل جورج اندرو ذريزير⁽⁴⁴⁾. أن أصل الحضارة في وادي النيل يعود لحضارة

كرمة التي تعتبر حضارة مروية امتدادًا لها.

كما صدرت مروية المنسوجات والمجوهرات، وكانت المنسوجات الكوشية من القطن، وبلغت أعلى ازدهار لها عام 400 قبل الميلاد، وفضلًا عن ذلك كانت المملكة الكوشية غنية بالذهب، وكذلك اشتهرت مروية بتجارة الحيوانات النادرة إلى ما هو أبعد من مصر وشمال إفريقيا وكان هذا وجهًا آخرًا من أوجه الاقتصاد المروي المتنوع. وفي الوقت الذي دخلت في مصر فكرة الساقية كأداة لزيادة الإنتاج الزراعي واستدامة الري كان الكوشيون يسيطرون على مياه النيل بواسطة خطوط ري مستقيمة من 1 الشمال إلى الجنوب بلغ امتدادها إلى أكثر من 1000 كيلومتر⁽⁴⁵⁾.

كان نظام الحكم النوبي نظامًا أوتوقراطيًا، ولا يشرك الحاكم أحدًا في اتخاذ القرار إلا الملكة الأم أو الكنداكة ولكن بدور محدود أو خفي، فيما يباشر الملك بنفسه إدارة الخزانة وحملة الأختام وحفاظي السجلات ورؤساء الكتبة وكل مايلي ذلك. وبحلول القرن الثالث الميلادي وفي مرحلة نبنة (ما بين عام 300 إلى 700 قبل الميلاد) طور المرويون أبجدية كتابية جديدة بديلة عن الهيروغليفية المصرية ومشتقة منها، تتكون من 23 حرفًا واستخدمت لكتابة اللغة المروية في المملكة. ورغم ذلك هنالك دلائل تشير إلى ان الظهور الأول لهذه الأبجدية كان في القرن الثاني الميلادي، ويحتمل ان تكون هذه اللغة استخدمت من قبل الملوك النوبيين المتعاقبين⁽⁴⁶⁾.

كما كان للكوشيين في مروية إله خاص اباداماك إلى جانب الآلهة الفرعونية التي كانت تعبد بدرجة أقل مثل آمون وحورس وإيزيس وتحوت وغيرها. عرف الأوربيون مروية في العصر الحديث عام 1821 م عن طريق عالم المعادن الفرنسي فريدريك كلود الذي زار مروية ثم عاد إلى أوروبا ونشر ملفًا يصف فيه آثار مروية، ويعتقد أن هذا الملف كان السبب المباشر لحضور الكثير من صائدي الجوائز واللصوص الباحثين عن الذهب كأمثال الإيطالي جوزيبي فريليني، الذي اكتشف آثارًا متنوعة وخصوصًا المجوهرات والحلي الذهبية الملكية التي تعرض في متحف برلين المصري اليوم. وتم استكشاف مروية بدقة علمية لأول مرة عام 1844 م بواسطة العالم كارل ريتشارد ليبسيس الذي قام برسم العديد من الخرائط والرسومات والتي أودعها إلى جانب ما اكتشفه من تماثيل ومجوهرات في متحف برلين أيضًا. كما جرى استكشاف المنطقة مرة أخرى في الفترة ما بين عامي 1902 إلى 1905 م بواسطة عالم

المصريات والمستشرق الإنجليزي إي. أ. وليامز بدج، وهو الذي اكتشف أجمل ما عثر عليه في مروى حتى الآن، مثل مجسمات النحت البارز في حوائط المعابد التي تظهر أسماء الملوك وبعض الملوك وبعض فصول كتاب الموتى والمسلمات المنقوشة باللغة المروية والأواني المعدنية وأعمال الخزف. وقد تم تفكيك النحت البارزة حجراً حجراً وتم نقلها إلى المتحف البريطاني وأعيد تجميعها جزئياً. كما تم تجميع الجزء المتبقي في متحف السودان القومي بالخرطوم. وقد نشر العالم إي. أ. وليامز بدج كتاباً مهماً في لندن عام 1907 م أسماه السودان المصري: التاريخ والآثار. وقد أثبت هذا العالم أن أهرامات النوبة كان يتم بناؤها على غرف نحتت في الصخر وتحتوي على أجساد الملوك الراحلين، التي يتم تحنيطها عادة كمومياءات أو لا يتم كما في بعض الحالات⁽⁴⁷⁾. وفي عام 1916 قام الحاكم البريطاني للسودان ريجنالد ونجت بإرسال قوات لشق الطرق إلى أهرامات مروى وفيما بينها، فتسبب ذلك في غرق العديد من الأعمدة والآثار. وفي عام 1910 ونتيجة لتوصيات عالم الأشوريات واللغويات الإنجليزي (1846-1933) أرشيبالد سايس الذي كان يرأس كرسي الدراسات الأشورية بجامعة أوكسفورد، تم القيام بأعمال حفر وتنقيب واسعة في تلال مروى ومقبرتها الكبرى وبواسطة العالم الإنجليزي جون قراستنق (1876-1956) وبرعاية جامعة ليفربول فأُسفر البحث عن اكتشاف قصر كبير ومعابد متعددة شيدها حكام مروى⁽⁴⁸⁾.

تعد مدينة مروى القديمة موطناً لما يقرب من 200 هرم، شيدت الأهرامات من مجموعة ضخمة من الحجر الرملي على الطراز النوبي، وتبدو مختلفة تماماً عن شبيبتها المصرية، مع قواعد أصغر وجوانب أكثر انحداراً، ومع ذلك فقد تم بناؤها لنفس الغرض لتكون بمثابة موقع دفن وبيان القوة، في هذه الحالة للملك وملكات المملكة المروية القديمة. تم بناء أهرامات مروى ما بين 2700 و 2300 عام، وهي من بقايا المملكة المروية، والمعروفة أيضاً باسم مملكة كوش، حكم ملوك وملكات هذه الفترة ما بين 800 قبل الميلاد و 350 بعد الميلاد وسيطروا على مساحة شاسعة شملت معظم دلتا النيل ووصلت إلى الجنوب حتى الخرطوم، خلال هذا الوقت، كانت مدينة مروى القديمة بمثابة المركز الإداري الجنوبي للمملكة ولاحقاً كعاصمة لها.

مدينة مروى الحديثة:

تعتبر الولاية الشمالية أكبر الولايات السودانية مساحة والأقل من حيث التعداد السكاني، كما ينقسم سكانهم بين القبائل النوبية، مثل: المحس

والدناقلة والحلفاويين والسكوت الناطقين باللغة النوبية القديمة، والقبايل العربية، مثل: الشايقية والبديرية والمناصرير والهواره، بالإضافة إلى قبائل، مثل: قراريش، كبايش، هواوير. وغيرهم من القبائل التي سكنت المنطقة وما زالت حتى اليوم.

مساحة الولاية 348,765 كم2 وعاصمتها مدينة دنقلا. يقدر عدد سكان الولاية بحوالي 667 ألف نسمة (تقديرات عام 2008 م). يخترقها نهر النيل. ويوجد بالولاية سد مروي أكبر السدود بالسودان. ومطار دنقلا ومطار مروي. مروي هي وجهة سياحية أخرى مهمة للغاية في السودان، وتقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، وعلى بعد 200 كيلومتر من العاصمة السودانية الخرطوم. تعد السكك الحديدية أهم وسيلة مواصلات إلى هذه المدينة، وغالبًا ما يستخدم السائحون الحافلات وعربات النقل للتنقل في أنحاء المدينة. وبخلاف المقبرة التاريخية والمثيرة للفضول، فإن أهم مناطق الجذب في هذا المكان هو معبد الإله آمون، وضميمة الأهرامات الكبرى.

تنقسم الولاية إلى المحليات التالية: محلية القولد، محلية البرقيق- محلية دنقلا، محلية وادي حلفا، محلية دلقو، محلية مروي، محلية الدبة

قرى ومناطق محافظة مروى:

أولاً: بالضفة الشرقية: أمري شرق - الحامداب شرق - الكاسنجر - السويقات - الجرف - مدينة كريمة - البركل - شبا - عسوم - مروي شرق - الطريف - الدتي - الكرو - الدهسيرة - مدينة الزومة - مقاشي - حزيمة - البخيت - المقل - الحجر - الاراك - الكرفاب - البرصة - ام درق - البار - جلاس - الأركي - النافعاب - الركابية - مورة - السدر - كوري - الهو - العفاض - علي نارتي - ترقس - ابكر - الدفار - ارقى - سلب - ابو عاج - تنقسي - بنقنارتي...دنقلا العجوز. ثانياً: الضفة الغربية: أمري غرب - الحامداب غرب - الدقاويت - التكر - البلبل - مدينة نوري - السقاي - دويم ود حاج - الرجيلة - مدينة مروي - ابودوم - الدبيبة - فتنة - ابورنات - التلبناب - مدينة تنقاسي - مدينة القرير - الكنيسة - مساوي - اوسلي - الباسا - الغربية - الحلة البيضاء - مدينة كورتي - جوارى - الحتاني - حسينارتي - مقنارتي -- الكربة (الكلد) - منصوركتي - فقير ام كتي - ارتموقا - قنتي - ابو دوم - قوشابي - جرا - دبة الفقراء - كرمكول - مدينة الدبة - الكرد - الككر - الجابرية - الغابا - الباجا.

نوري. بدأت الدراسات للمشروع منذ منتصف الأربعينيات من القرن الماضي بواسطة الحكومة المصرية، وفي مطلع الثمانينيات تمت دراسة ما قبل الجدوى بواسطة المستشار السويدي سويكو في 1993م، اكتملت دراسة الجدوى بواسطة المستشار الكندي مونكو اقرا بتمويل من البنك الدولي.. صدر في أكتوبر 2001م. يبلغ الطول الكلي لسد مروى حوالي 9228.2 متر على ضفتي نهر النيل ويبلغ ارتفاعه 60 مترًا وهو بذلك يعد سدًا متوسط الارتفاع ولكنه في نفس الوقت ينتج الطاقة التي تنتجها السدود المرتفعة وذلك لعمق نهر النيل ووفرة مياهه (50).

اكتمل بناء السد في 3 مارس 2009م، وقد صاحب عملية بنائه عدد من المشاريع التحضيرية، مثل إنشاء عدد من الطرق والجسور وخط للسكة الحديد، ومدينة سكنية لإقامة فريق العمل الذي تألف من 5,000 عامل نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من الصينيين (51).

الأغراض الأساسية لبناء السد هي:

- توليد الطاقة الكهربائية حيث ينتج السد طاقة بقوة 1,250 ميغاواط.
- ري حوالي 300,000 هكتار من المشاريع الزراعية في الولاية الشمالية.
- حماية أراضي الولاية الشمالية من خطر فيضان النيل.
- إنشاء مشاريع صناعية ومشاريع تعدين وصناعة سمكية تعتمد على بحيرة تخزين المياه البالغ طولها 176 كيلومترًا.
- تحسين مستوى المعيشة للسكان المحليين بمنطقة السد.
- تحسين الملاحة النهرية بالمنطقة.

ولكن بسبب إنشاء سد مروى ضاعت المزارع والمحاصيل الزراعية، كما فقد السكان حيواناتهم ومنازلهم. وأيضًا تسبب السد في إغراق قرى بأسرها وتشتيت عائلات، لأن بعضها يريد الرحيل للعيش في أراضٍ أخرى لم تغرق، رغم أنها غير خصبة، حصلوا عليها كتعويض من الحكومة عن أراضيهم التي فقدوها بسبب إنشاء سد مروى. والبعض الآخر يفضل البقاء في منطقتهم.. وتعد مناطق الحامداب وأمري والمناصير التي تتبع لمحلية مروى الأكثر تضررًا من إنشاء السد.

ويتهم حقوقيون الشركة الألمانية، التي أغرقت منطقتين وراء السد خلال عامي 2006 و2008، بأنها توانت عن إعلام سكان المنطقتين المتضررتين

بعملية الإغراق، وأن الناس فوجئوا بالأمر وأنهم اضطروا إلى الفرار وأن الكثيرين فقدوا كل ما يملكونه. غير أن الانتقادات توالى في السنوات الأخيرة بأن أكبر خزان للمياه على نهر النيل قد تسبب في التهجير القسري لآلاف السكان من المناطق المحيطة به وفي اندثار قرى بأسرها⁽⁵²⁾. أن سد مروى سبب أضراراً كبيرة لإنسان المنطقة منها التغيير المناخي وتأثيره على المناطق الأثرية وعلى أشجار النخيل⁽⁵³⁾.

سد مروى مثال واضح للمشاريع المنقوصة التي لم تستكمل وبذا لم تتم الفائدة المرجوة منها بل على العكس جلبت كثيراً من الأضرار المتمثلة في سرعة اندفاع المياه خلف بحيرة السد ما يتسبب في زيادة الانجرافات وتنامي ظاهرة الهدام وتحولات الجزر. والجانب الآخر المتمثل في زيادة الرطوبة ولما لذلك من أثر في التركيبة الزراعية، بالمنطقة إلى جانب زيادة المحتوى المائي داخل التربة والذي انعكس في شكل ظاهرة ما يعرف «بالنز». من هنا يتعاضد الاهتمام بالترع لجبر الضرر وإزالة ما لحق بالمواطنين من آثار سلبية وأضرار، إذ الترع هي في مقام الواجب المستحق لجبر الضرر⁽⁵⁴⁾.

كارثة بيئة وإنسانية تهدد مشروع «البرقيق»، أكبر المشاريع الزراعية في شمال السودان التي تنتج محاصيل «البلح والبقول المصري والقمح»، والظاهرة هي مياه جوفية مالحة تنبع من تحت الأرض. يُطلق عليها في السودان اسم «الجمام» أو «النز»، وقد أدى الجمام إلى انهيار أكثر من 400 منزل خلال الأشهر الماضية، وتبدو التخوفات من تأثير هذه الظاهرة على الزراعة مصدر الرزق الرئيسي لسكان المنطقة، الذين يفوق تعدادهم 100 ألف نسمة، ويتوقع أن تتمدد الظاهرة وتؤثر على المناطق المجاورة، ففي تلك المنطقة تقع منطقة «الدفوفة» أقدم المناطق الأثرية التاريخية في حضارة شمال السودان. وجاء تقرير لجنة تقصي أسباب موت النخيل مؤكداً على تغيرات بيئية ومناخية بسبب قيام السد مما أفضت إلى كرمشة وموت مفاجئ للنخيل. السد يحبس حوالي (130) مليون طن من الطمي سنوياً، بسبب تخزين المياه لإنتاج الكهرباء، ويتسبب حبس الطمي بهذه الكيفية في زيادة تسريب المياه إلى باطن الأرض مسببة ظاهرة النز، والتي تأثرت بها مناطق مروى ونوري وتنقاسي والقرير.. حتى البرقيق. ويمكن تعديل الوضع البيئي بصورة إيجابية بحفر وإنشاء ترعتي سد مروى، لأن المياه الضخمة المخزنة خلف السد هي أساس مشكلة النز⁽⁵⁵⁾. إن الإعلان الحكومي عام 2012 عن قيام إثيوبيا بمد السودان بالكهرباء

وبهذا الحجم المعلن يعني اعتراف الحكومة السودانية ضمناً بفشل مشروع سد مروى، الذي لم ينفذ السودانيون بشيء غير أن الجهات الرسمية أهدرت المليارات من الدولارات في مشروع فاشل، ثم قامت بتهجير جماعات عديدة من أهل المنطقة الأصليين⁽⁵⁶⁾.

النتائج:

1. تلعب الهجرة الداخلية أو الخارجية الدور الأساس في نشأة المدن وتطورها واستمرارها، لأن المدينة تشكل عامل جذب للسكان نسبة لوجود الخدمات المختلفة وتتركز أهمية العامل الاجتماعي في قدرة المدينة على استيعاب الوافدين الجدد من المهاجرين، وقدرتها على تهيئتهم للحياة الحضرية.
2. نشأت المدن القديمة على ضفاف الأنهار أو عند مصباتها، لأن العامل الطبيعي والمتمثل في الموقع الاستراتيجي والذي له دوره في تحقيق الكفاية أو الوفرة الإنتاجية للغذاء وتوافر مصادر المياه والتي تعد سبباً في تجمع الأفراد ومن ثم قيام المدن.
3. تعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية ارتبط وجودها بوجود المجتمع الإنساني، والتجمعات الإنسانية المختلفة، واختلف نمط المدينة باختلاف المراحل التاريخية والاقتصادية التي مرت بها الإنسانية لذا كانت محل اهتمام الفلاسفة والباحثين عبر كل العصور.
4. عرف الأوروبيون مروى في العصر الحديث عام 1821 م عن طريق عالم المعادن الفرنسي فريدريك كلود الذي زار مروى ثم عاد إلى أوروبا ونشر ملفاً يصف فيه آثار مروى، وتم استكشاف مروى بدقة علمية لأول مرة عام 1844 م بواسطة العالم كارل ريتشارد ليبسيس الذي قام برسم العديد من الخرائط والرسومات والتي أودعها في متحف برلين. كما جرى استكشاف المنطقة مرة أخرى في الفترة ما بين عامي 1902 إلى 1905 م بواسطة عالم المصريين والمستشرق الإنجليزي إي. أ. وليامز بدج.
5. مروى هي وجهة سياحية أخرى مهمة للغاية في السودان، وتقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، وعلى بعد 200 كيلومتر من العاصمة السودانية الخرطوم. تعد السكك الحديدية أهم وسيلة مواصلات إلى

هذه المدينة، وغالبًا ما يستخدم السائحون الحافلات وعربات النقل للتنقل في أنحاء المدينة. وبخلاف المقبرة التاريخية والمثيرة للفضول، فإن أهم مناطق الجذب في هذا المكان هو معبد الإله آمون، وضميمة الأهرامات الكبرى.

6. تسكن بمدينة مروى قبائل من مختلف مناطق السودان وتزاوجوا واختلطوا مع السكان بالمنطقة وأصبحوا من نسيج المنطقة الاجتماعي المهم، وبذا تعتبر الولاية الشمالية نموذجًا للتعايش السلمي بين مكونات المجتمع السوداني المختلفة من عرب وأقباط ونوبة وفلايخ ونيليين.

7. يقع سد مروى في منطقة الحامداب بمعية مروى بالولاية الشمالية بالسودان على بعد 40 كيلومترًا من مدينة مروى. اكتمل بناؤه في 3 مارس 2009م، وقد صاحب عملية بنائه عدد من المشاريع التحضيرية، مثل إنشاء عدد من الطرق والجسور وخط للسكة الحديد، ومدينة سكنية لإقامة فريق العمل الذي تألف من 5,000 عامل نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من الصينيين.

8. بسبب إنشاء سد مروى ضاعت المزارع والمحاصيل الزراعية، كما فقد السكان حيواناتهم ومنازلهم. وأيضًا تسبب السد في إغراق قرى بأسرها وتشتت عائلات، لأن بعضها يريد الرحيل للعيش في أراضٍ أخرى لم تغرق، رغم أنها غير خصبة، حصلوا عليها كتعويض من الحكومة عن أراضيهم التي فقدوها بسبب إنشاء سد مروى. والبعض الآخر يفضل البقاء في منطقتهم.. وتعد مناطق الحامداب وأمري والمناصير التي تتبع لمدينة مروى الأكثر تضررًا من إنشاء السد.

9. ظهور كارثة بيئية وإنسانية تهدد مشروع «البرقيق»، أكبر المشاريع الزراعية في شمال السودان الذي ينتج محاصيل «البلح والفول المصري والقمح»، والظاهرة هي مياه جوفية مالحة تنبع من تحت الأرض. يُطلق عليها في السودان اسم «الجمام» أو «النز»، وقد أدى الجمام إلى انهيار كثير من المنازل، وتبدو التخوفات من تأثير هذه الظاهرة على الزراعة مصدر الرزق الرئيسي لسكان المنطقة، ويتوقع أن تتمدد الظاهرة وتوثر على المناطق المجاورة، مثل منطقة «الدفوفة» أقدم المناطق الأثرية التاريخية في حضارة شمال السودان.

التوصيات:

1. إعداد دراسات للأثر البيئي وتقييمها ومقارنتها بالمعلومات المرصودة قبل قيام السد، مع ضرورة إشراك الأهالي أصحاب المصلحة في إعداد الدراسات وتقييمها إعمالاً للشفافية والمصداقية، وجبراً للضرر بما يهيئ المواطنين المشاركة في تنمية المنطقة وانتشالها من وهبتها.
2. أن يتم زراعة محاصيل جديدة مثل الموالح والمانجو وغيرها من المحاصيل التي تتواءم مع التغيرات البيئية والمناخية، وذلك تماشياً مع ما جاء في تقرير لجنة تقصي أسباب موت النخيل، الذي أكد على تغيرات بيئية ومناخية بسبب قيام السد مما أفضت إلى موت مفاجئ للنخيل.
3. السد يحبس حوالي (130) مليون طن من الطمي سنوياً، يجب الاستفادة من هذا الطمي في زراعة المحاصيل التي تتناسب معه، إذ إن ذلك من شأنه أن يساهم في تنمية البلاد ومكافحة الفقر، وزيادة دخل الفرد.
4. تعديل الوضع البيئي بصورة إيجابية بحفر وإنشاء ترعتي سد مروي، وهي ترع ضخمة جانبية تبدأ من السد وتجري انسيابياً حتى أقصى شمال السودان، لأن المياه الضخمة المخزنة خلف السد هي أساس مشكلة النز.
5. إن ازدياد مشكلة النز (الجمام) في المنازل والمصالح الحكومية بمدينة مروي، سوف تؤدي إلى زوالها ومن ثم زوال مدينة مروي بأكملها إن لم يتم تدارك هذا النز من قبل الجهات الحكومية أو من الحاديين من أهالي مروي.

الهوامش:

- (1) محمد بن موسى القحطاني- العوامل الاجتماعية المؤدية إلى التعثر الدراسي الشباب الجامعي دراسة ميدانية مطبقه على عينة من طلاب كلية العلوم الاجتماعية- مجلة البحث العلمي في التربية- العدد العشرون منشور في النت 2019 http://search.shamaa.org PDF Articles EGBahtht - ص 146
- (2) إحسان علي محاسنة، البيئة وصحة المجتمع، الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1991م، ص75
- (3) Knowledge Spillovers3- مؤرشف من الأصل في 1 مايو 2014. اطلع عليه بتاريخ 16 مايو 2010. ص2.
- (4) "2021/7/city", Vocabulary, Retrieved 12
- (5) Edited. ↑ Eric Edwin Lampard, "City", Britannica, Retrieved 2021/7/12. Edited.
- (6) رزان صلاح، الفرق بين المدينة والريف <https://mawdoo3.com> - ٢٩ نوفمبر ٢٠١٦ - ص1.
- (7) مصطفى مدوكي، مفاهيم عامة حول المدينة، بسكرة- الجزائر: جامعة محمد خيضر-بسكرة، 2013-2014، ص2.
- (8) رشا الصوالحة، تعريف المدينة - تم التدقيق بواسطة: ريمان مصطفى، <https://mawdoo3.com>، ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١ م- ص2.
- (9) ماكس فيبر، الاقتصاد والمجتمع، ترجمة: محمد التركي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2015م، ص 12.
- (10) هادي سمية - سوسيلوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري - مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد -17 ديسمبر/ 2014 ص 170-173.
- (11) Magnavita, Sonja (2013). «Initial Encounters: Seeking traces of ancient trade connections between West Africa and the wider world». Afriques بتاريخ 13 ديسمبر 2013. مؤرشف من الأصل في 07 أكتوبر 2017. اطلع عليه
- (12) سمر محمد أبو غالي، استراتيجيات التطوير الحضري لمراكز المدن، غزة-فلسطين: الجامعة الإسلامية، -2013 ص 22-33

- (13)12-Megalopolis: An Assay for the Identification of the World Urban Mega-structures»; 55th Congress of the European Regional Science Association: "World Renaissance: Changing roles for people and places», 25-28 August 2015, Lisbon. نسخة محفوظة 07 أغسطس 2018. على موقع واي باك مشين.
- (14) على لفته سعيد، الإقليم الوظيفي لمدينة النجف الكبرى، 2020، ص ص 11
- (15) على لفته سعيد، مرجع سابق - ص 13
- (16) سمر محمد أبو غالي- استراتيجيات التطوير الحضري لمراكز المدن- غزة-فلسطين: الجامعة الإسلامية-2013- ص 22-33.
- (17) رشا الصوالحة تم التدقيق بواسطة: ريمان مصطفى - <https://mawdoo3.com> ٢٠ سبتمبر ٢٠٢١ - ص 1.
- (18) عدي محمد جبر- ماهي المدينة -2019 - <https://mawdoo3.com> - ص 2.
- (19) مجد خضر - خصائص المدينة -2016 - <https://mawdoo3.com> - ص 1
- (20) يارا تعامرة - بماذا تتميز المدينة عن القرية <https://mawdoo3.com> -، ٢٢ أبريل ٢٠١٨ - ص 1.
- (21) مجد خضر- خصائص المدينة - مرجع سابق - ص 2
- (22) يارا تعامرة - بماذا تتميز المدينة عن القرية-مرجع سابق - ص 2
- (23) يارا تعامرة - بماذا تتميز المدينة عن القرية-مرجع سابق - ص 1
- (24) عدي محمد جبر - ماهي المدينة - <https://mawdoo3.com> - ٢ يونيو ٢٠١٩ - ص 2
- (25) المدينة القديمة: خصائصها وتاريخها - موسوعة تاريخ العالم - ...
- (26) <https://www.worldhistory.org> ، trans-2018 - ص 2
- (27) موسوعة تاريخ العالم؛ المدينة القديمة: خصائصها وتاريخها،
- (28) -2019- <https://www.worldhistory.org> ، trans - ص 1
- (29) تصنيف المدن <https://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures> -2019- ص 3
- (30) -27 تصنيف المدن-مرجع سابق - ص 2
- (31) -28- The Natural History of Urbanization by Lewis Mumford, «28-2016 Accessed 1 Dec 2016». Chicago,

- (32) إنتصار العتوم - نشأة المدن الحضريّة القديمة- © حقوق النشر 2022، جميع الحقوق محفوظة E3arabi- 2022 م - ص 3
- (33) «صفحة مروى في GeoNames ID». GeoNames ID. اطلع عليه بتاريخ 11 أكتوبر 2021
- (34) Dongola Climate Dongola Temperatures Dongola Weather(31-Averages نسخة محفوظة 17 مايو 2017 على موقع واي باك مشين.
- (35) معلومات عن الولاية الشمالية على موقع catalogue.bnf.fr". catalogue.bnf.fr مؤرشف من الأصل في 17 مارس 2016.
- (36) Meroe, Encyclopædia Britannica, v.15, p.197, Encyclopædia 33-(36). Britannica Inc., William Benton, London, 1969
- (37) "The Island of Meroe", UNESCO World Heritage". Whc.unesco.org. مؤرشف من الأصل في 1 يناير 2019. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012
- (38) عبد الرحمن بلاص - مناخلية المجموعها الأولى - بكاثيها علنا طلالة مدينة مروى تيكانت - - 1999 ص 18.
- (39) احمد ابراهيم ابوشوك- السودان السلطه والتراث (مروى ذكريات ومذكرات - شرفي -الكابلي -وقيع الله) الجزء الرابع- امدرمان - مركز عبدالكريم ميرغني الثقافى- - 2015 ص 15
- (40) احمد ابوشوك - مرجع سابق- ص 15
- (41) معلومات عن الولاية الشمالية على موقع catalogue.bnf.fr". catalogue.bnf.fr. مؤرشف من الأصل في 17 مارس 2016.
- (42) "The Island of Meroe", UNESCO World Heritage". Whc.unesco.org. مؤرشف من الأصل في 1 يناير 2019. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012
- (43) Osman Elkhair and Imad-eldin Ali, "Ancient Meroe Site: Naqa and Musawwarat es-Sufra" (recent photographs)". Ancientsudan.org. مؤرشف من الأصل في 9 أكتوبر 2018. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
- (44) *Török, László (1997). The Kingdom of Kush: Handbook of the Napatan-Meroitic Civilization. Vol. 31. Leiden, NDL: Brill..ISBN 9004104488
- (45) المتحف البريطاني. 1999. مؤرشف من الأصل "Bronze head of Augustus"

- في 12 أغسطس 2011. اطلع عليه بتاريخ 14 يونيو 2008م.
- (46) "Bbc.co.uk". "BBC World Service", "Nubia", مؤرشف من الأصل في 1 مارس 2019. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
- (47) Meroe, Encyclopædia Britannica, v.15, p.197, Encyclopædia Britannica Inc., William Benton, London, 1969.
- (48) Adams, Nubia, p. 302 45-
- (49) "Meröe: Writing", "Digital Egypt," University College, London". "Digitalegypt.ucl.ac.uk". مؤرشف من الأصل في 16 يوليو 2012. اطلع عليه بتاريخ 06 سبتمبر 2012.
- (50) "World Heritage Sites: Meröe". مؤرشف من الأصل في 28 سبتمبر 2018. اطلع عليه بتاريخ 14 يوليو 2011.
- (51) Bianchi, Steven (1994). The Nubians: People of the ancient Nile. Brookfield, Conn.: Millbrook Press. ISBN 11-356-56294-.
- (52) Török, László (1997). The Kingdom of Kush: Handbook of the Napatan-Meroitic Civilization. 31. Leiden: Brill. ISBN 908-10448-04-.
- (53) نجلاء عبدالرحمن وقيع الله بلاص - هجرة ابناء قبيلة الشايقية وتكيفهم الاجتماعي في بورسودان - في الفترة من 1910 حتى 1950م. مجلة (القلزم) - تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - الخرطوم - السودان - العدد الثالث - سبتمبر 2020م.
- (54) "Merowe Dam Project". www.merowedam.gov.sd. مؤرشف من الأصل في 17 أغسطس 2017. اطلع عليه بتاريخ 26 أبريل 2017.
- (55) وكالة الانباء الكويتية كونا نسخة محفوظة 5 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.
- (56) أدريان كريش / شمس العياري - مراجعة: عبده جميل المخلافي - سد مروى السوداني - مشروع تنموي طموح أم كارثة على السكان // https://www.dw.com - 2010
- (57) حركة كوش: سد مروى سبب اضرار لانسان المنطقة وللآثار -
- (58) https://www.alrakoba.net - 2020م.
- (59) خالد محمد أحمد كبوش - سد مروى وجهجة التسا بالصحافة نشر في النيلىن - 2016

(60) محمد وداعه - النز.. في السد- سوداكون

(61) 2017/12/22 blog-post_81- ، 12/http://www.sudacon.net

(62) خالد أبو أحمد - الاعلان رسمياً في السودان عن فشل مشروع سد مروى

- صحيفة. 19 https://www.alrakoba.net/11/2012م

من تاريخ مدينة أم درمان الحضاري (شواهد أثرية)

قسم الآثار كلية العلوم الإنسانية
جامعة بحري

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير

مستخلص:

تحظى مدينة أم درمان بوضع وتقدير خاص من أهل السودان سيما وأنها تجمع كل إثنيات (أعراق) وثقافات هذا القطر. علاوة على ذلك، فقد اتخذها الإمام محمد أحمد المهدي عاصمة لدولته بعيد انتصار الثورة المهديّة وإطاحتها بالحكم التركي- المصري في السودان (26 يناير 1885م). وتجدد الإشارة إلى أن تاريخ أم درمان القديم يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ (300.000-3200 ق.م). ويتبدى ذلك في العديد من المواقع والمستوطنات الأثرية. ويلحظ أن منطقة أم درمان تكاد تخلو من الآثار البارزة والشاخصة خلال فترة العصر الوسيط وحقبة الحكم التركي- المصري. وكانت تتكون في ذلك الزمان من العديد من القرى المتفرقة على امتداد الضفة الغربية لنهر النيل متخصصة في صناعة الصابون وصبغة النيل الزرقاء التي تستخدم في تلوين الثياب. ولعبت أم درمان وقتها دورًا مهمًا كمركز للقوافل وتجارة العبور. فكانت تقع عند ملتقى طرق تمتد من الجنوب للشمال والغرب باتجاه وادي النيل. وتواصل المسير شمالًا... درب الأربعين، مسالك عبور صحراء بيوضة والطرق النيلية (البرية والنهرية). ويلزم التنويه إلى أن أكثر آثار أم درمان البارزة والماثلة للعيان حتى اليوم ترجع إلى عهد الدولة المهديّة (1885-1898م) وتشمل العديد من القباب والمساجد والأبنية المدنية والعسكرية.

From the Cultural History of Omdurman: Archaeological Evidences

Abdelrahim Mohamed Khabir Hassan

Abstract:

Omdurman has acquired a special position and frequently honored by Sudanese as it embraces all ethnicities and cultural entities of the Sudan. Moreover, it was chosen by Mohamed Ahmed Al-Mahadi as a capital of his state immediately after the victory of the revolution that overthrew the Turco-Egyptian regime in Sudan (26th January 1885). It is noteworthy that the ancient history of Omdurman goes back to the prehistoric era (300.000-200 B.C.) and manifested in numerous archaeological sites. Notable, the region of this city was almost devoid of visible and prominent monuments during the medieval and Turco-Egyptian periods. At that times it was composed of sprawling villages along the west bank of the Nile specializing in the production of soap and Indigo blue. It possesses a favorable position, being an area where several routes converge from the South and the West towards the Nile valley and proceed further north.... Darb al arba'een, trans-Bayuda route and the Nile routes (both land and river). However, the most remarkable antiquities of Omdurman have been seen the horizon during the Mahadist time (1885-1898). Relics of historical importance in the form of gubbas (domed tombs), mosques, civilian and military premises were reported herein.

مقدمة:

تحظى أم درمان بمنزلة خاصة لدى عموم أهل السودان سيما وأنها تضم كافة إثنيات (أعراق) وثقافات هذا الوطن. بيد أن أهميتها في العصر الحديث - كما هو معلوم- مستمدة بشكل كبير من أنها كانت حاضرة دولة المهديّة (1885-1898م) التي تعتبر أول حركة وطنية قام بها السودانيون في العصر الحديث ضد المستعمر رغم أن طابعها وأهدافها كانا تقليديين وإسلاميين أكثر مما كانا لدوافع دنيوية محضة. وعرفت أم درمان بـ«العاصمة الوطنية» في مقابل الخرطوم التي ظلت قسبة البلاد الإدارية منذ العهد التركي-المصري (1823م). ويشير السجل الآثاري التاريخي إلى أن منطقة أم درمان شهدت بزوغ حضارات عريقة بدءاً من عصور ما قبل التاريخ وإلى العصور التاريخية اللاحقة (انظر الخارطة: شكل 1).

أصل التسمية أم درمان:

ربما كانت أقدم إشارة إلى أم درمان ذكرها المؤرخ ود ضيف الله في كتابه «الطبقات» (ضيف الله 1984: 180-181) في معرض حديثه عن الفقيه الشيخ حمد ود أم مريوم في عهد دولة الفونج (1646-1730م). وهناك ثلاث روايات عن أصل تسمية «أم درمان»، الأولى تزعم أن الاسم لامرأة تنتمي إلى أسرة مالكة تنتمي إلى دولة علوة المسيحية كانت تقطن في ذات المكان الذي قامت عليه المدينة عند مشرع الموردة التجاري. وكان لها ابن يسمى «درمان». وأطلق عليها اسم «أم درمان» تأدباً وتقديراً. وتقول الرواية الثانية إن الاسم لامرأة كان منزلها مكاناً آمناً بسبب ما يحيط به من سور آثاره كانت قائمة إلى عهد قريب على مقربة من شاطئ النيل بحي بيت المال. وكانت تلقب بـ«أم دار الأمان» والذي تحرف إلى «أم درمان». أما الرواية الثالثة فتذهب إلى أن أم درمان (بالفتح والهمزة والميم) لفظ عربي قحطاني الأصل بمعنى المرتفع. وسمي المكان للدلالة على طبيعته الطبوغرافية المتمثلة في ارتفاعه عن البرين الآخرين اللذين تقع فيهما مدينتا الخرطوم والخرطوم بحري الحاليتين. ولأم درمان اسم آخر وهو «وشل» ويعني المكان الكثير الماء. وأطلق عليها الإمام المهدي بعد أن جعلها عاصمة لدولته اسم «البقعة الطاهرة» (انظر الرابط الإلكتروني أدناه).

العمل الأثاري بمنطقة أم درمان:

سيشمل البحث إضافة إلى الأدبيات المنشورة، نتائج المسوحات والحفريات الأثرية في شمال مدينة أم درمان في فترات مختلفة خلال حقبة السبعينيات والثمانينيات ومطلع التسعينيات من القرن المنصرم (1973-1990م). ويلزم التنويه إلى أن مشروع العمل الأثاري لجامعة الخرطوم في منطقة شمال مدينة أم درمان قد بدأ عام 1973م مترافقاً مع البدايات الأولى لنشأة قسم الآثار بالجامعة. وأشرف على هذا العمل المسحي والتنقيبي عالم الآثار السوداني الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي الحاكم (رحمه الله). وكان الهدف من هذا المشروع تدريب طلاب الجامعة على التطبيقات العملية للعمل الأثاري من مسوحات وتنقيبات والتي تشكل جزءاً أساسياً من متطلبات المنهج الدراسي المقرر. وتشمل هذه التدريبات العملية: نظم المسح والحفر والرسم والتصوير والتسجيل الأثاري. وبعد أن شب قسم الآثار بجامعة الخرطوم عن الطوق أصبحت منطقة حفريات شمال أم درمان أحد الروافد الأساسية لمشاريع البحث الأثاري لطلاب الدراسات العليا حيث شهدت تنقيبات لمواقع تؤرخ لفترات تاريخية مختلفة شكلت مادة علمية ثرة لرسائل ماجستير ودكتوراه داخل السودان (جامعة الخرطوم) وخارجه (جامعات كمبردج ودرم وردينق وبيرجن وساوثهامبتون) لكوادر سودانية تأهلت بشكل متميز وتدير الآن دولا ب العمل الأثاري بجدارة واستحقاق داخل الوطن وخارجه.

تقع منطقة التنقيبات الأثرية لجامعة الخرطوم شمال مدينة أم درمان وتمتد من وادي سيدنا جنوباً إلى خور الدشينا ب شمال جبل أم مرحي. وتحد هذه المنطقة من الجهات الغربية والجنوبية جبال كرري، والمعقل والقيسي والمرخيات، وحدها الشرقي نهر النيل. وتقع المنطقة برمتها على هضبة جيولوجية عتيقة متعرية من الصخر الرملي النوبي (Nubian Sandstone) تعلوها طبقات متباينة من الحصى والرمال الخشنة والناعمة، فضلاً عن تناثر بعض المنكشفات الصخرية من حجر البازلت على مدى البصر.

عصور ما قبل التاريخ:

وتجد الإشارة إلى أن الأعمال الأثرية الرائدة في هذه المنطقة ابتدرها عالم الآثار البريطاني المعروف أ.ج. آركل A.J.Arkel الذي عين أول مدير لمصلحة الآثار السودانية (1938-1948م). وشملت هذه الأعمال مسوحات أثرية

لمواقع العصر الحجري القديم في وادي سيدنا وخور أبوعنجة فُصِّلت نتائجها في كتابه الموسوم بـ «العصر الحجري القديم في السودان الإنجليزي-المصري - Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan» ويصل تاريخها بالمقارنة مع نظائرها في مواقع أخرى بشمال السودان (جزيرة صاي) إلى 300.000 ق.م. وتلت ذلك أعمال تنقيب في موقعين مهمين هما الشهيناب (1953م) والسروراب 2- (1978م). فموقع الشهيناب الذي يرجع للعصر الحجري الحديث قام بحفره أنطوني آركل عام 1949م ونشرت نتائجه بين دفتي كتاب معنون بـ «شاهيناب Shaheinab» عام 1953م. أما موقع السروراب-2 الذي يؤرخ لحضارة الخرطوم الباكورة فقد قام بالتنقيب فيه صاحب هذا المقال استكمالاً لأبحاثه في دراسات ما قبل التاريخ في إقليم الخرطوم. (1978-1980م) (Khabir 1981) التي نشرت نتائجها في دوريات علمية متنوعة بأوروبا وأمريكا الشمالية وبعض الأقطار العربية. وثمة إشارة هنا، وهي أن الموقع الأنموذجي لهذه الحضارة تم التعرف عليه في حفرة سابقة للآثاري آركل (1949م) وهو مستوطنة ترجع للعصر الحجري الوسيط (Mesolithic) تحتل مكان مستشفى الخرطوم التعليمي الحالي. ومن نتائج حفرة هذا الموقع الأنموذجي موجودات حضارية حجرية وعظمية (لحيوانات وأسماك ورخويات) علاوة على فخاريات ذات زخارف متموجة (Wavylines) تمثل السمة المميزة لهذه الحضارة والتي وجدت مستوطنات تشابهها في العشرات من الأماكن المتباعدة جغرافياً، شملت وادي النيل ومنطقة البحيرات الاستوائية وشمال إفريقيا وغربها. وربما كان ذلك بدواعي اتصال حضاري مباشر أو غير مباشر، حيث إن الظروف الجغرافية المطيرة في عصر الهولوسين كانت مؤاتية للتنقل والتداخل الحضاري عبر بقاع شاسعة. وكان القاسم المشترك لهذه المستوطنات المنتمية لحضارة الخرطوم الباكورة هو اشتراكها في قيم ومفاهيم جمالية عبرت عن نفسها بصورة جلية في نماذج مميزة من صناعة الفخار وزخرفته بطرز متفردة أبرزها الطراز ذو الزخرفة المتموجة المتصلة. وهذا التجانس القيّم والجمالي يعضد فرضية مؤداها أن هذه المستوطنات المتباعدة الأطراف تمثل أنموذجاً لمنطقة ثقافية مشتركة بورتها إقليم الخرطوم خلال المرحلة المتأخرة لحقبة ما قبل التاريخ في إفريقيا (خبير 2005:10-11). وأكدت لنا حفرة موقع السروراب - 2 (قرية الباعوضة) عام 1978م والتي أشرف عليها كاتب هذه المساهمة وبالدليل اليقيني أن

أقدم صناعة للفخار في إفريقيا قد بدأت في أم درمان قبل ما يزيد عن عشرة آلاف عام من الوقت الحاضر (165B.C.+Cal. 8625). وقد قام بمعايرة Calibration التاريخيين (90_+7380 ق.م؛ 80_+7420 ق.م) (Khabir 1987:377-380) المعطاة للموقع وهما لعينات فحم حجري من المربع رقم 27 للطبقتين الثالثة والخامسة على التوالي الأستاذ الدكتور أزهرى مصطفى صادق (أستاذ الآثار بجامعة الخرطوم) بجامعة كولون (المانيا) (معلومة مبلغة شخصياً) (لوحة: 1-3) وعثر على فخاريات في كل من موقع جبل أم مرحي بشمال أم درمان (Elamin 110-and Mohammed Ali 2004:97) والسقاي في الضفة الشرقية لنهر النيل (Caneva 1983:149) ذات تواريخ شبيهة وإن كانت تقل بدرجة ملحوظة عن موقع السروراب -2 في أواسط البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من مواقع العصر الحجري الحديث (3200-4500 ق.م) في شمال أم درمان (إسلانج، النوفلاب ووادي سيدنا) وجنوبها (الصالحة) تم الكشف عنها خلال العقود الماضية. (Khabir 2008:33-Salvatori et al 2014:243-42 and 270)

المجموعات النوبية وممالك كوش:

تشير الكشوفات الأثرية بشمال أم درمان إلى أدلة لحضارات يرجع بعضها إلى الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد. فهناك مواقع لمستوطنات ومدافن بجزيرة إسلانج والنوفلاب والباعوضة (Khabir 2008:33-42) عثر فيها على أدوات حجرية وعظمية وفخاريات وخرز ومشغولات من الألباستر (الممر) والزجاج لها ما يناظرها في حضارات المجموعات النوبية (A&C) (3900-1500 ق.م) بشمال السودان وجنوب مصر، فضلاً عن حضارات كوش (كرمة ونبتة ومروي) (2500 ق.م- 350 م) (Hakem 1979:151-155). ولعل من المظاهر اللافتة للانتباه في تنقيبات شمال أم درمان الأعداد المهولة من الجبانات ومقابر التلال (Tumuli) التي تعود للفترة المتأخرة لما بعد مروي والعصور الوسطى المبكرة (350-543 م). وأطلق نفر من علماء الآثار على الموجودات الحضارية لهذه المقابر التلية «ثقافة تنقاسي» نسبة إلى الموقع النموذجي لهذه الثقافة الذي يقع على بعد 400 ميل في شمال السودان. ويربو عدد المقابر التي تؤرخ لـ «ثقافة تنقاسي» على أربعة آلاف تل أثري. وتتعدى هذه المقابر منطقة شمال أم درمان بمختلف الاتجاهات. ففي جنوب أم درمان أجرى باحث الآثار السوداني الرائد عبد الرحمن آدم (رحمه الله) حفريات جنوب

منطقة الفتيحاب (العشرة) بالاشتراك مع الآثاري البريطاني كنيث مارشال. ونشر تقرير عن هذه الحفريات بمجلة الآثار السودانية (كوش - Kush) ، العدد الأول عام 1953م (46-Marshal and Adam 1953:40). وعثر على ما يماثل هذه المقابر التلية في كل من الهوبجي بالقرب من شندي وتنقاسي على مقربة من كريمة. ومن أهم سمات هذه المقابر أنها دائرية الشكل يعلوها الحصى والتراب من الخارج. ويبرز المخطط الداخلي لهذه المقابر أنها على هيئة حدوة الحصان (Horse-Shoe). ووجدت بداخلها هياكل عظمية لأفراد من مختلف الأنواع (الجندر) والأعمار وكلهم من عامة الناس. ويلحظ أن المتوفى يوضع بشكل ممدد (Extended) في أغلب المدافن. أما المقابر التي يوضع فيها المتوفى جاثماً بإنحناءة (Crouched) فهي نادرة. ويضم الأثاث الجنائزي الأواني الفخارية وخرز الفيانس الأزرق وخرز قشرة بيض النعام والأسورة البرونزية ورؤوس السهام الحديدية ودبابيس الصيد والآنية والأدوات الزجاجية وغيرها. ولوحظ أن نذرًا يسيرًا من المقابر التي تنسب لـ «ثقافة تنقاسي» ذات شكل يشبه الطوة (المقلدة) أو بيضاوي له ما يماثله في حضارة البان قريف (Pan-grave) في النوبة السفلى قبل ما يزيد عن 1500 سنة خلت (152-ibid:154). وباجالة النظر في عادات الدفن الجنائزية التي وجدت في المقابر التلية يلحظ أنها ترجع للفترة المتأخرة لحضارة مروى وما بعدها في شمال أم درمان (موقع أم مرحي نموذجاً). وقد عرفت سابقاً بأسماء متعددة منها «تلال فخار علوة؛ حضارة تنقاسي؛ شبه المروية وما بعد مروى (15-El-Hassan 2006:38) (لوحة:4). ونلاحظ أنها متماثلة بدرجة كبيرة مع تلك التي تم التعرف عليها في شمال كردفان وفي المنطقة الممتدة من نبتة إلى الخرطوم، الجزيرة فسنار وجبل موية (إقليم النيل الأزرق)، فضلاً عن تشابهاتها التي لا تخطئها العين مع المعثورات الحضارية لذات الفترة التاريخية على امتداد إقليم النيل الأبيض. وقد أدى ذلك إلى افتراض إنها تمثل مجموعة ثقافية واحدة عادة ما توصف بـ «ثقافة تنقاسي» (154-Hakem 1979:155) (لوحات:5-6).

عهد الممالك المسيحية:

وبنهاية مملكة مروى (350م) استمر نموذج الدولة الثيوقراطية (Theocratic-State) في السودان القديم متمثلاً في ظهور الممالك المسيحية الثلاث (543-1504م) ، نوباتيا في أقصى الشمال وتمتد من أسوان إلى قرب

الشلال الثالث وعاصمتها فرس، والمغرة التي تحتل المنطقة الممتدة من قرب الشلال الثالث إلى الأبواب (كبوشية) وعاصمتها دنقلا العجوز في حين أن مملكة علوة وعاصمتها سوبا جنوب الخرطوم تشمل منطقة شاسعة تمتد من الأبواب شمالاً إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً كما ضمت أجزاء من عطبرة والنيل الأزرق حتى الحدود الإثيوبية وبعض جهات كردفان. ورغم أن المملكة الأخيرة قد ازدهرت لفترة طويلة نسبياً مقارنة بمملكتي الشمال واستمرت إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي وكانت منطقة أم درمان في حوزتها، إلا أننا لم نجد أثراً مادية بأم درمان تنسب لها. ولا ندري وضعيتها أم درمان في عهد مملكة علوة المسيحية. ومن جهة أخرى، فإن تنقيبات قسم الآثار بجامعة الخرطوم منذ منتصف السبعينيات الماضية تشير إلى أن منطقة شمال (جبل أم مرحي) وغرب (جبل القيسي) أم درمان تعج بالآلاف المقابر (تربو على 4000 مقبرة). وما تم تنقيبه منها لا يزيد عن 200 مقبرة. وتومئ أشكال هذه المقابر (دائرية وبيضاوية) وأثاثها الجنائزي (فخار، أدوات زينة وأسلحة) إلى صلات ثقافية وحضارية بشمال السودان (فرس، تنقاسي، شندي)، وغربه (شمال كردفان) والجزيرة والنيل الأزرق (جبل موية)، وتؤرخ إلى الفترة المتأخرة من العهد المروي ربما تصل إلى القرن الخامس الميلادي (ibid.).

العصر الإسلامي: مملكة الفونج.

تكاد السجلات التاريخية والأعمال الأثرية تخلو من معلومات عن عاديات بارزة بأم درمان تؤرخ لمملكة الفونج (السلطنة الزرقاء) (1504-1821م). غير أن هناك مسجداً أثرياً بقريّة التسعين شمال أم درمان بحوالي 35 كيلومتراً يعتقد أن عمره يطال خمسمائة عام (Ahmed2010:1130)، أي بني في مطلع عهد دولة الفونج (لوحة:7). ونلاحظ أن الآثار الإسلامية على هيئة مساجد وقباب وأضرحة كانت شاخصة للعيان في منطقة الخرطوم في ذلك العهد. ويجدر التنويه إلى أن مدينة الخرطوم قد نشأت في فترة دولة الفونج بواسطة شخصيات إسلامية من الفقهاء ورجال الطرق الصوفية من أبرزهم الشيخ أرباب بن علي بن عامر بن أصبح (أرباب العقائد) كما تشير إلى ذلك مخطوطة كاتب الشونة (أحمد بن الحاج أبو علي 1961:124). وبني هذا الشيخ مسجداً بوسط الخرطوم في القرن السابع عشر الميلادي وتوفي بمدينة سنار عام 1691م. وفي عهد الحكم الثنائي (الإنجليزي-المصري) أعاد الملك فاروق الأول

بناء المسجد الذي عرف لاحقا بإسمه .وهو أقدم مسجد في مدينة الخرطوم حاليا.وتوجد بالخرطوم العديد من القباب والأضرحة لمجموعة من الفقهاء في هذا العهد منهم الشيخ إدريس ود الأرباب، الشيخ خوجلي أبوالجاز، الشيخ جميل بن محمد، الشيخ حمد ود أم مريوم، الشيخ عبدالرحمن الخرساني والشيخ محمد فايت(انظر الصادق:13:2009-24).

العهد التركي - المصري:

نمت المدينة السودانية خلال العهد التركي-المصري (1821-1885م) بشكل ملحوظ ليس فقط باعتبارها مركزا للبلاد إنما بإعتبارها أيضا ظاهرة ملازمة لتطور النشاط الإقتصادي والاجتماعي والسياسي في مرحلة تاريخية معينة. وارتبطت المدينة في ظل الحكم الأجنبي بالسلطة المركزية وبالطابع العسكري فأضفت عليها الصفتان طابعا سلطويا قهريا. ونشأت الخرطوم كعاصمة إدارية عام 1823 م. وانتعشت كمركز تجاري مرتبطا بطرق القوافل. وأصبحت تجارتها تعادل تجارة جميع أقاليم السودان(القدال2002:122). وتتالى عمران الخرطوم خلال أيام التركيبة حيث مر بأربع مراحل. ففي المرحلة الأولى أعيد بناؤها على موقع يختلف يسيرا عن موقعها في عهد دولة الفونج. وفي المرحلة الثانية بنيت العديد من الدور الحسنة في الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. أما المرحلة الثالثة فقد شهدت تطور المواصلات فيها كما جلبت البواخر النيلية. وفي المرحلة الرابعة تسارعت وتيرة بناء الدور الفارهة بالطوب الأحمر وشيدت الحدائق الغناء لسكانها من الحكام والجاليات الأجنبية والأعيان(العطا:155:2018-163). وبرز العمران متمثلا في الأبنية الحكومية والمساجد والأضرحة والقباب بوسط الخرطوم شمال شارع البلدية(شارع عباس سابقا) وشرق شارع القصر الجمهوري(شارع فكتوريا سابقا)(الصادق، مرجع سابق:58-62). وبرغم هذا العمران الحديث في الخرطوم وقتذاك، لا نجد له نظيرا بأمران طوال العهد التركي-المصري الذي استمر ما ينيف عن ستين عاما. وتشير نتائج تنقيبات جامعة الخرطوم أن أم درمان كانت قبل عهد المهديّة(انظر أدناه) تتكون من العديد من القرى المتفرقة. وتخصصت في صناعة الصابون وصبغة النيلة الزرقاء(Indigo blue) التي تستخدم في تلوين الثياب. كما وأنها ظلت مركزا مهما للقوافل وتجارة العبور خلال تلك الفترة. ومما ساعد على ذلك وقوعها في ملتقى

طرق تمتد من الجنوب للشمال والغرب باتجاه وادي النيل وتواصل المسير شمالاً... درب الأربعين، فمسالك عبور صحراء بيوضة والطرق النيلية (البرية والنهرية) (Hakem.Op.cit:151). ومن الآثار المعمارية لهذه الفترة قبة الفكي الأمين بجزيرة إسلاج على بعد 24 كيلومتر شمال أم درمان. فقد بنيت على النمط الفونجي. وقام هذا الفقيه بدور كبير لدعم الثورة المهديّة إبان حصار المهديين للخرطوم عام 1885 (Ahmed2010:1127-1128) (لوحة:8). ومن آثار هذه القبة مسجد بقرية الشيخ الطيب على بعد 30 كيلومتراً شمال أم درمان وعلى مقربة منه توجد آثار لخلوة قديمة. وهذه القرية للشيخ أحمد الطيب السماني أحد أبرز الفقهاء الذي تتلمذ عليهم الإمام محمد أحمد المهدي في منتصف القرن التاسع عشر (Ahmed.Op.cit:1130).

عهد دولة المهديّة:

خلال هذا العهد (1885-1898م) أصبحت أم درمان عاصمة الدولة الجديدة بعد أيام قليلة من سقوط الخرطوم التي كانت في رأي الإمام المهدي عاصمة الترك وهو يود أن يمسح كل أثر بغيض لهم في البلاد. وبدأت أم درمان كمعسكر حربي وإتسعت لاحقاً لتصير كبرى مدن البلاد وحاضرة الدولة المهديّة (القدال، مرجع سابق:228).

تم التعرف على عشرات الآثار المعمارية التي تعود لعهد المهديّة وتشمل القباب والأضرحة والمساجد والأبنية المدنية والعسكرية. ومن أبرزها: قبة الإمام محمد أحمد المهدي: بنيت على طراز قباب الأتراك (غرفة مربعة تعلوها قبة) ودفن بها في 22 يوليو 1885م (لوحة:9). وهناك قبة الشيخ حمد النيل بشمال أم درمان التي بنيت من الطين وأعيد بناؤها لاحقاً (1965م) على طراز حديث (الصادق 2009:64).

بيت الخليفة: وهو مسكن خليفة المهدي عبدالله بن السيد محمد (تورشين) وفي نفس الوقت كان مقراً للحكم. يتكون البيت من طابقين. وتم بناؤه بالطوب الأحمر المجلوب من أطلال مدينة سوبا المسيحية. وأشرف على تشييده مهندس معماري إيطالي يدعى «بيترو» وتحول حالياً إلى متحف قومي يزار (الصادق، مرجع سابق 2006:34-35) (لوحة:10).

مسجد الخليفة: بني من الطوب المحروق (الأحمر) بعد أن كان مبنياً من الطين عند بنائه الأول. وقد طلي بالجير الأبيض. وشارك الخليفة عبدالله مع

قواده في بنائه. وكانت تمارس فيه الصلاة والتعليم الديني. كما كان يقرأ فيه راتب الإمام المهدي إضافة إلى تعليمه للصبيّة القراءة وحفظ القرآن الكريم (الصادق، مرجع سابق: 2009:26).

سور الملازمين: ويحيط بمدينة أم درمان القديمة (الملازمين). وتبقى جزء منه صغير شرق حي الملازمين (لوحة: 11).

بيت الأمانة (دار الرياضة بأم درمان حالياً): مبنى مستطيل الشكل يقع جنوب بيت خليفة المهدي، بني من الحجر النوبي الرملي واستعمل تراب أم درمان كمونة رابطة وأسواره عالية وسميكة. وتم ترميمه عدة مرات (لوحة: 12).

بوابة عبدالقيوم: وهي آخر بوابات العهد المهدي، وكانت متصلة بالسور الذي يحيط بأم درمان القديمة على الرأس الشمالي (لوحة: 13).

الطوابي: وتعتبر من أهم الاستحكامات الدفاعية التي بناها خليفة المهدي للدفاع المباشر عن العاصمة (أم درمان) واستعداداً لمعركة كرري الفاصلة ضد حملة كتشنر التي أعدت لإسترجاع السودان لدائرة الحكم الأجنبي عام 1898م. وتعتبر الطابية من أصغر المباني العسكرية، بنيت من الطوب الأحمر والحجر للحماية والدفاع. وتتكون من مبنى ذي تفاريح (فتحات) تستخدم بواسطة الجنود الموجودين فيها. ويتدرج شكلها نحو الصغر حتى تصبح مثل التل الترابي ذي الفتحات. ويتراوح قطرها بين (28-30 متراً) وتبعد بحوالي (100-150 متراً) من النيل (المرجع نفسه: 238-240) (لوحة: 14).

خاتمة:

ومما سلف إيراده ، من الواضح أن ثمة صلات ثقافية وحضارية بادئة للعيان بين مختلف المجموعات السكانية التي قطنت السودان القديم (كوش) منذ آجال موهلة في القدم. وتاريخ أم درمان الحضاري كما كشفت عنه المعثورات الأثرية ذو صلة وثيقة العُرى بالعديد من أجزاء السودان القديم. وتومئ كل الشواهد الأثرية المتوفرة إلى قواسم حضارية مشتركة في العادات والتقاليد والفنون لسكان هذا القطر المترامي الأطراف. وهذه الخاصية الفريدة لا تجترحها إلا أمة تشعر بتمايز عن غيرها من الأمم. وهذا لا يتأتى بالطبع إلا ببلوغ الحد الأدنى من التجانس الثقافي والحضاري الذي يسمح بوجود كيان معنوي جدير بأن ينبعث بـ «الشخصية القومية»، بغض النظر عن الولاءات

العرقية والجهوية والعقدية. وهذا ما كان من شأن مدينة أم درمان، السودان
المصغر منذ عشرات القرون.

الهوامش:

أ/ المراجع العربية:

- (1) أبوعلي، أحمد بن الحاج 1961. مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارية المصرية (تحقيق الشاطر بصيلي)، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة.
- (2) العطا، رشا حسن. نشأة وتطور مدينة الخرطوم: دراسة أثرية-بيئية. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بحري.
- (3) الصادق، صلاح عمر 2006. دراسات سودانية في الآثار والفولكلور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم.
- (4) الصادق، صلاح عمر 2009. الآثار الإسلامية في منطقة الخرطوم، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم.
- (5) القدال، محمد سعيد 2002. تاريخ السودان الحديث 1820-1955م، مركز عبدالكريم ميرغني، أم درمان (الطبعة الثانية).
- (6) خبير، عبدالرحيم محمد 2005. المنجزات الفكرية والتقنية للحضارة السودانية. مجلة جامعة جوبا للآداب والعلوم، العدد الرابع، يوليو: 22-20058.
- (7) ضيف الله، محمد النور 1984. كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان (تحقيق وتعليق وتقديم يوسف فضل حسن) (الطبعة الثالثة)، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع.

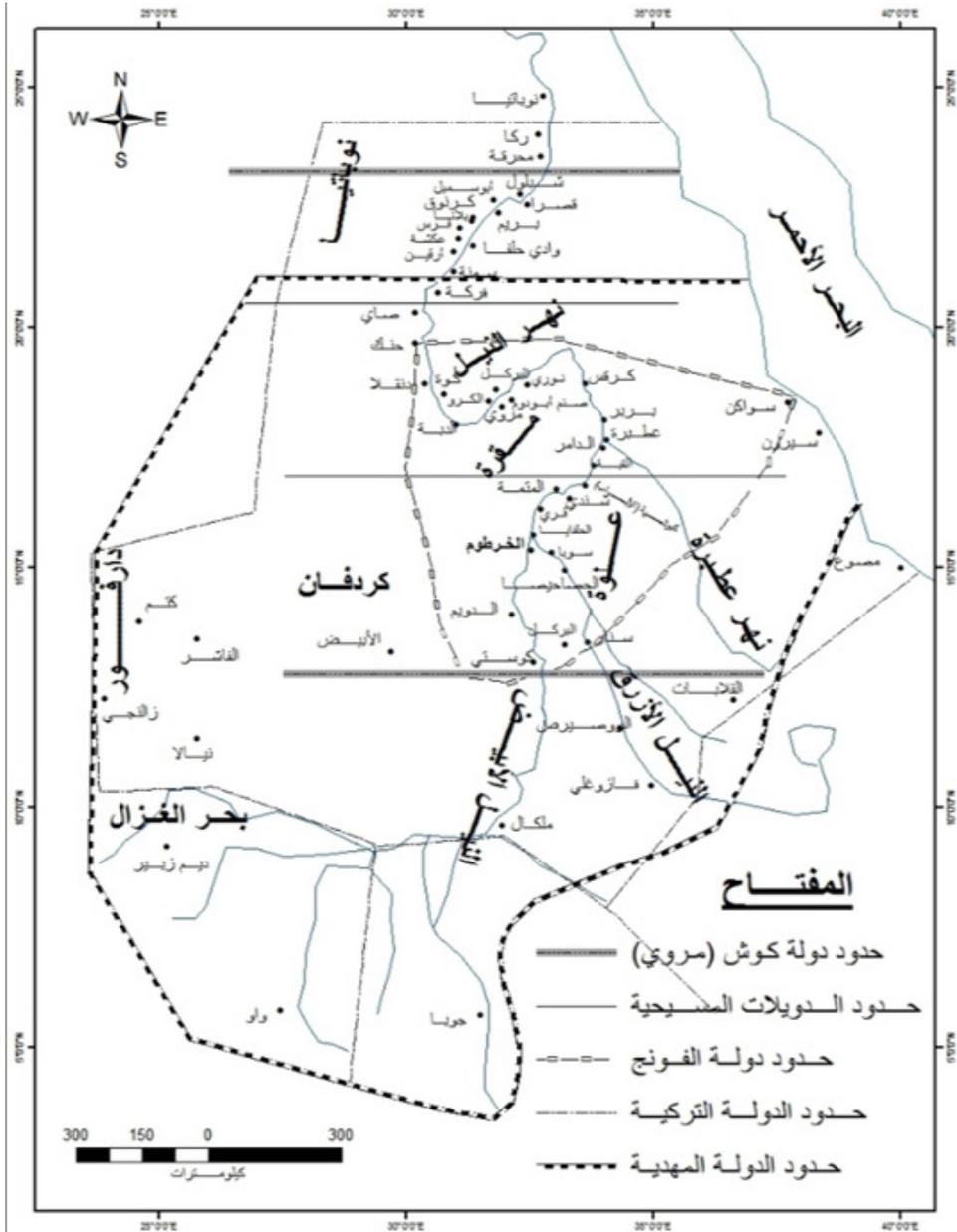
ب/ المراجع الأجنبية:

- (1) Ahmed, S.B. 2010. The Archaeological and Ethnographical Reconnaissance in the Sabaloka Area (Western Bank of the Nile, North of Omdurman District). **Fourth Cataract and Beyond**. Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies (eds. J. Anderson & D. Welsby). Belgium: 11251133-.
- (2) Arkell, A. 1949. Old Stone Age in the Anglo-Egyptian Sudan, Khartoum.
- (3) Arkell, A. 1949. Early Khartoum. Oxford University Press, London
- Arkell, A., 1953. Shaheinab. Oxford University Press. London
- (4) Caneva, I. 1983. Pottery Using Gatherers and Hunters at Saggai 1 (Sudan): Preconditions for Food Production. Origini X11. Rome.

- (5)13.Elamin,Y. and Mohammed-Ali Abbas 2004."Umm Marrahi :An Early Holocene Ceramic site north of Khartoum(Sudan)",**Sahara** vol.15:97110-
- (6)El-Hassan,A.2006.Jebel Um Marrihi:Post- Meroitic and Early Medieval Site (c.325650-A.D.) in Khartoum Province(Sudan). **Adumatu** 13:1538-.
- (7).Hakem,A.M.1979."University of Khartoum Excavations at Sarurab and Bauda ,North of Omdurman",**Meroitica**5:151155-.
- (8) 16.Khabir,A.M.1981.Neolithic Ceramics in the Sudan,With Special Reference to Sarurab2.Unpublished M.A.thesis,University of Khartoum.
- (9)17.Khabir,A.M.1987."New Radiocarbon dates for Sarurab2 and the age of the Early Khartoum tradition" ,**Current Anthropology**28:377380 -.
- (10)18.Khabir,A.M.2008."Physico-Chemical Analysis of Neolithic Pottery from Central Sudan",**Adumatu** 17:3342-.
- (11)19.Marshal,K. and A.Adam 1953."Excavation of a mound grave at Ushara",**Kush**1:4046-.
- (12)20.Salvatori,S. et al.2014."Archaeology at El-Khiday :New insight on the Prehistory and History of Central Sudan". **Fourth Cataract and Beyond**,Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies(eds. :J.Anderson& D.Welsby) Belguim:243257-

(31) أم_درمان / <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(شكل:1)





(لوحة:1) منظر للقطاع الشرقي من مربعات حفرية موقع السروراب2:شمال أم درمان



(لوحة:2) نماذج لكسر فخار من العصر الحجري الوسيط بشمال أم درمان، غرب النيل.

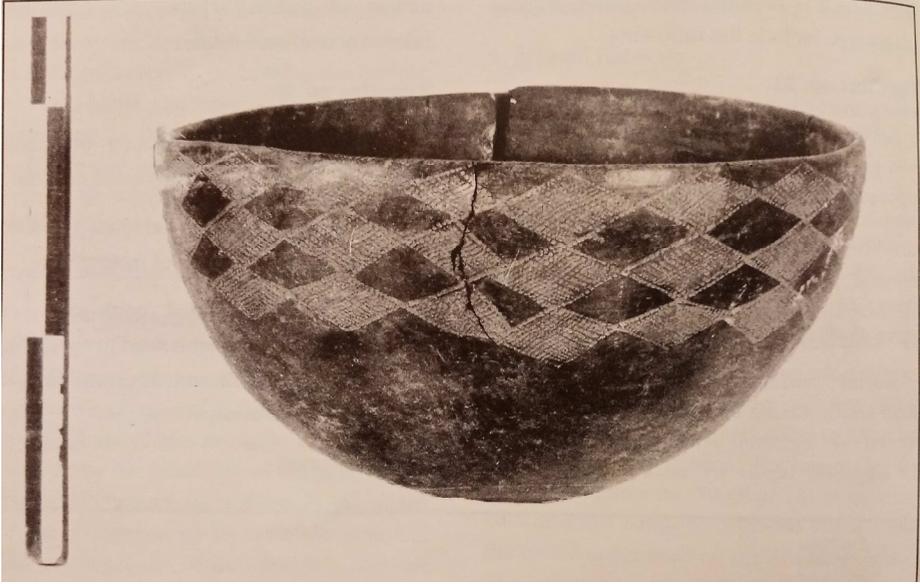


(لوحة:3) كسر فخار من العصر الحجري الحديث بشمال أم درمان، غرب النيل.



(لوحة:4) مقبرة تلية (M52) خلال حفريات موقع جبل أم مرحي(ع):الفترة المتأخرة لما بعد عصر دولة

مروي.



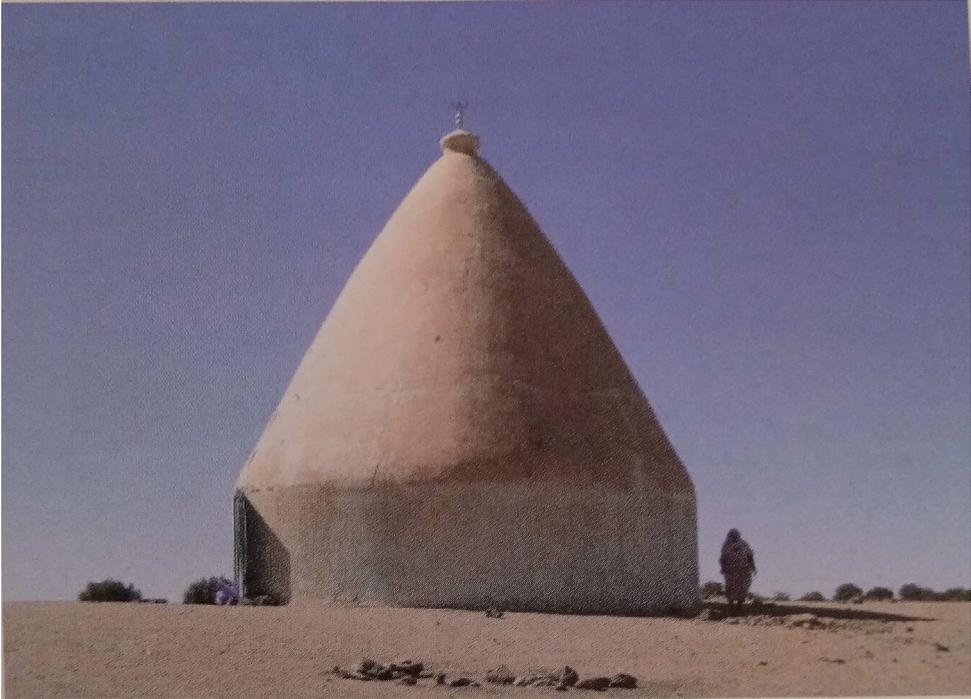
(لوحة:5) طاسة نصف كروية سوداء لامعة مزخرفة بحزوز أشكال هندسية ملئت بصبغ أحمر، موقع جبل أم مرحي المقبرة رقم "70".



(لوحة:6) تميمة لحتحور بتزجيج أخضر: المقبرة نمرة22:موقع جبل أم مرحي.



(لوحة:7) مسجد قرية النسعين المؤرخ لعهد الفونج.



(لوحة:8) قبة الفكي الأمين في جزيرة إسلانج، العهد التركي-المصري.



(لوحة:9) قبة الإمام محمد أحمد المهدي.



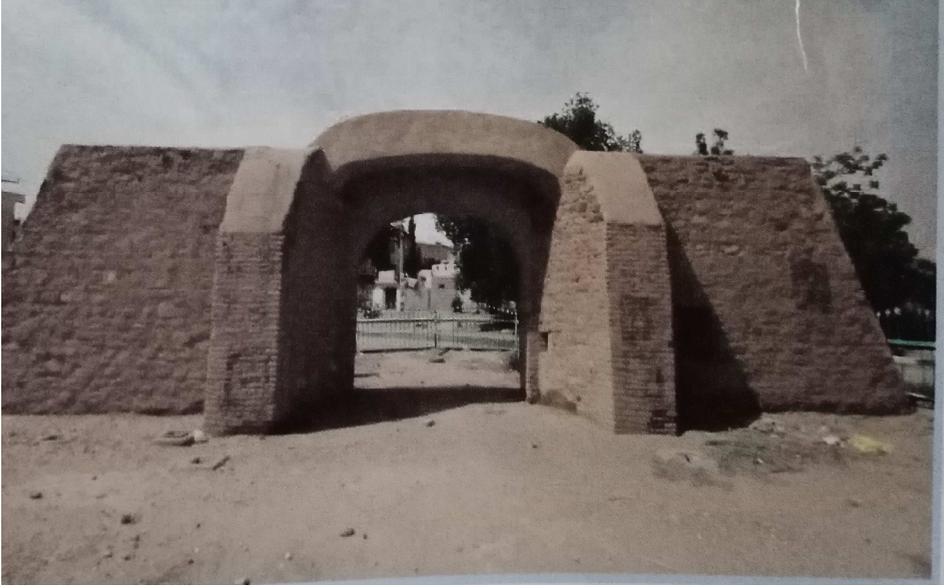
(لوحة:10) منظر جانبي من بيت الخليفة عبدالله.



(لوحة:11) سور الملازمين بأم درمان.



(لوحة:12) بيت الأمانة (دار الرياضة بأم درمان حاليا)



(لوحة:13) بوابة عبدالقيوم.



(لوحة:14) طابية الملازمين بأم درمان

التطور الاجتماعي الاقتصادي لمدينة المناقل

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا
كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهرى

د. آمل جاد الرب علي فضل المولى

المستخلص:

تناول البحث التطور الاجتماعي الاقتصادي لمدينة المناقل. هدف البحث إلى التعرف على العوامل الحضارية التي أسهمت في نشأة مدينة المناقل وكذلك هدف إلى معرفة العوامل الطبيعية التي أدت إلى جذب الكثافة العمرانية بالمنطقة ودورها في تطور مدينة المناقل، كما هدف البحث أيضاً إلى معرفة الدور الذي يلعبه مشروع المناقل في تطور المدينة اقتصادياً واجتماعياً. تم استخدام المنهج التاريخي لمعرفة التطور التاريخي لمدينة المناقل، كما اتبع البحث المنهج الوصفي الذي استخدم في وصف أسباب نشأة مدينة المناقل ووصف السكان والاقتصاد والخدمات بالمدينة، كما تم استخدام المنهج التحليلي الإحصائي في تحليل البيانات الكمية للسكان والخدمات والاقتصاد بالمدينة. تم جمع المعلومات من المراجع والكتب والتقارير الإحصائية ذات الصلة بموضوع البحث. توصل البحث إلى أن مدينة المناقل مرت بفترات تاريخية قديمة وضعت فيها لبنات تأسيسية أولى، ثم بين البحث أن مدينة المناقل مرت بنقلة حضارية حديثة بسبب مكونات الجغرافيا الطبيعية بالمنطقة التي ساهمت في نجاح مشروع المناقل الذي جذب العديد من السكان من داخل السودان وخارجه. وهذا الحجم السكاني استفادت منه مدينة المناقل اقتصادياً كقوى عاملة في الصناعة وكقوى شرائية لمنتجاتها، ووضح البحث أن مدينة المناقل توسعت عمرانياً بسبب النمو السكاني الكبير نتيجة للتطور الخدمي والصناعي. أوصى البحث بفتح باب الاستثمار الزراعي بشقيه النباتي والحيواني بالمنطقة لحل مشكلات الزراعة مما يساهم في زيادة الإنتاج وبدوره ينعكس على التطور الاقتصادي والاجتماعي لمدينة المناقل ويزيد من دخل السكان وينشط الحركة التجارية بالمنطقة عامة ويحد من هجرة سكان الإقليم تجاه مدينة المناقل.

Socio-economic development of Al-Manaqil city

Dr. Amal Gad Al-Rub Ali Fadl Al-Mawla Associate Professor - Department of Geography, Faculty of Education - Al-Zaeem Al-Azhari University

Abstract:

The research investigated the socio-economic development of Al-Manaqil city. The research aimed to identify the cultural factors that contributed to the emergence of Al-Manaqil city, as well as it aimed to knowing the natural factors that led to the urban density in the area and its role in the development of Al-Manaqil city. The research also aimed to know the role played by Al-Manaqil Scheme in the development of Al-Manaqil city economically and socially. The historical methodology was used to know the historical development of the city of Al-Manaqil, and the research also followed the descriptive methodology that was used to describe the reasons for the emergence of the city of Al-Manaqil and to describe the population, economy and services in the city. The statistical analytical methodology was also used in analyzing the quantitative data of the population, services and economy in the city. Information was collected from references, books and statistical reports related to the research topic. The research concluded that the city of Al-Manaqil went through ancient historical periods in which the first foundational building blocks were laid, then the research showed that the city of Al-Manaqil went through a modern civilizational transformation due to the natural geographic components of the region that contributed to the success of the Al-Manaqil scheme, which attracted many residents from inside and outside Sudan and Al-Manaqil city benefitted from the size of population economically as a workforce in the industry and as a purchasing power for its products, and the research showed that the city of Al-Manaqil expanded urbanly due to the large population growth as a result of service and industrial development. The research recommended opening the door for agricultural investment, both plant and animal, in the region to solve the problems of agriculture, which contributes to increasing production and in turn is reflected in the economic and social development of Managil city, increases the income of the population, activates the commercial movement in the region in general, and limits the migration of the region's residents towards Managil city.

مقدمة:

إن الإنسان على مدى تاريخه لا يعيش منفرداً بل يعيش في شكل جماعات بفعل العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية التي تساعده على التفاعل مع الأرض في كافة مستوياته الحضارية ومن ثم يعكس منجزاته الثقافية. فالقرية تاريخياً أقدم من المدينة وكثير من المدن تطورت عن أصول قروية، ونشأة المدن الأولى ارتبطت بزيادة إنتاج الأرض وارتبطت نشأة المدن التجارية بنشاط العمران المدني وزيادة مطالب الإنسان فيما يتصل بالحاجات الضرورية كالغذاء والملبس والصناعة وقامت هذه المدن بدور الوسيط التجاري بين مدن العالم باستغلال موقعها الجغرافي في ترويج تجارتها وزيادة ثروتها⁽¹⁾. ففي المدن القديمة كانت حياة الأفراد في القرون الأولى عبارة عن قبائل تبنت نمط الترحال فجوانب المناخ والصيد والمرعى تتحكم في استقرار هؤلاء الأفراد وتركزهم في هذه المنطقة دون غيرها، بعدها جاءت المستوطنات البشرية التي تعتمد على الزراعة حلت محل الترحال ثم تطور الإنتاج وزاد حجم السكان وتطورت الخدمات ثم الصناعة⁽²⁾.

مدينة المناقل منذ تاريخها شهدت تحولات سياسية وحضارية بفعل العوامل الطبيعية والبشرية، بيئتها تعتبر من أكثر البيئات الجغرافية تغييراً تنموياً لما أحدثه إنسان المنطقة من تطور اجتماعي واقتصادي، فهي تشكل نموذجاً صنعياً لإنسان المنطقة بنفسه.

مشكلة البحث:

شهدت مدينة المناقل نقطة تحول حضاري واضحة منذ بداية تاريخ نشأتها حتى الآن واستمدته من الكثافة العمرانية لريفها الذي نما حولها ومن ثم قيام مشروع المناقل، كذلك العوامل الطبيعية والبشرية ساهمت في تطورها اقتصادياً واجتماعياً فأصبحت ذات حجم سكاني كبير أسهم بدوره في تطور المدينة. تدور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

1. ما هي العوامل الحضارية التي أدت إلى بداية نشأة مدينة المناقل؟
2. ما العوامل الطبيعية والبشرية التي ساهمت في جذب الكثافة العمرانية بالمنطقة وما دورها في تطور مدينة المناقل؟
3. هل لعب مشروع المناقل دوراً واضحاً في تطور مدينة المناقل اقتصادياً واجتماعياً؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث في الآتي:

1. شهدت مدينة المناقل نقلة حضارية منذ بداية تاريخ نشأتها القديم منذ الفترة النوبية وما بعدها وتركت فيها أثرًا اجتماعيًا واقتصاديًا واضحًا لم يتناوله المؤرخون، كما أن المدينة شهدت طفرات في النمو الحضري وفي الصناعة والتجارة فهي نموذج فريد من المدن التي تقع في الوسط في السهول بين النيلين لم تنل حظًا وافراً من الدراسات.
2. إلقاء الضوء على التطور الحضاري والاجتماعي والسكاني الكبير بالمدينة لتحفيز وتشجيع المستثمرين للاستثمار في البنية التحتية والمجال الاقتصادي لما لها من موارد اقتصادية في الإنتاج الزراعي الناجح.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1. مناقشة أسباب نشأة مدينة المناقل.
2. تحليل دور العوامل الطبيعية والبشرية في تطور مدينة المناقل.
3. معرفة تطور حجم سكان مدينة المناقل.
4. مناقشة التطور الاقتصادي الاجتماعي بمدينة المناقل.
5. تقديم التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في تذليل عقبات التطور بمدينة المناقل.

الفرضيات:

1. شهدت مدينة المناقل نهضة حضارية منذ تاريخ السودان القديم فكانت جاذبة للسكان منذ القدم ومرد ذلك لعوامل البيئة الطبيعية والحضارية الملائمة في المنطقة.
2. للعوامل الطبيعية دور كبير في النشاط الزراعي والرعي بالمنطقة فجذبت مراكز العمران بكثافة حول مدينة المناقل مما أسهم في نشأة وتطور المدينة.
3. لعب مشروع المناقل دورًا واضحًا في الاقتصاد الزراعي والرعي ما أدى لتطور الوضع الاقتصادي والاجتماعي بمدينة المناقل وجعلها المدينة المسيطرة في إقليمها بصورة ظاهرة.

منهجية البحث:

استخدم البحث مناهج متعددة تتمثل في:

1. المنهج التاريخي استخدم لدراسة التطور الحضاري لمدينة المناقل. كما استخدم في رصد تطورها الاقتصادي والاجتماعي.
2. المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف وتحليل نشأة مدينة المناقل وعوامل التطور الاقتصادي والاجتماعي للمدينة ووصف وتحليل حجم سكانها.
3. استخدام المنهج التحليلي الكمي في التحليل الكمي لسكان المدينة وخدماتها واقتصادها.

طرائق البحث وأدواته :

تشتمل طرائق البحث وأدواته على الآتي:

أ/ المعلومات الثانوية:

تم جمع المعلومات الثانوية من المصادر المكتبية، من الكتب والمصادر العلمية بالمكتبات بولاية الخرطوم التي لها علاقة بموضوع البحث مثل جغرافية المدن والسكان والاقتصاد بصفة عامة .

ب/ المعلومات الأولية:

تم جمع المعلومات الأولية من العمل الميداني لجمع الإحصاءات من مكاتب مدينة المناقل ورئاسة مشروع المناقل والجهاز المركزي للإحصاء ومكتبة وزارة الصناعة.

حدود البحث:

تتمثل الحدود في الحدود المكانية لمدينة المناقل، التي هي واحدة من محليات ولاية الجزيرة المتعارف عليها، هي جزء أساسي من إقليم المناقل الذي يقع فيه مشروع المناقل الزراعي، بينما يغطي الإطار الزمني للبحث منذ نشأة مدينة المناقل - 2015 م.

التطور الحضاري التاريخي لمدينة المناقل:

للعوامل التاريخية دور كبير لا يمكن تجاهله في نشأة المحلة العمرانية ونموها وتطورها فإن التاريخ يمدنا بتعريف وافٍ للمدينة عن دورها في

التاريخ وهو من الضروري لفهم النمو العمراني ويمكن أن يميز المدينة من القرية خلال الآثار التاريخية⁽³⁾. واكب إقليم المناقل مختلف الحضارات إن كان التاريخ لم يؤرخ لها، فهي تجسد تاريخ حضارتها وتعبّر عن ذاكرة أمتها بأحداثها وثقافتها بآثارها المادية التي توضح بأن المنطقة كانت مسكونة منذ القدم غنية بإرثها الحضاري ومايتوارثه إنسان المنطقة أباً عن جد عن هذا التاريخ ويمكن أن نتناول ذلك كما يلي:

1 / الفترة النوبية:

يرجع تأريخ المنطقة إلى حوالي خمسة قرون، ومن أقدم القرى فيها قرية كوقبلا قرية الدسيس (أسماء نوبية) وتليها قرية عتقي وبها مقابر أثرية تعود إلى عهد مملكة علوة المسيحية في السودان. كما تنتشر فيها مقابر أثرية قديمة خاصة في قرية الركل الواقعة بين مدينة المناقل وجبل موية والتي تعود إلى عهد مملكة علوة، هنالك كثير من الآثار النوبية بالمناقل انطمست معالمها بعامل المناخ والنقل الحضارية للمشاريع التنموية، كما يوجد بين سكن الأهالي أديرة تحمل مسميات نوبية متوارثة أباً عن جد، جميعها توجد وسط المزارع تخرج منها حلي ملونة (يطلق عليها الأهالي السوميت) وكذلك الأواني الفخارية المكسرة. أشار المؤرخ يوسف فضل إلى أن العرب تدفقوا في أعداد كبيرة في علوة حتى غلبوا أهلها على أمرها بعد ما أصاب سبع مقاطعات الضعف ليس من بينها سوبا وهي دانغو، أرين، نافيل، كرسى، بارا، وكدر و الأنج أو العنج الذين هم في سهول الجزيرة⁽⁴⁾ وهنالك كثير من الأديرة القديمة في إقليم المناقل يطلقون عليها دار العنج ومن بينها مدينة المناقل.

2 / فترة السلطنة الزرقاء:

لعبت مدينة المناقل في عهد الفونج 1504-1821م دوراً إدارياً وسياسياً كبيراً، فالملك نايل كانت إدارته بمنطقة المناقل وأحفاده الآن بحي دار نايل بمدينة المناقل وود الشقل، ودكين العادل ود نايل إدارته تمتد من غرب المسلمية (حتى غرب الجزيرة بما فيها مدينة المناقل) اتسم بالعدل والرخاء والأمن من الخوف والسرقات والنهب واشتهرت المنطقة بكمل نومك انحصر هذا الاسم في قرية كمل نومك بوحدة الكريمة كما يتضح من الرواية الشفهية المتوارثة أباً عن جد أن الشيخ عزالدين النفيح وضح أن اسم المناقل في هذه الفترة جاء من كلمة (مناجل) وهو جمع يرمز إلى أهل السلطة هم الأنجل

في دولة الفونج ويعلل ارتباط تسميتهم بهذا المكان لقدمهم إليه من سنار لقضاء فترة الصيف وذلك لارتفاع المكان وجودة هوائه وقلّة الحشرات فيه مقارنة بسنار، وقد قيل بأن المكاتب الرسمية للمملكة السنارية تتم في هذا المكان تحمل أختامها اسم المناجل، الأنجل أصل مقر سكنهم في (دار نايل) وهذا يسهل مهام العاصمة المتنقلة، وما تؤديه من مهام إدارية في هذا الموقع الجغرافي لأهميته البشرية والاقتصادية والسياسية، هذا يشير إلى أن مدينة المناقل كانت من ضمن العاصمة السنارية المتنقلة لم تكن بها مبان ثابتة.

كانت قرى المنطقة في هذه الفترة نشأت في شكل فرقان صغيرة متناثرة ومتباعدة تفصل بينها غابات وتتجمع حول مصادر المياه المتمثلة في الحفائر والآبار، مسكنها من القش مسورة بأغصان الأشجار وتضم بطوناً من القبائل الرعوية التي تمتلك حرفة الزراعة المطرية إلى جانب الرعي، كانوا غير مستقرين يرتحلون ما بين النيلين الأبيض والأزرق، وبصفة عامة كانت بالمنطقة أنشطة محدودة ذات قاعدة اقتصادية ضعيفة.

كان سلاطين دولة الفونج يعتقدون في صلاح أولياء الله ويهرعون إليهم للمشاورة وقامت العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة وملوك الفونج للنفوذ الروحي الذي كان يمارسه المتصوفة على الملوك، وكان سلاطين الفونج يحسبون لهم حساباً ويقطعون لهم الأرض، وكانوا يستمعون لنصائحهم نسبة لالتفاف السكان حولهم ومكانتهم الروحية العالية لدى السكان، ولذلك اعتمد عليهم في تأثيرهم الروحي الذي يخدم مصالح الحكام والدولة⁽⁵⁾.

تأثرت منطقة المناقل التي هي من سهول الجزيرة بالموجات العربية، وبدأ فيها الاستيطان بسبب الوجود القبلي في عهد الفونج بكثافة بما فيهم رجال الطرق الصوفية، وكان لتشجيع السلاطين والملوك للعلماء والمتصوفين على الهجرة إلى السودان أثر في الحياة الثقافية والهوية السودانية، ويعتبر التصوف أحد أهم مكونات الثقافة في السودان ومدينة المناقل لها نصيب من ذلك بعد الاستقرار فانشأوا فيها مستوطنات ذات صبغة دينية، فمدينة المناقل تضم أقطاب ورموز الصوفية في السودان ومنهم من وردت أسماؤهم في كتاب الطبقات لود ضيف الله⁽⁶⁾ الذين لهم دور في تأسيس مدينة:

- محمد عبودي: درس الرسالة في مكان أبيه، كثير الشفاعة عند الملوك دفن بعبودي وقبره يزار بمدينة عبود التي تقع شرق مدينة المناقل وتبعد عنها (15 كلم) تتبع لوحدة ريفي المناقل.

- إبراهيم الفرضي ود عبودي الذي ألف فيه حاشيته المعروفة «بالفرضية» ولتمييزه في هذا الفن وعلو فيه لقب بالفرضي. مركزه العمراني الديني بمدينة عبودي.
 - القدال: واسمه محمد ولد إبراهيم الفرضي: قرأ الرسالة على أبيه الفرضي، ولد بقوز الراكبة وأمه بنت المسلمي، بلغ طلبته ألفاً، ويقال ألفين. له من طلبه التكايرير 1750 طالباً، والتكايرير لفظ يطلق على الوافدين من المنطقة التي تقع غرب دارفور وهم من قبائل الهوسا والفلاتة والبرنو والبرقو⁽⁷⁾ بأم طلحة الآن حي بمدينة المناقل.
 - ولد البحر: اسمه محمد ولد البحر بن إبراهيم الفرضي تفقه على أخيه محمد القدال مؤسس أم طلحة.
 - ولد الشقل: اسمه محمد أخذ من القدال الفرضي مسكنه شمال أم طلحة على جهة الشمال، ود الشقل الآن حي بمدينة المناقل.
 - المسلمي الصغير: تتلمذ على ابن عمه القدال وتتلمذ عليه عبد الله ود العجوز، الذي كان معظماً لشيخه المسلمي، عبد الله ود العجوز أولاده وأحفاده قبورهم بقرية الشكينبية، والآن لهم مسيد كبير وهذا الموقع الآن تابع لوحدة ريفي المناقل وتقع جنوب شرق مدينة المناقل وتبعد عنها (10 كلم).
 - عز الدين ولد نفيح بالمناقل درس على دفع الله العركي مؤسس حي ود نفيح بمدينة المناقل.
 - عائشة بنت محمد القدال الفرضي تعلمت على يد والدها بأم طلحة ولها مدارس للبنين والبنات بالنيل الأبيض.
 - ود صبح درس على الفرضي ضريحة بحي ود المسلمي.
- يوضح هؤلاء الشيوخ الدور الثقافي الكبير الذي كان ينشره رجال الطرق الصوفية في مدينة المناقل وخارجها. وشكلت مدينة عبود أكبر محطة عمرانية لها أهميتها في فترة المملكة السنارية، هي مدينة حضرية لها إقليم تعليم ديني وثقافي داخل وخارج حدود منطقة المناقل في كل من جزيرة الهوى وشرق السودان وكردفان ودارفور وحول النيل الأزرق. أصبح السكان يتجمعون حول المنطقة وخارجها لمكانتها الدينية في خدمة المجتمع اجتماعياً واقتصادياً ف جذبت السوق لما يوفر من احتياجات الناس في تلك الفترة باعتبارها هي عاصمة المنطقة، كان نفوذها أقوى من مدينة المناقل.

على حسب ما ورد في مخطوطة كاتب الشؤون⁽⁷⁾ تتضح أهمية المنطقة حتى في الفترة الأخيرة من عهد الفونج، من خلال ثورات الهمج المتكرر مع خصومهم وفيما بينهم تأثرت بهم مدينة المناقل بسبب تركيز مراكز الطرق الصوفية فيها حيث ينزلون بها أحياناً ويتركونها أحياناً ومدينة عبود حيث تأثرت بهم سبع مرات (بها إحدى معاركهم، آثارها في السوق).

3/ فترة الحكم التركي المصري (1821-1885م):

كان من مآثر الحكم التركي المصري توحيد أقاليم السودان المختلفة، وقد أوضح الحكم التركي المصري الدور البارز للإدارة باعتبارها وسيلة وأداة للحكم، وبهذا أمكن إظهار التقسيم الحديث، وفي عهده أيضاً زادت عدد الخلاوي والزوايا في عامة السودان كما أوكلت بعض الوظائف الإدارية المهمة لزعماء القبائل واستفادات من النظام القبلي الموروث والمتعارف عليه، فقسم السودان إلى مديريات لكل مديرية مدير وتحتها أقسام يشرف على كل قسم ناظر والقسم يحوي خطوطاً لكل خط حاكم والخطوط مقسمة إلى مأموريات لكل مأمورية مأمور⁽⁸⁾، مدينة المناقل شكلت مأمورية بها المأمور، ولم تشهد شيئاً من التغيير في هذه الفترة، إلا ازدياد الخلاوي والزوايا لأن الأهداف الإدارية بسيطة ومحددة وهي المحافظة على الأمن وجمع الضرائب، يروى إن كان لأهالي المناقل دور كبير في الوقوف ضد الأتراك حيث أعلن الشيخ عامر المكاشفي الجهاد ضد حكم الأتراك في منطقة أم حجار بالمناقل ومنع المواطنين من دفع الجزية لهم. وفي منطقة أم سنيطة جنوب المناقل اندلعت ثورة عرفت بثورة ودكرف.

4 / فترة المهديّة (1885-1899م):

قسمت الدولة المهديّة السودان إلى عمالات وانقسمت منطقة المناقل بين عمالات مختلفة كما تبين إحدى وثائق المهديّة في مركز الوثائق (وثيقة 1/42/6) بينت العمالات وحدودها التي كانت تجمع الضرائب والزكاة وكانت التبعية الإدارية لإقليم المناقل عامة كما يلي:

قسم سنار الروصيرص التي كانت حدودها تتبع لمحمد عثمان الحاج خالد حدودها من السافل بقادي حتى أم تريبات وهي الآن تتبع محلية ريفي المناقل. حدود قسم الخرطوم التي تتبع لمحمد علي التني، حدودها من الصعيد تتبع حدودها إلى الفرجاب والعقدة، فهذه تتبع حالياً الأولى إلى الكريمت،

والثانية إلى وحدة الهدى ثم إلى الشقلة ومنيرود وروبيح والمطمير وشكير وهي تتبع حالياً لوحدة العزازي وعراق إلى معتوق وشاشا تتبع إلى الكريمت. حدود قسم عبود تتبع للأمين العقلي حدودها من الصباح ود زروق والنقير وكتري وكمل نومك تتبع إلى الكريمت والطليح إلى ريفي المناقل ومن السافل الهميح إلى العزازي وأبو عجب إلى الهدى ومن الغرب قبوجة والعديد، أبوحوه تتبع إلى الجاموسي فهذه شملت العديد من القرى التي تتبع لإقليم المناقل ونلاحظ في هذه الفترة أن قرية المناقل لم تكن لها السيادة الإدارية فكانت لمنطقة عبود الأهمية نسبة لتجمع العديد من المشايخ منذ السلطنة الزرقاء ودورها في جذب عدد كبير من السكان إلى المنطقة. حدود أقسام ولد مدني تتبع عمر حمد حدودها من الغرب تشمل قرى محلية المناقل وهي ودعايد والدقيساب والحمراء تتبع إلى ريفي المناقل والحجاب وهجرس تتبع إلى الكريمت⁽⁹⁾. إن منطقة المناقل في هذه الفترة مثلها مثل فترة التركيبة لم تشهد تطوراً لا في عمرانها ولا خدماتها فظل أسلوب حياة السكان هو البدائي متمثلاً في الزراعة المطرية ورعي الضأن والماشية وكانت الإدارة الأهلية التي تتمثل في زعماء القبائل والمشايخ يعتمدون عليهم في جمع الضرائب وحفظ الأمن بالمنطقة، إلى أن أصبحت العديد من القرى مراكز جذب للكثير من رجال الطرق الصوفية متمثلة في قرية عبود والمناقل والشكينية...

5 / فترة الاستعمار الإنجليزي: (1899-1956م):

في عام 1925م، بدأت الزراعة في مشروع الجزيرة فأصبح لسكان منطقة المناقل مصدر دخل آخر للرزق بالهجرة موسميًا صوب منطقة الجزيرة لجنبي القطن وقلع سيقانه، وكان المشروع يعتمد اعتماداً كلياً على هذه الأيدي العاملة. فبدأت معالم التطور تظهر في مناطق مشروع الجزيرة من استقرار في العمران وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية فكانت الخدمات ووفرته تعتمد على ميزانية المناطق لذلك كانت منطقة المناقل أقل درجة في الوضع الاقتصادي والاجتماعي، ولكن حظيت المنطقة لأول مرة سنة 1943م بميزانية بسبب زراعة القطن المطري، وانتعشت التجارة بها بسبب قيام الأسواق في مناطق مشروع الجزيرة⁽¹⁰⁾. فكانت التجارة تعتمد على كبار رجال المنطقة الذين لهم مستوى دخل أفضل من غيرهم فهم يقومون بجلب السلع الضرورية من سكر وشاي ودمور وغيرها من أسواق الجزيرة مثل سوق

طابت وفطيس والمسلمية ومدني والحاج عبد الله وود رعية وغيرها، وكانت وسيلة النقل المستخدمة فهي النقل عن طريق الدواب (الجمال) وتأتي محملة بالبضائع وتوزع بالقرى وظل هذا الوضع حتي عام 1958م. تم اختيار مدينة المناقل إبان الحكم الثنائي لتكون مركزاً إدارياً، وعين مفتش بريطاني لها. تتكون المدينة من الناحية العمرانية قبل عام 1955م، من ثلاثة أحياء فقط هي: ود نفيح، والدسيس، عتقي وصاحب ذلك نهضة عمرانية شملت مباني الأحياء التي بدأت تستخدم مواد البناء الثابت، كما حددت لمحلية المناقل (محلية المناقل + محلية القرشي) لها حدود إدارية فهي تتطابق مع حدودها الإدارية الآن فأصبحت مدينة المناقل تمثل مركز المأمور ورئاسة الإدارة الأهلية، فقسمت منطقة المناقل إلى نظارات فكانت نظارة القسم الجنوبي بأمر طلحة كواهلة ونظارة القسم الغربي بعمار رفاعة ونظارة القسم الشمالي بالهدي وود الزين مغاربة ونظارة الكريمة عركيين وقسمت هذه النظارات إلى عموديات ومشايخ مختلفة التي يكون تحت إشرافها عمدة أو شيخ القبيلة يجمع الضرائب وأدى ظهور النظام الإداري الجديد للمنطقة لظهور وظائف جديدة لمدينة المناقل فبنيت الدواوين الحكومية بها متمثلة في مجلس الإدارة الأهلية ونقطة البوليس وظهر بعض المدارس الإعدادية حيث فتحت في مدينة المناقل عام 1905م⁽¹¹⁾.

6 / الفترة الثانية: فترة ما بعد مشروع المناقل عام 1958م:

في عام 1958م تم تنفيذ مشروع المناقل الذي حمل اسم مدينة المناقل، أنشئ مجلس ريفي المناقل ثم انقسم إلى إدارتين في ظل قانون 1973م هما:

1. مجلس منطقة غرب الجزيرة.
2. مجلس منطقة 24 القرشي بها رئاسة مشروع امتداد المناقل.

واستمر حتي إلغاء العمل بقانون 1981م وفي عام 1989م صدر قانون الحكم المحلي حيث قسمت المنطقة إلى 13 محلية تحت إشراف محافظة المناقل، ثم تقلصت إلى 8 محليات في ظل قانون 1998م إلى إدارة واحدة، ثم غير اسم المحافظة إلى محلية والمحليات إلى وحدات إدارية تحت إشراف مدينة المناقل عام 2003م، وفي عام 2014م تم تقسيم المحلية إلى محليتين هما محلية المناقل ومحلية 24 القرشي ليسهل إدارة المحلية نسبة لاتساعها وبعد وحداتها الإدارية عن بعضها⁽¹²⁾.

بتنفيذ مشروع المناقل تغيرت ملامح الأرض وبيئتها بشبكة الري وتبدل القفار إلى خضرة والسكون إلى حركة دائبة والهجرة إلى استقرار فتوسعت القرى القديمة وأنشئت قرى حديثة إلى جانب اجتذاب مواطنين من خارج المنطقة وكذلك اجتذاب هجرة استيطانية من خارج السودان وإسكانهم فيما يسمى بالكنابي. وتعني زيادة السكان بهذه الصورة زيادة السكن وكما تعني أيضاً زيادة الخدمات وتوزيعها على التجمعات العمرانية، فأصبح هنالك نمو عمراني مفروض على المحلات العمرانية تبعاً للتخطيط الزراعي تحده مجموعة من المساحات الزراعية وكذلك المجاري المائية ومارس السكان نمط حياة جديد. فتطور الهيكل الإداري للمشروع فأدخل فيه قسم إدارة الخدمات الاجتماعية والإرشاد والإنتاج البستاني وتنمية المرأة والاقتصاد المنزلي، فأصبحت الحواشة محور الحياة المستقرة، اقتصادياً واجتماعياً، وعمرانياً، فخصصت إدارة المشروع 2% من عائد القطن لتوفير الخدمات وفي غضون ذلك زادت مؤسسات التعليم والخدمات الصحية، ودخلت السينما المتجولة وفصول محو الأمية وجريدة جزيرة الأسبوعية لتثقيف المزارعين وفصول الإرشاد النسوي وغيرها من الخدمات بالمنطقة⁽¹³⁾.

ترتب علي ذلك من قيام مشروع المناقل 1958 م زيادة في الإنتاج الزراعي وظهرت وظائف أخرى بالمنطقة مثل العمل بالخدمات داخل المنطقة، فأصبحت مدينة المناقل تنتعش فتطورت تطوراً اقتصادياً واجتماعياً من خدمات أساسية تعليم وصحة وكهرباء ومياه وطرق وغيرها، بل أن الزراعة لم تقتصر على الإكتفاء الذاتي وأصبحت تشكل وظيفة تجارية كبرى مما أدى إلى انتشار الأسواق بالمنطقة، شهدت مدينة المناقل نهضة عمرانية شملت مباني الأحياء التي بدأت تستخدم مواد البناء الثابت، أما سوق المناقل فهو السوق الرئيسي، تحول إلى سوق أسبوعي يقام في يومي الأحد والأربعاء ثم إلى سوق مستديم. وهذا المشروع يعد أكبر نقطة تحول في نمو وتطور مدينة المناقل، الأمر الذي نتج عنه تشغيل رؤوس أموال كبيرة في سوق المناقل خاصة في مجال الاستثمار في مجال الصناعات الزراعية مما أفرز نماذج وأنماط عمرانية ومعيشية جديدة بالمدينة.

دور البيئة الطبيعية في تطور مدينة المناقل:

تشمل عناصر البيئة الطبيعية لمدينة المناقل التي أسهمت في نشأة وتطور المدينة الآتي:

1 / موقع مدينة المناقل:

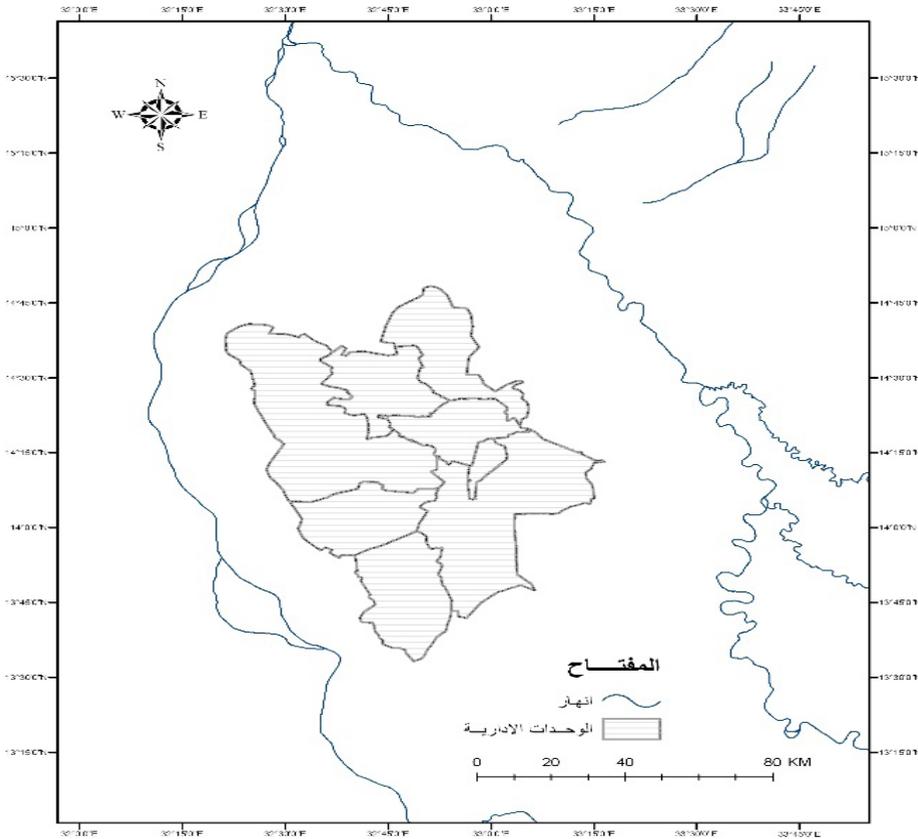
تقع مدينة المناقل على دائرة عرض 15° - 14° و 33° طول ق تق تقع شرق إقليم المناقل الذي يحتل الجزء الغربي من ولاية الجزيرة بين دائرتي عرض 46° - 13° و 46° - 14° ش وبين خطي طول 30° - 32° ق 6° - 33° ق ويغطي إقليم المناقل محلية المناقل تشمل كل من وحدة مدينة المناقل وريفي المناقل ومعتوق والهدى والعزازي والكريمت والماطوري والجاموسي وفي عام 2014 تم قسم المحلية إلى محليتين محلية المناقل تشمل وحدة مدينة المناقل وريفي المناقل والهدى والجاموسي والكريمت، بينما محلية 24 القرشي تشمل وحدة معتوق والعزازي والماطوري، خريطة (1).



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008.

تحد مدينة المناقل من الشمال والشمال الغربي وحدة الكريمت ومن الشرق والجنوب والجنوب الغربي وحدة ريفي المناقل .. انظر خريطة (1)، ورثت مدينة المناقل موقعًا جغرافيًا متميزًا داخل المنطقة منذ بداية الاستيطان الكثيف في عهد الفونج لتحقيق الأمن والمتطلبات الضرورية للمعيشة وإمكانية الاتصال بريفها والمدن، وهي تقع موقعًا وسطًا لا ينافسها مركز عمراني حضري في الوسط من حيث الحجم فأصبح موقعها موقعًا تجاريًا رئيًا لمراكز عمرانها في إقليمها والتي تقع خارج نطاق حدودها لذلك يمكن أن نطلق على مدينة المناقل عروس سهول النيلين مما أكسبها هذا الموقع تطورًا اقتصاديًا واجتماعيًا وعمرانيًا انظر خريطة (2).

خريطة (2) موقع محلية المناقل بين النيلين



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

2 / التركيب الجيولوجي:

تنتمي منطقته الدراسة إلى التكوينات الجيولوجية لمنطقة الجزيرة ويمكن تقسيم منطقة غرب الجزيرة التي تشمل إقليم المناقل بما فيه مدينة المناقل إلى ثلاث مجموعات رئيسية من الناحية الجيولوجية على النحو التالي انظر خريطة (3).

1 - صخور القاعدة الأساسية:

تعتبر قاعدة لكل الطبقات الأرضية في السودان فهي تنتمي إلى فترة ما قبل الكامبري وهي صخور نارية صلبة تتألف من الجرانيت والنيس، ويتضح من الخريطة (3) أنها تحتوي تكوينات حمضية بركانية أساسها ديولايت تتمثل في وجودها في المنطقة الجنوبية الغربية من المحلية حيث تغطي أراضي وحدة الجاموسي والماطوري ووحدة معتوق وبروزها على سطح الأرض في جبل الماطوري وجبل ود التوميات.

2 - التكوينات الرسوبية:

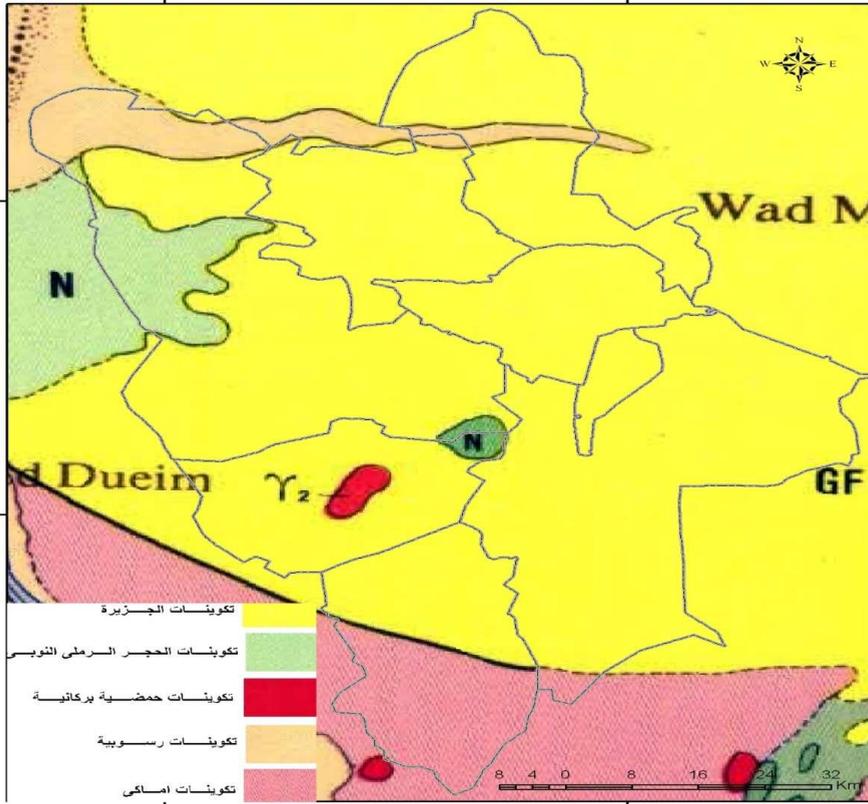
تتمثل في تكوينات الصخور النوبية (الحجر النوبي الرملي)، وتكون الحجر الرملي النوبي بواسطة الحركات الرأسية التي أدت إلى تغيير العلاقة بين اليابس والماء ثم أحدثت إرسابات في عصر الجوارسي والكرتياسي في الزمن الثاني يتمثل ذلك في رواسب طبقية مصفوفة تعلو صخور القاعدة بالمنطقة يتكون الحجر الرملي والطيني والحجر الجيري⁽¹⁴⁾. من الخريطة (3) تفسر أن تكويناته تحتوي على حجر غريني وحجر طيني وحصوي وتوجد به تلال صخرية مبعثرة مثل تل أم حجيرات فتغطي الصخور الرملية النوبية المنطقة الشمالية والشرقية من محلية المناقل بما فيها مدينة المناقل، بينما تفسر الخريطة (3) تكوينات أماكي التي توجد في جنوب المنطقة عبارة عن حجر رملي وحجر حصوي وبعض من الحجر الجيري، أما رسوبيات الأودية والمستنقعات توجد في شكل شريط طولي شمال المنطقة التي امتدادها إلى ولاية النيل الأبيض ويعرف بالوادي الرقيق انظر خريطة (3).

3- تكوينات الجزيرة :

هي عبارة عن رواسب تكونت بسبب الإرساب الهوائي والنهري معاً وأغلب الظن أن النيل الأزرق هو الذي يتحمل مسؤولية تراكم الرواسب وبناء

التربة الرسوبية منذ عصر البلايستوسين وتتكون من الرمل والطين والحصى فهي تغطي صخور القاعدة والصخور النوبية بمنطقة الجزيرة⁽¹⁵⁾. إن التكوينات الجيولوجية لمنطقة غرب الجزيرة أثرت بشكل واضح على الموارد المائية خاصة المياه الجوفية فتكوينات الجزيرة تنتشر بنسبة 39.7% من مساحة الجزيرة وتتكون من حصى ورمل وطين وتتميز بعذوبة مياهها وقلة الملوحة بينما الصخور الأساسية ضعيفة في مخزونها المائي ومياهها مالحة وتغطي الجزء الجنوبي الغربي لمشروع المناقل⁽¹⁶⁾. ويلاحظ أثر التكوينات الأساسية واضحة في إقليم المناقل التي تتمثل في وحدة معتوق والجاموسي والماطوري (حوض الجاموسي المالح) فالسكان يعتمدون على القنوات والجداول والحفائر والدليل قرب هذه التكوينات الحمضية من سطح التربة ووجودها في جبل الماطوري والتويمات مما أثر ذلك على توزيع المياه الصالحة للشرب في المنطقة عامة.

خريطة (3) التركيب الجيولوجي لمحلية المناقل

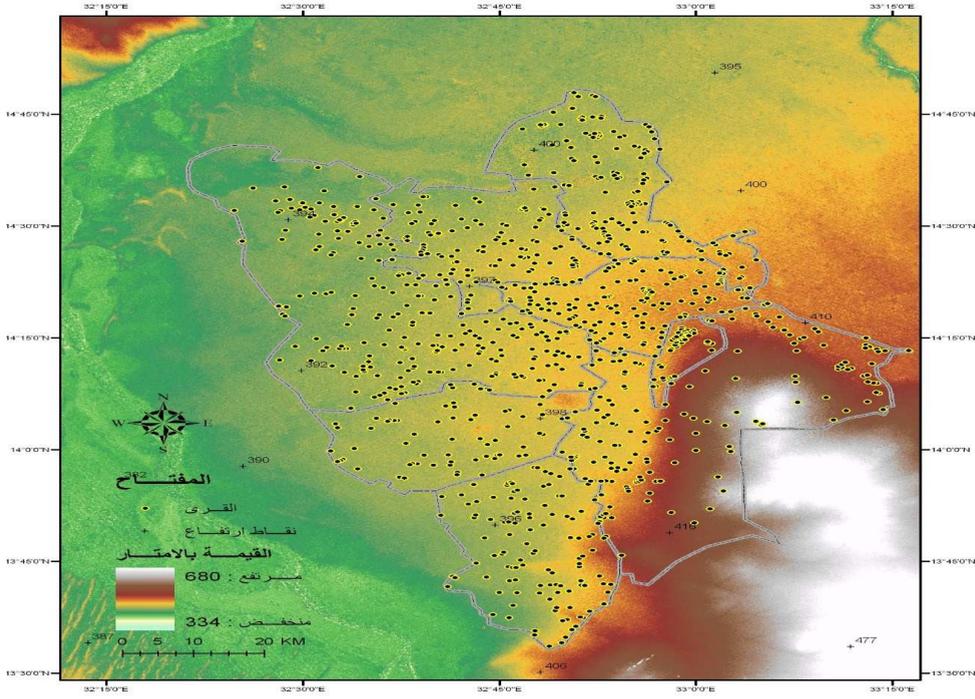


المصدر : الهيئة العامة لجيولوجية السودان 2009م⁽¹⁷⁾ بتصرف الباحثة

3 / السطح - التضاريس:

تقع مدينة المناقل في أراضي سهلية يبلغ ارتفاعها (411 مترًا) فوق سطح البحر، أما إقليم المناقل بصفة عامة هو امتداد لسهول الجزيرة التي تتميز بانبساطها وميلانها التدريجي من الجنوب الشرقي من النيل الأزرق إلى الشمال الغربي تجاه النيل الأبيض ويتراوح ميلانها ما بين 680-334 مترًا فوق سطح البحر انظر خريطة (4)، لكن هذا السهل المنبسط تتخلله بعض المرتفعات الصخرية في شكل تلال صخرية لا تشكل عائقًا في الجزء الجنوبي الغربي من المنطقة يتمثل في جبل الماطوري الذي يبلغ ارتفاعه (519 مترًا) وجبل ود تويمات (513 مترًا) والحجيرات (410 أمتار) وينحدر السهل منهم نحو الغرب والشمال على أبعاد تتراوح بين 3-15 كلم تجاه النيل الأبيض. كما يرتفع هذا السطح قليلًا في الجزء الجنوبي الشرقي من إقليم المناقل أي من الخط الذي يمر شمالًا بمدينة المناقل وجنوبًا إلى خط السكة الحديد سنار وينحدر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي تجاه وحدة معتوق الكبرى يتراوح ارتفاعه ما بين 680-400 متر ويسمى (بظهر المناقل) فهو يشمل معظم وحدة ريفي المناقل وتشكل هذه الهضبة حدًا طبيعيًا للأراضي المروية بالري الانسيابي في مشروع الجزيرة الزراعي وعلى الرغم من ذلك لا تخلو هذه الهضبة من العمران نسبة لصلاحيتها للإنتاج الزراعي مما جعل سكان هذه المنطقة يعتمدون على الأمطار في الزراعة وتربية الحيوانات، كما سهل السطح على انتشار العمران في كافة إقليم المناقل بكثافة.. انظر خريطة (4) ويعتبر سهل المنطقة بصفة عامة سهلًا منبسطًا فهذا عاملًا له أهميته في إكساب هذه المنطقة صفات معينة فأصبحت هذه البيئة العملية لها القدرة على أن تمهد الأرض وتجهزها للزراعة فلا تحتاج إلى تسوية فهو سهل ملائم للإنتاج الزراعي جعل مدينة المناقل مركز جذب سكاني وكذلك ساعد السهل على مد الطرق الترابية لكافة مراكز العمران بالمنطقة مما سهل حركة سكان الإقليم والمناطق المجاورة إلى مدينة المناقل مما أسهم في سرعة تطورها اقتصاديًا.

خريطة (4) السطح في محلية المناقل



المصدر: عمل الباحثة 2011م اعتمادًا على المرئية الفضائية 2009م

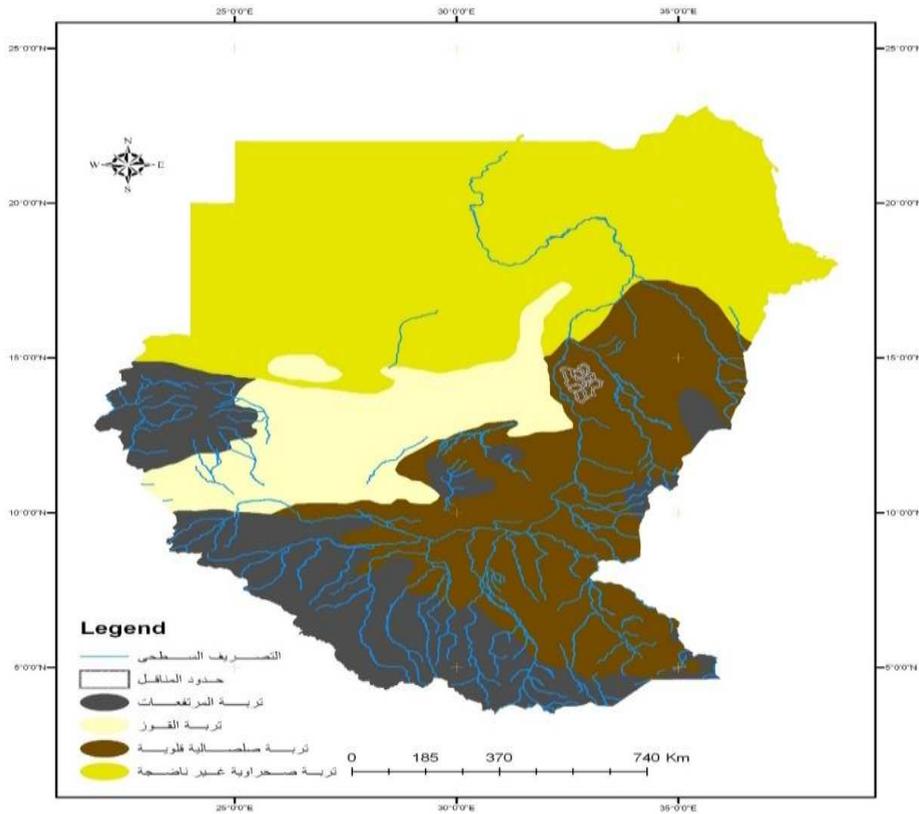
Shuttle Rada Topography Mission (SRTM) data

التربة:

تعتبر تربة مدينة المناقل جزءًا من تربة الجزيرة، انظر خريطة (5) تتميز هذه التربة بصفات في تكوينها وهي تربة ذات طابع قلوي تسمى بالمونتومورلونيت هذا إلى جانب تميزها بالشقوق العميقة التي تسمح بمرور الهواء والماء داخل التربة ويمتاز هذا النوع من التربة بخاصية التمدد عند غمرها بالمياه والانكماش والتشقق في حالة الجفاف فهي تربة طينية رملية تبلغ نسبة الصلصال فيها إلى 60% كما تصل نسبة الطين فيها إلى 20% والرمل الناعم من 12% - 20% والرمل الخشن ما بين 2% - 10%، وتمتاز أيضا بأنها تربة ذات طبقة سطحية بسمك قدمين لونها أسمر داكن تعلوها طبقة رمادية اللون سمكها نحو قدمين لونها أسمر داكن تعلوها طبقة رمادية اللون سمكها نحو قدمين آخرين وترتكز عليها طبقة سمراء مائلة إلى الاصفرار، أما

من ناحية الخواص الكيميائية فتحتوي التربة على كميات كبيرة من الأملاح المذابة كالصوديوم والفوسفات والبوتاسيوم، والنسبة المقدرة منها كافية لزراعة المحاصيل المختلفة ولكن تفتقر التربة إلى الأزوت؛ لذلك يتم تسميد المحاصيل بالأسمدة الأزوتية المصنعة لزيادة الإنتاج⁽¹⁹⁾.

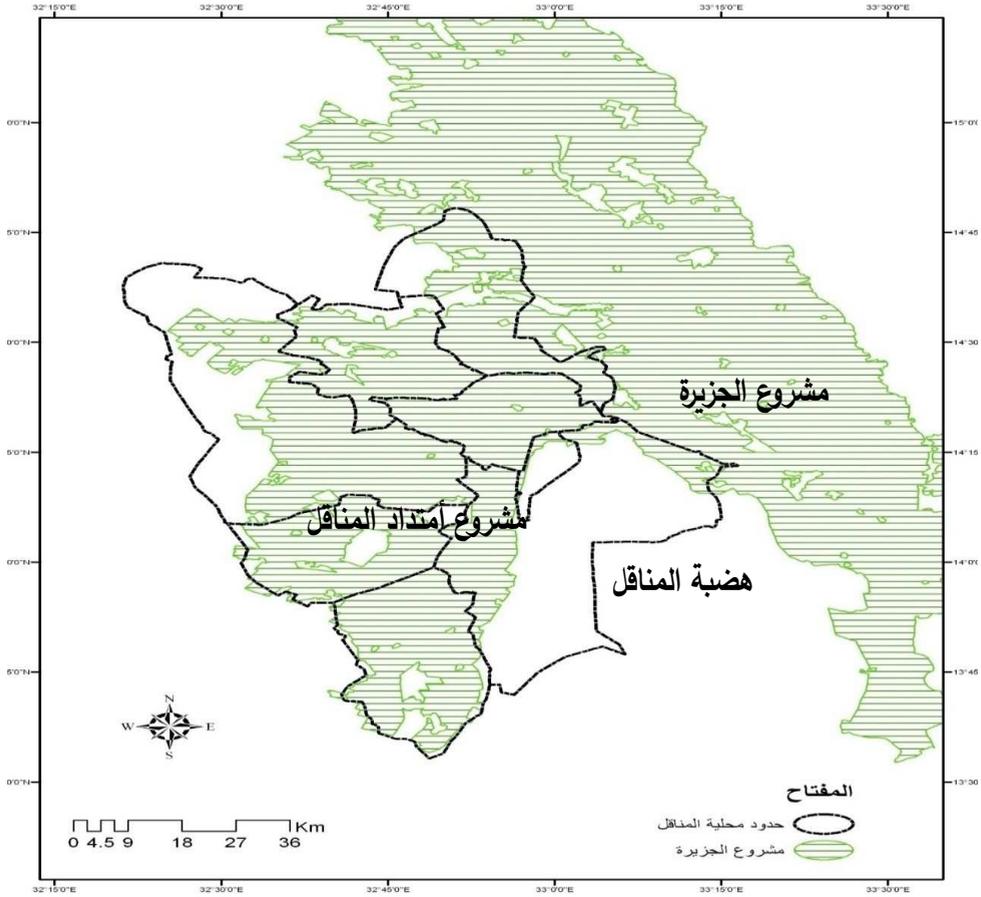
خريطة (5) أنواع التربة في السودان وموقع منطقة الدراسة



المصدر: الصياد والسعودي 1972 م⁽²⁰⁾. بتصريف الباحثة

ساعدت كل من خصوبة التربة ووفرة مياه الري على قيام النشاط الزراعي المروي المتمثل في مشروع المناقل والمطري في منطقة هضبة المناقل انظر خريطة (6). فالإنتاجية المرتفعة للأرض أدت إلى جذب السكان ولذلك تمخضت هذه الأرض بكثافة عمرانية مرتفعة لأن الأرض أصبحت تتضمن إعاله المستقرين عليها يناسب احتياجات الكثافة العمرانية بالمنطقة مما جعلها تلبي احتياجات مدينة المناقل في التصنيع الزراعي.

خريطة (6) مشروع الجزيرة وأمتداد المناقل



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

5 / المناخ:

يمكن تناول عناصر المناخ بصورة عامة فموقع منطقة الدراسة كما ذكر سابقا يوضح أنها تقع في النطاق شبه الجاف. وهي منطقة انتقالية بين المناخ شبه الصحراوي والمناخ المداري المطر صيفا، ففي فصل الشتاء تكون خصائص المناخ فيها أقرب إلى المناخ شبه الصحراوي حيث يكون دافئًا وفي فصل الصيف يكون أقرب إلى المداري المطر حيث يكون حارًا وممطرًا، انظر خريطه (7). ويمكن أن تناول العناصر المناخية بإقليم مدينة المناقل بصفة عامة على النحو التالي:

1- الحرارة:

تعتبر منطقة الدراسة جزءاً من أواسط السودان التي تخضع إلى المناخ القاري الذي يتميز بصيف حار وشتاء بارد، فترتفع فيه درجة الحرارة ما بين مارس إلى يونيو حيث تصل أعلى درجة حرارة إلى 41 درجة مئوية وأدناها 19 درجة مئوية كما يتميز بالشتاء البارد نسبياً وعموماً درجة الحرارة تزداد كلما اتجهنا شمالاً في فصل الصيف⁽²¹⁾. ويمكن تقسيم درجات الحرارة إلى ثلاث فترات، الصيف الحار من إبريل - يونيو شهور السنة حرارة والفترة الثانية من يوليو - أكتوبر فهي أقل نسبياً من السابقة بسبب هطول الأمطار أما الفترة الثالثة من نوفمبر - مارس فهي فترة الشتاء وهي من أكثر الشهور التي تقل فيها درجة الحرارة بالمنطقة.

2- الرياح:

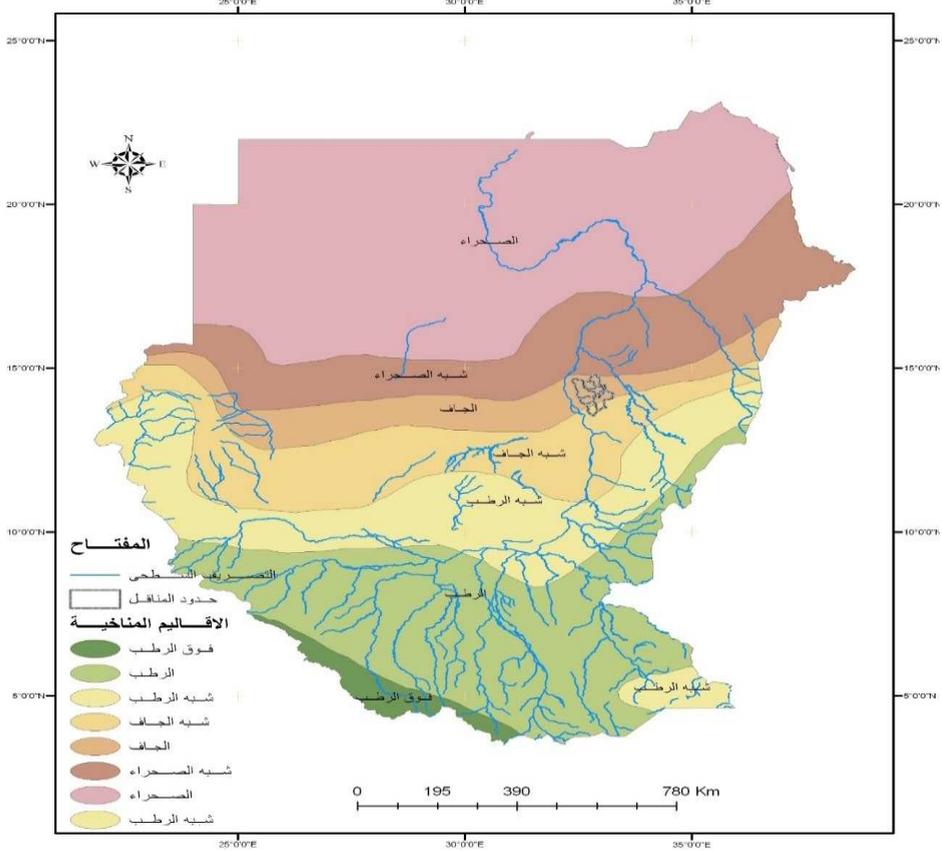
تتحكم الرياح في درجة رطوبة الجو فتهب الرياح الشمالية الشرقية في فصل الشتاء وهي جافة من شهر نوفمبر إلى مارس وتهب الرياح الجنوبية الغربية في فصل الصيف ويمكن تقسيمها إلى فصلين، أحدهما فصل الصيف الذي تقل الرطوبة فيه في الفترة ما بين إبريل ويونيو - والآخر فصل الصيف الرطب حيث تهب الرياح الجنوبية الغربية الرطبة من شهر يوليو إلى شهر أكتوبر مسببة الأمطار، وتقل رطوبتها كلما اتجهنا شمالاً.

3- الأمطار:

تتمتع المنطقة بأمطار صيفية تقل كميتها كلما اتجهنا شمالاً فتكثر كمية المطر جنوب المنطقة حيث يبلغ متوسط الكمية لعام 2009م ما بين 400-500 ملم وتقل كلما اتجهنا شمالاً حيث تبلغ 300-400 ملم بينما هنالك دراسة عامة لمتوسطات كمية المطر في السودان لستين عاماً من (1950-2009م)⁽²³⁾. يتضح أن متوسطات المطر في هذه الفترة في جنوب المنطقة 400 ملم، بينما تقل كلما اتجهنا شمالاً حتى تبلغ 200 ملم بالمنطقة.

يعتبر المطر أهم عناصر المناخ المؤثرة إذ إنه يؤثر على حياة الإنسان والحيوان كما ذكر أهميته سابقاً وبينما الأمطار مصدر اختصاص بسيط بوصفها مصدر ماء للمحاصيل المروية إلا أن تأثيرها على المحاصيل يستحق الاعتبار، وتبلغ طول مدة فترة هطول الأمطار أربعة أشهر من يونيو إلى سبتمبر ويسجل شهر يوليو وأغسطس أعلى قمة للأمطار⁽²⁴⁾.

خريطة (7) الأقاليم المناخية في السودان وموقع منطقة الدراسة



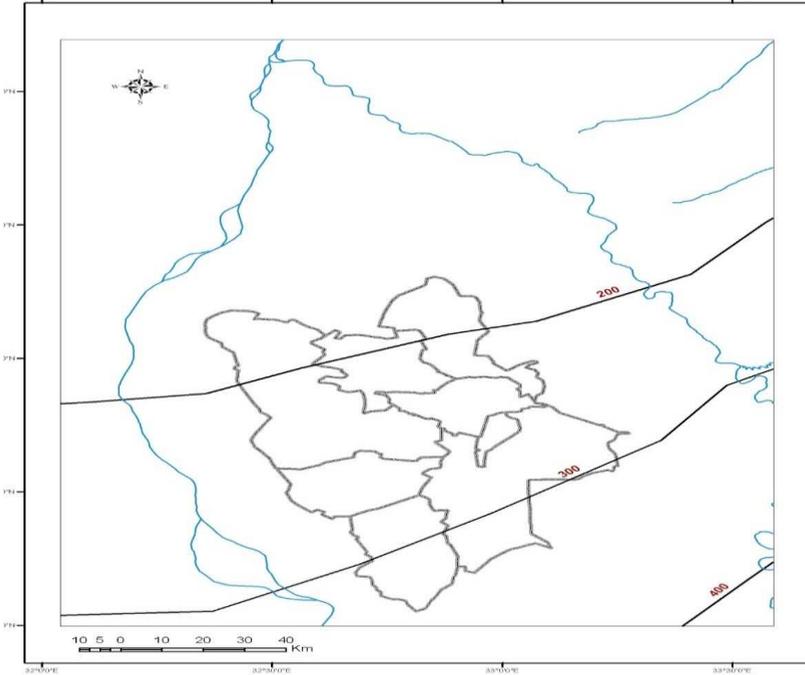
المصدر: برنامج الامم المتحدة للبيئة، 2020^(٤٤)، بتصرف الباحثة.

6 / النباتات الطبيعية:

الغطاء النباتي ماهو إلا انعكاس للمكونات الطبيعية، ومن المعلوم أن كثافة الغطاء النباتي تؤثر في امتداد العمران بتباعده وبتقاربه ولكن هذا لا يوجد في إقليم المناقل نسبة لعوامل الزمن وتدخل الإنسان ولكن الغطاء النباتي الموجود له دوره بالمنطقة الذي يعتبر مرعى للثروة الحيوانية، ولكنه تأثر بالمنطقة كمًا ونوعًا حيث أزيلت الأشجار من أجل التوسع العمراني والنشاط الزراعي المروي فلم يتبقَ من نوعها إلا بعضها المتفرق في هوامش المشروع أو ما تحمله أسماء بعض القرى بنوع الأشجار التي كانت سائدة. ففي فترة ما قبل المشروع عام 1958م كانت الأشجار الغابية تتباين بتباين الظروف الطبيعية فهو امتداد للنظام البيئي المفتوح وتندرج الأشجار في نوعها وكثافتها وتتمثل في اللعوت *Acaia nubica* والهجليج *Balamite aegyptiaca* والسدر *spina-christi*

Acacia seyal والطلع وAcacia nilotica والسنت وAcacia mellifera والكتر Ziziphus حتى هذه الأشجار قد تمت إزالتها في المنطقة التي لم يشملها المشروع بواسطة السكان للزراعة المطرية (البلدات) وأُستخدمت أيضاً حطب للوقود. أما الحشائش فهي قصيرة تنمو في فصل الخريف لا تتجاوز فترة حياتها بضعة أشهر وأهم أنواعها السعدة Cyperus rountindus - النجيلة Cynodon dactylon - الربعة Pistia striotes. الدفرة Echinochloa catanom - التبر Pistia striotes. وتعتبر مصدراً أساسياً لغذاء الثروة الحيوانية الموجودة بالمنطقة.

خريطة (8) متوسط المطر من عام (1950-2009م) بمحلية المناقل



المصدر: الهيئة العامة للإرصاد الجوي، 2009م بتصريف الباحثة

دور البيئة البشرية في تطور مدينة المناقل:

تشمل عناصر البيئة البشرية لمدينة المناقل التي أسهمت في نشأة وتطور المدينة على الآتي:

1/ حجم السكان:

ليس من الصعب فهم الترابط الوثيق بين موارد الأرض وأنظمتها الطبيعية والسكان، فالناس يعتمدون في حياتهم على الغذاء والهواء والماء، في الأرض موارد طبيعية متنوعة لأنشطة الإنسان، وهذه الأنشطة تترك بدورها

أثرًا على الأرض ومواردها وأنظمتها الطبيعية وأن كثيرًا من الحضارات قامت وازدهرت لتوافر الموارد المهمة اللازمة. فعندما تزداد إمدادات الغذاء وترتفع معدلات النمو الاقتصادي ينمو حجم السكان وتزداد أعدادهم استجابة لذلك. ولكن أعداد السكان الكبيرة تتطلب استهلاك الموارد بكثافة مما يؤدي في النهاية إلى استنزافها فلا شك أن الطلب على الغذاء والطاقة والملبس وغيرها من الاحتياجات الضرورية يتزايد بتزايد أعداد السكان، علاوة على ذلك يؤدي ازدياد الثراء لدى الإنسان إلى زيادة الاستهلاك، فكلما ارتفع مستوى المعيشة ازداد استهلاك الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية الأخرى.

من الشكل (1) يتضح أن حجم سكان مدينة المناقل بلغ في تعداد 1973م (15.223) نسمة بينما في تعداد 1983م بلغ (36.090) نسمة وعام 1993م بلغ (65405) نسمة، بينما في تعداد (2008م) بلغ حجم السكان (99750) (25) نسمة، من أبرز ملامح التوزيع السكاني في مدينة المناقل التركيز السكاني لأنها تمثل المدينة الرئيسية، خلال عشر سنوات من عام 1973م - 1983م، زاد حجم السكان في عام 1983م أكثر من الضعف (58%)، بينما زاد حجم السكان من عام 1993م - 2008م 35% خلال خمسة عشر عامًا وهذا يوضح أن تشهد مدينة المناقل تحولاً ديموغرافياً كبيراً وبتزايد عدد سكانها، ففي عام 1973 هو بداية التطور الحقيقي الأول لمدينة المناقل؛ نسبة لما وفره مشروع المناقل من زيادة وتنوع في الإنتاج الزراعي والخدمي فساعد ذلك على استقطاب الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية؛ مما أدى إلى هجرة السكان بكثافة تجاه المدينة وتوفرت فرص استثمارية مجدية قادرة من راس المال المحلي، فشيدت المعامل والمصانع والمشاعل للقطاع العام والخاص، وأدى هذا الأمر إلى طلب مزيد من الأيدي العاملة الصناعية لهذا السبب توجهت نسبة كبيرة من القوى العاملة إلى المدينة للعمل في المصانع، ثم كانت مؤسسات التعليم العالي في المدينة سبباً آخر ساعد في جذب السكان إليها، كان لوجود هذه المؤسسات شكل عامل جذب العديد من السكان الذين يرغبون الإقامة فيها لتوظيف رؤوس أموالهم، وكذلك أدى إلى جذب الآلاف من السكان من الريف ما حولها إلى تلك المدينة بسبب العمل اليومي والتسوق.

شكل (1) تطور حجم سكان مدينة المناقل



المصدر: عمل الباحثة اعتماداً على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008م
 يمكن أن نحسب تطور حجم السكان بمدينة المناقل بحساب معدل
 الزيادة السكانية لعام 2008م على النحو التالي: $r = \frac{K^2 - K^1}{K^1}$ والناتج
 يقسم على الفرق بين التعدادين ويضرب $\times 100$ حيث (ر) هو معدل الزيادة
 السكانية و(K^2) عدد السكان بناءً على التعداد الحالي و(K^1) التعداد السابق
 ثم يقسم على عدد سنوات التعداد (K) ويضرب في (100) للحصول على النسبة
 المئوية للزيادة⁽²⁶⁾.

وبتطبيق المعادلة على سكان مدينة المناقل وفقاً لإحصاءات 1993م
 و2008م =

$$0.525 = \frac{65405 - 99750}{65405}$$

وبتطبيق الطرف الثاني للمعادلة بقسمة نتيجة المعادلة على عدد
 سنوات التعداد مضروبة في مائة تبلغ نسبة النمو السكاني 3.5% وهذه تشكل
 نسبة عالية تحتاج إلى تخطيط مستقبلي لحل مشكلة الخدمات التي تعاني
 منها المدينة الآن، هذا يوضح ارتفاع معدل الزيادة لسكان مدينة المناقل وفقاً
 لإحصاءات 1993م و2008م، بمعنى أن كل عام يزداد حجم سكان مدينة المناقل
 في كل عام (بقسمة الفرق بين تعدادين 34345 على 15 سنة) 2290 نسمة، وإذا
 حسبنا توقعات حجم سكان مدينة المناقل لعام 2022 يساوي 131810 نسمة.
 وأيضاً عند مقارنة حجم السكان لعام 2008م مع مساحة مدينة المناقل

180كلم² فإن الكثافة السكانية تبلغ 554 نسمة كلم².

يبلغ حجم سكان مدينة المناقل 11% من جمل سكان محلية المناقل (906216 نسمة) مدناً وريفاً على حسب تعداد (2008 م) بينما يبلغ حجم سكان مدينة المناقل 56% مقارنة بسكان المدن في محلية المناقل (177665 نسمة) (تعداد (2008 م) ويلاحظ الفرق الشاسع بين حجم سكان مدينة المناقل ومدن إقليمها ورغم جهود الدولة في عملية تنمية متوازنة بين المناطق الحضرية والريفية في إقليمها لتقليل الفجوة عن طريق إدخال الخدمات وتطوير الزراعة، اتضح من الدراسة الميدانية للباحثة عام 2011م أن سكان محلية المناقل تعتمد مصادر دخلهم على بيع المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ومنتجاتها وتشكل أعلى نسبة بالمنطقة 66% من جملة مصادر الدخل بالمنطقة بينما بلغت نسبة بيع المحاصيل الزراعية 53% من هذه النسبة، كما أن 50% من مستوى دخل الأفراد بالمحلية تحت خط الفقر بسبب تدهور مدخلات الإنتاج الزراعي في مشروع المناقل⁽²⁷⁾، نسبة لهذه المشاكل تشهد مدينة المناقل زيادة كبيرة في الحجم السكاني بسبب الهجرة خاصة من ريفها، لتركز الخدمات ومشاريع التنمية الاقتصادية فيها بالإضافة إلى عامل الزيادة الطبيعية، على الرغم أن المدينة لها الإمكانية أن تتوسع شرقاً وجنوباً تجاه هضبة المناقل خصماً على الأراضي الزراعية في القطاع المطري وهذا له تأثيرات كبيرة سلبية في المتغيرات التنموية الاقتصادية والاجتماعية بالمدينة؛ وإذا خطط تخطيطاً علمياً لهذه الزيادة، فإن لها ايجابياتها فأصبحت موقع لتصريف الخدمات والسلع التي تنتجها المدينة لسكانها ومدنها داخل إقليمها وخارجه، فتطورت وظيفتها ونمت المدينة بسبب ظهورها البشري وبسبب الهجرات لها من الأرياف وسكان الضواحي الذين يأتون إلى المدينة بشكل يومي أو دوري لشراء احتياجاتهم وأيضاً يشكلون مورداً للعمالة بالنسبة للمدينة يزودون المدينة بالأيدي العاملة الرخيصة خاصة في مجال الصناعة.

من الجدول (1) يتوزع هؤلاء السكان على (51) حيّاً: الأحياء القديمة الدسيس وود نفيح وعققي وكشكوش، تم تخطيط المدينة عمرانياً وتقسيم احيائها إلى مربعات ثم وتوسعت لاحقاً لتضم الاحياء (قرى تقع بالقرب منها) التالية: كوكيلا ورفاعة وحاج علي وودالمسلمي والكلاكلة ومبروكة ودار المقام ودار نايل والمنورة وعشم الله وود الشقل وطيبة وكرادي وأم طلحة.

جدول (1) توزيع سكان مدينة المناقل بالأحياء

اسم الحي	حجم السكان	اسم الحي	حجم السكان
النهضة 36 و48	2308	مربع 24	1070
حي ود نفيح	3218	السوق الصغير	204
حي المحافظ 37-38-42-41-40	4223	مربع 31	1099
مربعات 40 و41	1019	حي رفاة مربعات 90-91-92	2936
مربع 30	1082	26 الحي القديم حاج علي	927
مربع 28	1309	ود المسلمي	2576
مربع 27	2123	مربعات 34-50-49	4762
كوقيلا	1959	مربعات 87-35	1632
مربع 93 وابو رصاص	120	حي النصر	7092
حي الدسيس	1967	حي مبروكة	1500
مربعات 12-21-22	913	حي السلام	2500
مربع 29	782	حي دار المقام	1597
منطقة الصناعات	67	مربعات 51-52-56-55-45-53-60-59-62-61	6502
الوحدة مربعات 65-66-67	2395	عتقي الجعليين	2729
الكلاكلة مربعات 57-23-15	1852	رايح ود البحر	2068
السوق الكبير	84	عتقي الجابريين	2787
مربعات 21 والاشلاق	1308	دار نايل شما ل	3452
المصانع	234	دار نايل جنوب	2828
مربع 3	1280	حي المنورة عشم الله	516
مربع 4	768	ود الشقل شمال	1838
مربع 17-18	3677	ود الشقل جنوب	2053
مربعات 15-16	2724	طيبة ود الشقل	1188
مربعات 36-14	919	كرادي	712
مربعات 5	1666	أم طلحة شمال	1555
مربعات 25-33	1123	أم طلحة جنوب	3310
		أم طلحة وسط	1222

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

احتوت مدينة المناقل على العديد من الخلفيات الديموغرافية المختلفة، مما جعل المدينة تحتوي على تنوع اجتماعي، تضم معظم القبائل السودانية من شمال السودان ووسطه وغربه وشرقه وجنوبه من رفاة هم القواسمة العركيين والفرضيين والعبدلاب والفريجاب بالإضافة إلى قبائل البطاحين والبديرية والكواهلة والبعاشيم والحسنات والمسلمية والجعليين والفونج وكما تضم قبائل المسيرية والفور والتعايشة والشوايقة والدناقلة وغيرهم كما تضم مجموعة من قبائل غرب إفريقيا التي تتمثل في قبائل البرقو والتامة والفلاتة والهوسا وغيرهم، كما توافدت إليها مؤخرًا موجات جديدة من النازحين عام 1983م بسبب الحروب الأهلية من جنوب السودان وبسبب التصحر والجفاف من مناطق غرب النيل الأبيض ثم بسبب الحروب الأهلية عام 2003م من جنوب كردفان والنيل الأزرق ودارفور، وكذلك لتدهور الوضع الاقتصادي في السودان عامة فأصبحت جاذبة حتى لسكان الريف بإقليمها فالمنطقة تعتبر جاذبة منذ إنشاء المشروع في عام 1958م الذي أكسبها أهمية كبرى جعلتها من أهم مناطق الإنتاج في السودان ولقد شهدت المدينة حركة تجارية نشطة قتركت فيها الأنشطة الإنتاجية والخدمية بكثافة.

التوزيع الحجمي لسكان مدينة المناقل مع مدن إقليمها والمدن الكبرى على النيلين:

يتضح من الجدول (2) أن مدينة المناقل هي الأولى في الإقليم من حيث حجم السكان فهي المدينة التجارية والإدارية والصناعية بالنسبة لإقليمها بينما المناطق الحضرية الأخرى في إقليم المناقل التي تمثل مراكز إدارية وتجارية للوحدات الإدارية فهي: مدينة الهدى هي الثانية من حيث حجم السكان وتبعد عن مدينة المناقل 45 كلم في الجزء الشمالي الشرقي ثم يوجد أيضًا مدينة الكريمت تشكل المركز الثالث وتقع شمال مدينة المناقل على بعد 20 كلم، ثم مدينة العزازي في المرتبة الرابعة تبعد عن مدينة المناقل 50 كلم ثم تأتي مدينة ود النورة وتبعد عن مدينة المناقل 60 كلم، ومدينة قبوجة تبعد 70 كلم عن مدينة المناقل ثم مدينة 24 القرشي وتبعد عن مدينة المناقل 33 كلم، كذلك مدينة الشكينبية تمثل المركز الثامن وتبعد 10 كلم عن مدينة المناقل بينما مدينة سرحان في المرتبة التاسعة وتبعد عن مدينة المناقل 60 كلم. وتحتل مدينة الرخا المرتبة العاشرة تبعد عن مدينة المناقل 50 كلم، وأخيرًا مدينة معتوق التي تبعد عن المناقل 65 كلم، لا تخرج جميع المراكز الحضرية في

الإقليم عن دور الزراعة تماماً فمن الحقائق المسلم بها أن هذه المناطق في الأصل كانت قرى قديمة قبل المشروع تعتمد على الزراعة المطرية ولكن تطورت بها الزراعة بعد المشروع ثم أصبحت مراكز تجارية لتسويق المحاصيل الزراعية وبعضها أصبح مراكز إدارية وتسويقية تعتمد جميعها تجارياً على مدينة المناقل وبالإضافة إلى ذلك يشغل سكانها في الورش ومركبات النقل ويمكن أن تعتبر مراكز خدمات لريفها التابع لها، ماعدا وحدة ريفي المناقل تمثل مدينة المناقل هي المركز الرئيسي لها، لوقوعها في هضبة المناقل وصعوبة النقل والاتصال بين ريفها استحال وجود مركز إداري لها من مراكز العمران التابعة إليها مما جعل إنشاء مركزها في داخل مدينة المناقل أفضل، بسبب سهولة الوصول إلى مدينة المناقل التي تعتبر المنطقة الرئيسية تغذي سكان ريفي المناقل بالسلع والخدمات كما أن الكثير من قراها مربوطة بطرق نقل يومية وبعضها مربوطة بيومي السوق.

جدول (2) حجم سكان المدن بإقليم المناقل 2008 م

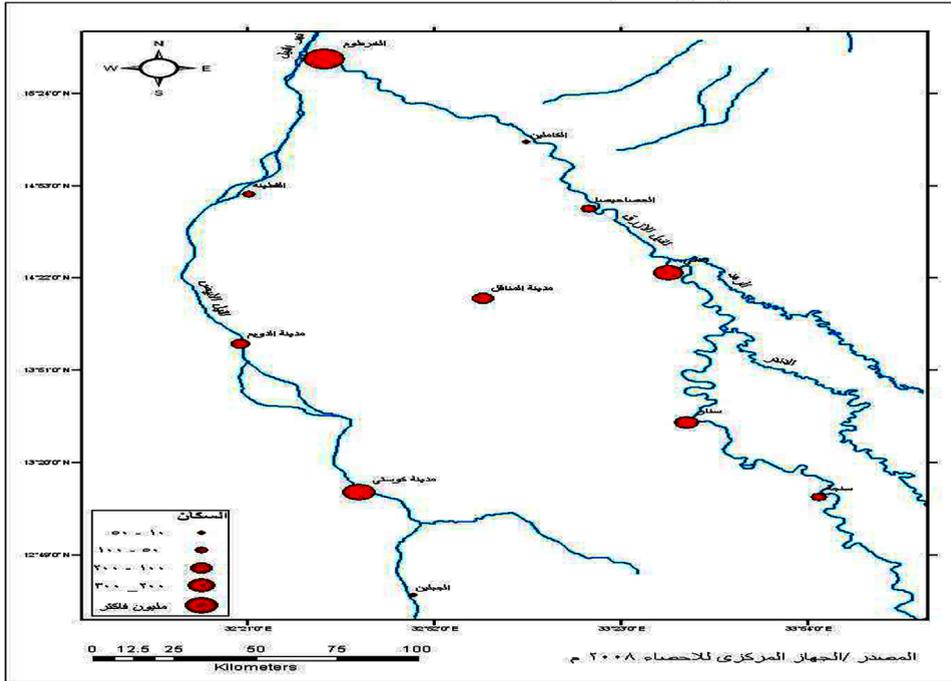
المرتبة	حجم السكان	المركز الحضري	المرتبة	حجم السكان	المركز الحضري
السابعة	6974	24 القرشي	الأولى	99757	المناقل
الثامنة	6650	الشكينية	الثانية	13038	الهدى
التاسعة	6508	سرحان	الثالثة	11702	الكريمت
العاشرة	2868	الرخا	الرابعة	10969	العزازي
الحادية عشرة	2269	معتوق	الخامسة	9915	ود النورة
			السادسة	7015	قبوجة

المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

أما بالنسبة لمقارنة حجم سكان مدينة المناقل بولاية الجزيرة على حسب (تعداد 2008م) فإنها تمثل المدينة الثانية بعد مدينة ود مدني (201038 نسمة)، والثالثة مدينة الحصاصي (47408 نسمة) والرابعة مدينة الكاملين

(17742 نسمة)، أما بالنسبة لمقارنة حجم سكان مدينة المناقل بمدن بالأقاليم التي تجاورها بصفة عامة التي تشكل مراكز تجارية وإدارية (ثلاث عشرة مدينة) أي المدن التي تقع على ضفتي النيل الأزرق والأبيض، انظر خريطة (9) فتوجد الأولى مدينة الخرطوم (1295047 نسمة) والثانية مدينة كوستي التي يبلغ عدد سكانها (213080 نسمة) والثالثة مدينة ود مدني (201038 نسمة) والرابعة مدينة ربك (123890) والخامسة سنار التي يبلغ حجم سكانها (123158) نسمة، بينما مدينة المناقل في المرتبة السادسة حجم سكانها (99775 نسمة) والسابعة الحاج عبد الله (85969 نسمة) والثامنة مدينة الدويم (73622 نسمة) والتاسعة مدينة سنجة (56058 نسمة) والعاشر مدينة الحصاصي (47408 نسمة)، والحادية عشرة القطينة (32169 نسمة)، والثانية عشرة مدينة الكاملين (17742 نسمة)، وأخيراً مدينة الجبلين التي يبلغ حجم سكانها (12703 نسمة)، فمدينة المناقل حجم سكانها كبير بالنسبة للولاية التي تقع فيها، والإقليمين المجاورين لها وهي تمثل مركز الوسط الذي لا تنافسها فيه مدينة، فهي تشكل أهمية من حيث الموقع وحجم السكان والحجم الاقتصادي بها.

خريطة رقم () حجم سكان مدينة المناقل من المدن المجاورة



عمل: الباحثة اعتماداً على الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

تطور الخدمات الاجتماعية بمنطقة الدراسة:

تعتبر الخدمات الاجتماعية بأنواعها المختلفة وأدوارها المتباينة من المرتكزات الأساسية في تطور المجتمعات الريفية والحضرية؛ ذلك لأنها تساعد في دعم القوى الكامنة في الإنسان للحصول على أفضل أداء لمساهمته الإيجابية في النهوض بالمجتمعات وبذلك تعد بمثابة نسق مكملة للعملية الإنتاجية. لقد ارتبط ازدهار مدينة المناقل بازدهار النمو الاقتصادي والنمو السكاني السريع التوسع في نشاطات القطاعات الخدمية سواء كان الحكومية أو الخاصة مثل التعليم والصحة والمياه والكهرباء والطرق والإسكان وغيرها للطلب الزائد عليها. تم إنشاء العديد من المؤسسات الخدمية بصورة واسعة في التسعينيات بمدينة المناقل وتتمثل في الآتي على حسب (تقرير محلية المناقل، 2015م)⁽²⁸⁾:

1 / الخدمات التعليمية:

انتشر التعليم بصورة واسعة في التسعينيات بمدينة المناقل تم إنشاء العديد من المؤسسات الخدمية بالمنطقة وتتمثل في مؤسسات التعليم قبل المدرسي (رياض أطفال) الذي بلغ عددها (66 روضة) والتعليم الأساسي (65 مدرسة) والتعليم الثانوي (10 مدارس) بالإضافة إلى التعليم الجامعي يتمثل في جامعة المناقل وكما يوجد فيها فرع لإدارة مركز جامعة السودان المفتوحة وكذلك تضم كلية التربية جامعة القرآن الكريم، وكلية الإنتاج الحيواني جامعة الجزيرة وأكاديمية العلوم الصحية.

2 / الخدمات الصحية:

قبل إنشاء المشروع 1958م لم تحظ المدينة بالخدمات الصحية وكان السكان قبل تلك الفترة علاجهم عن طريق العلاج الروحي على أيدي الشيوخ أو بالأعشاب البلدية، وبعد قيام المشروع وحتى نهاية السبعينيات أنشأت الخدمات الاجتماعية التابعة للمشروع، كالشفخانات ونقاط الغيار ومستشفى المناقل ثم في التسعينيات تطور مستشفى المناقل التعليمي وشمل جميع أنواع التخصصات، ثم تم إنشاء أربعة مراكز صحية وتم تطوير ثلاث شفخانات وبعض الوحدات العلاجية الصغيرة كما أنها تضم المؤسسات الصحية المتطورة مستوصفات وعيادات خارجية و(مدرسة القابلات) وتدريب المرضين ومركز بيطري وعدد من الصيدليات.

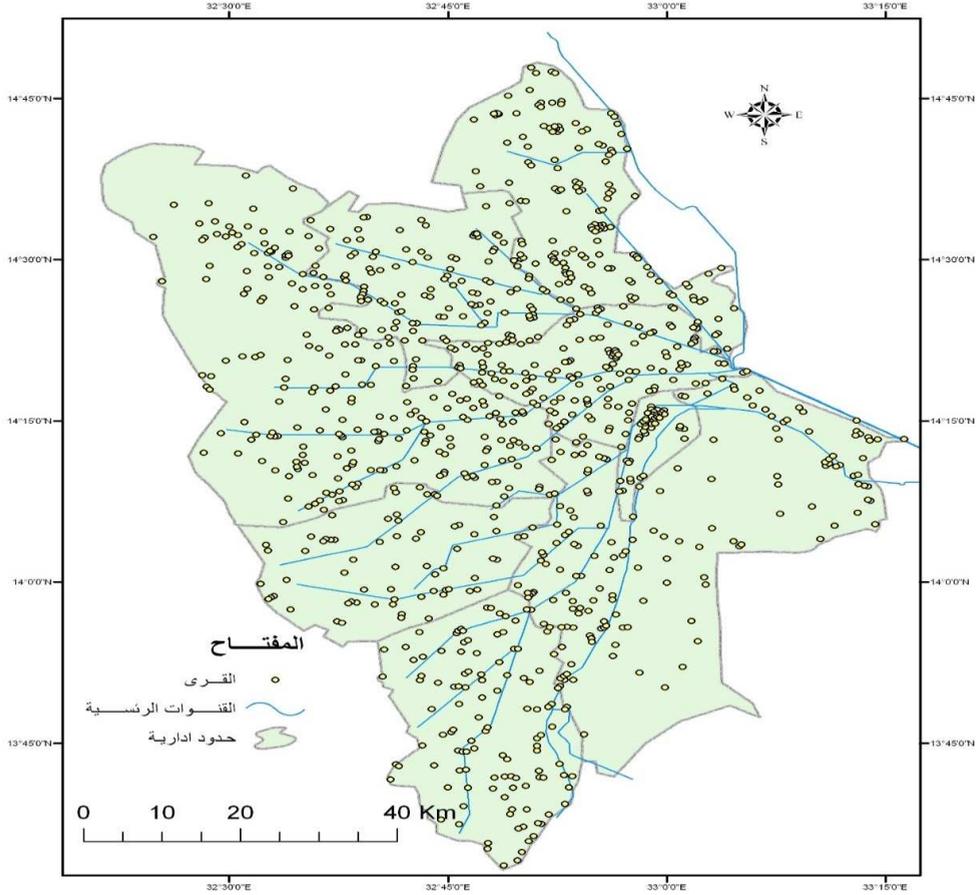
3 / خدمات النقل بمدينة المناقل:

تأثرت منطقة الدراسة أكثر بتأخر طرق مواصلاتها فقد أدت صعوبة المواصلات بينها وبين غيرها من الأقاليم الأخرى إلى شبه عزلة خاصة في فصل الخريف ولعل أهم أسباب ذلك يرتبط بظروف فصل الخريف في المنطقة والتربة الطينية وانعدام الطرق المسفلتة داخل إقليمها، وتتمثل الطرق الترابية الرئيسية التي تربط مدينة المناقل بالمدن الريفية داخل حدود إقليمها في قنوات الري التي تعتبر شرايين النقل الرئيسية التي تربط القرى بعضها مع بعض والمراكز الإدارية والتجارية خارج حدود الإقليم مع مدينة المناقل، انظر خريطة(10)،

تقع مدينة المناقل في وسط ولاية الجزيرة التي تتوسط المنطقة المأهولة بالسكان في السودان، ولهذا فإن الطرق المسفلتة التي تربط شرق السودان بغربه ترتبط بها مدينة المناقل عبر مدينة ود مدني (62 كلم)، يخرج الطريق المسفلت من شرق مدينة المناقل تجاه مدينة مدني ثم يربط كل من مدينة سنار والعاصمة القومية والقضارف كسلا وبورتسودان وطريق غرب مدينة المناقل يربطها بمدينة القرشي (33كلم) والدويم (65 كلم) ثم يربط كل من مدينة ربك وكوستي والأبيض، لا يمر الخط الحديدي المتجه نحو غرب السودان وجنوبه عبر المناقل. كما لا يوجد فيها مطار دولي، وأقرب مطار إليها هو مطار ود مدني.

تساهم وسائل النقل بصورة فعالة في نقل الإنتاج والبضائع والركاب من القرى إلى الأسواق الدورية مربوطة بطرق ترابية في كل منطقة الدراسة، فجميع المحلات العمرانية بكل وحدة إدارية لها وسائل نقل يومية خاصة في يوم السوق الذي يعتبر قمة الازدحام بالعربات والزوار من الساعة السابعة صباحاً إلى الثالثة مساءً، بالإضافة إلى أن مدينة المناقل مربوطة بطرق نقل ترابية مع المدن المجاورة في النيل الأبيض والأزرق تتمثل في طريق المناقل ود مدني وطريق المناقل الحصاحيصا وسنار والحاج عبدالله، القطينة، وطابت، والحوش، وود رعية وغيرها مما أدى إلى اتساع إقليمها خارج المحلية، من الطبيعي أن يرافق حركة النقل التنمية التي حدثت بالمنطقة عقب مشروع المناقل لتصريف الإنتاج والسلع بين المناطق مهما كان نوع الطرق مسفلت أم ترابية نسبة لكثافة السكان والاستقرار وظهور مراكز تجارية وإدارية لتسهيل الاتصال بين أجزاء الإقليم والحصول علي الخدمات.

خريطة (10) ارتباط مراكز العمران بقنوات الري بمنطقة الدراسة



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على بيانات الجهاز المركزي للإحصاء 2008م

4 / خدمات المياه والكهرباء:

خدمات المياه والكهرباء من الخدمات المهمة التي أولت الجهات الإدارية الاهتمام بها بقصد توفير الماء الصالح للشرب لوقاية السكان من خطر الاعتماد على المياه الملوثة من قنوات الري التي تتسبب في انتشار أمراض المياه، كما يجب توفيرها لكل مسكن وأن يطابق تشغيل محطة المياه وشبكة المواسير والخزانات للمواصفات الفنية كما يجب التأكد من وجود مورد مائي كافٍ يقابل احتياجات السكان من إحتياجات منزلية أوخدمات أوصناعة، فيوجد بمدينة المناقل (12) بئرًا ارتوازيًا لا تلبى حاجة السكان المنزلية والصناعية بسبب الزيادة السكانية والتطور الاقتصادي بالمنطقة.

أما بالنسبة لخدمات الكهرباء بالمدينة هي أساس التنمية للاستفادة منها في كل المجالات التنموية المختلفة ووحدة مدينة المناقل جميعها منارة من الشبكة القومية للكهرباء.

5 / الخدمات الإدارية:

الخدمات الإدارية من الخدمات المهمة التي تساعد السكان في الإشراف والتنسيق والمتابعة لمشاريع التنمية المختلفة بالمنطقة، تتركز جميعها في رئاسة المحلية بمدينة المناقل حيث توجد بها مكاتب رئاسة المحلية ومكاتب الشرطة ومكتب المياه ومكتب الرعاية الاجتماعية ومكتب تعليم الأساس وتعليم الثانوي وتعليم ما قبل المدرسي ومكتب الخدمات الصحية ومكتب الخدمات الثقافية، بالإضافة إلى ذلك تضم رئاسة كل إدارات مؤسسات القطاع الخاص.

6 / الخدمات الأمنية:

كانت الخدمات الأمنية قبل المشروع 1958م تديرها الإدارة الأهلية ممثلة في شيخ القرية الذي يعتبر السلطة العليا، ولكن بعد إنشاء المراكز الأمنية بواسطة الحكومة المركزية تضاءل دورها وحتى الآن لا تزال لها دور في حل المشكلات الاجتماعية البسيطة على مستوى المناطق الريفية، بعد قيام المشروع تم إنشاء المراكز الأمنية بواسطة الحكومة المركزية لفض النزاعات وحفظ الأمن؛ لأن المنطقة أصبح بها عدد كبير من القبائل المختلفة، فأنشئت المراكز الأمنية الكبرى في مدينة المناقل متمثلة في رئاسة الشرطة بأنواعها المختلفة والسجن الكبير والمحاكم العليا.

7 / خدمات الاتصال:

بدأت خدمات الاتصال في أماكن القناطر الزراعية لخدمة مواطن المنطقة ولكن بمرور الزمن وعدم الإهتمام بها وقلّة الصيانة والمراقبة تقلص دورها أصبحت الآن لا تؤدي دوراً. وفي عام 1999م أدخلت كباينات الاتصال في جميع مراكز الإقليم فارتبطت بشبكة اتصالات الهاتف الثابت والمحمول، فأدخلت الهواتف في المؤسسات الحكومية والتجارية لخدمة عامة السكان ويسرت عملية الاتصال بصورة واضحة الحركة التجارية والصناعية بمدينة المناقل كما توجد فيها خدمات الإنترنت.

8 / الخدمات الثقافية والترفيهية:

لا تجد هذه الخدمات الاهتمام الكافي من قبل المحلية الشيء الذي انعكس على الدور المناط بها ويتمثل وجودها في المدينة في أندية كرة القدم، هناك عدد من الأندية والفرق الرياضية منها النادي الأهلي ونادي الهلال المناقل ونادي المريخ المناقل ونادي الموردة المناقل ونادي الزهرة وفريق النيل الرياضي وفريق السلام الرياضي ونادي اتحاد كوكيلا وفريق حي ود نفيق وفريق الأندلس وفريق عتقي، فضلاً عن وجود المدارس فإن نشاطها الثقافي محدود في إطارها لا يتعدى سكان المدينة فإنه لا تصل رسائله الثقافية للمجتمع المحلي بالإضافة إلى وجود بعض الملاعب الرياضية البسيطة في الأحياء. أما بالنسبة للخدمات الترفيهية لا توجد منتزهات عامة بمدينة المناقل إلا منتزهًا واحدًا ظهر نتيجة لتطورها العمراني والسكاني بالإضافة إلى وجود سينما واحدة، كما لا توجد بالمنطقة المسارح نسبة إلى العادات والتقاليد المحافظة.

9 / الخدمات المصرفية:

نسبة لانتعاش المنطقة تجاريًا وصناعيًا توجد بالمدينة بعض فروع المصارف منها : البنك السوداني الفرنسي وبنك المزارع وبنك التنمية التعاوني الإسلامي والبنك الإسلامي السوداني والبنك الزراعي السوداني وبنك النيلين وبنك الخرطوم.

10 : خدمات أخرى:

يوجد بمدينة المناقل عدد من المساجد والزوايا وعدد من محطات الوقود في كثير من الأحيان على الطرق العابرة إلى مراكز الوحدات الإدارية التي بلغ عددها إحدى عشرة محطة وقود.

النشاط الاقتصادي:

كان النشاط الاقتصادي لسكان المنطقة قبل قيام مشروع امتداد المناقل الزراعي يتركز على الزراعة المطرية في فصل الخريف وتربية المواشي ثم تنوع النشاط بعد قيام المشروع ليشمل الزراعة المروية والتجارة والصناعة المرتبطة بالمنتجات الزراعية. وتعتبر مدينة المناقل من المناطق الرئيسية لمدّ العاصمة الخرطوم بالحبوب. ويمكن أن نشير إلى ملامح عامة للنشاط الاقتصادي بإقليم المناقل وما تستفيد منه المدينة في اقتصادها كمايلي:

1 / الإنتاج الزراعي بإقليم المناقل:

تمارس حرفة الزراعة بإقليم المناقل بنمطين من حيث الري، زراعة بالري المروي من خزان سنار متمثلة في مشروع المناقل وأخرى بالقطاع المطري في المناطق التي لم يغطيها المشروع انظر خريطة (11). ويمكن تناولها على النحو التالي:

أ/ الزراعة في القطاع المروي:

يعتبر القطاع الزراعي المروي في السودان من القطاعات الرائدة التي تسهم بصورة مباشرة وغير مباشرة في دفع عملية التنمية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي. يعتبر مشروع المناقل من مشاريع القطاع المروي الذي يساهم في الاقتصاد السوداني، وإستيعاب المزيد من العمالة الزراعية المحلية والوافدة واستقرار الآلاف من المزارعين وأسرهم. إذ تبلغ مساحة المشروع 1.014.015 / فداناً⁽²⁹⁾ وأن نظام الزراعة بالري الصناعي الانسيابي جعل لاستخدام الأرض طابعاً خاصاً يختلف عن الاستخدامات الأخرى من رعي وزراعة مطرية. تبلغ مساحة الحواشة في مشروع المناقل (15 فداناً) وتغيرت دورته الزراعية مراراً من ثلاثية إلى رباعية وأخيراً خماسية. وتنوعت المحاصيل الزراعية تبعاً لذلك وتركت حرية اختيار المحاصيل للمزارع من قطن وفول وقمح وذرة وخضروات وفاكهة وغيرها من المحاصيل الزراعية التي يمكن أن يزرعها في الموسم الزراعي على حسب المساحة التي يستطيع أن يزرعها.

ب / الزراعة في القطاع المطري:

بدأ تاريخ الزراعة بالمنطقة قبل إنشاء المشروع، بدأت الزراعة بدائية تعرف بالبلدات، وتعتمد على الري المطري في فصل الصيف تهدف إلى الاكتفاء الذاتي، ولكن إذا نظرنا إلى خريطة أنماط الزراعة خريطة (11) ما زالت الزراعة مستمرة بالمنطقة في الجزء الجنوبي الشرقي أي تغطي معظم وحدة ريفي المناقل؛ نسبة لوجود هضبة المناقل التي يبلغ ارتفاعها أكثر من 400 متر، هذا الارتفاع أعلى من منسوب مياه الري مما استحالت زراعتها بالري الصناعي، إذ إن الدراسات ما زالت جارية في كيفية ريهها عن طريق الري الصناعي بالطلنات أو الري الانسيابي لأنها تربة خصبة تركيبتها مثل تربة الجزيرة، تبلغ مساحة هذه الهضبة أكثر من 300 ألف فدان، وهذه المساحة تعول عدداً كبيراً من الأفراد التي تنتشر في قراها انظر خريطة (11)، والمساحة للفرد

تسمى جدعة (مساحتها حوالي خمسة «أفدنة») وتحدد عن طريق الترس وتزرع محصول الذرة «الفتريّة» كما تزرع بمحصول السمسم. وأيضاً تزرع الهوامش الشمالية والغربية التي لا يغطيها مشروع المناقل تمارس الزراعة المطرية.

ج / تربية الحيوان:

تعتبر حرفة الرعي الحرفة الرئيسية لمعظم سكان المنطقة إلى جانب حرفة الزراعة لأن البيئة الموجودة تناسب النمطين فلا تخلو أي أسرة من ثروة حيوانية في مناطق الزراعة المطرية والمروية على الرغم من أن الدورة الخماسية بالمناطق المروية قللت من الأراضي البور التي تمثل مراعي طبيعية في موسم الأمطار. ولكن من ناحية أخرى فإن الزراعة تعطي كما أخذت إذ إنها تترك بقايا المحاصيل مرعى طيباً للثروة الحيوانية.

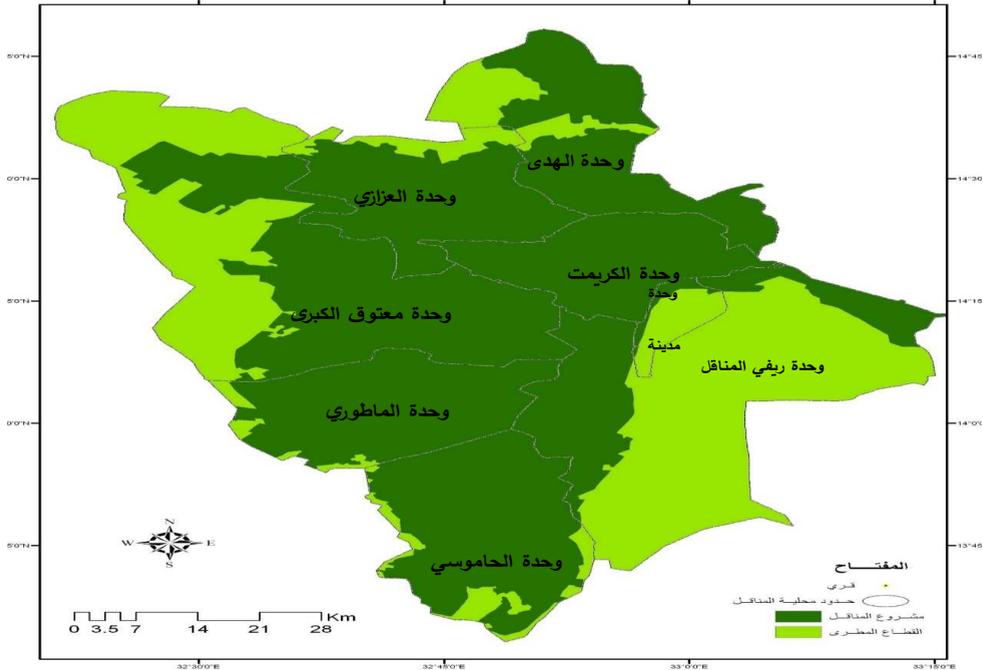
يتضح من السجل الإيرادي لأسواق محلية المناقل (2009م)⁽³⁰⁾ أن الثروة الحيوانية لها دور في أسواق المنطقة نسبة لوجود ثروة حيوانية كبيرة بالمنطقة نتيجة لتوافر الغذاء من بقايا المحاصيل الزراعية بعد الحصاد وتوافر الأعلاف بالمنطقة، كما أن موقع إقليم المناقل على المناطق التي تجاوره شمالاً وغرباً والجزء الجنوب الشرقي تعتمد على الزراعة المطرية مما جعل حركة الرعاة تجاهها في موسم الأمطار؛ نسبة لوجود الزراعة المروية التي أصبحت تزرع بها محاصيل متنوعة في جميع المساحات الزراعية بنظام الدورة الخماسية، لم تترك مجالاً فسيحاً لحركة الرعاة مما جعل حركة الرعاة في موسم الزراعة المروية يتجهون صوب محلية القطينة في الشمال والغرب ومحلية الجبلين وسنار في الجنوب، بالإضافة إلى الهوامش الشمالية والغربية التي لم يغطيها مشروع المناقل، بالإضافة إلى وحدة ريفي المناقل التي يقع معظمها في القطاع المطري أ، فأصبحت هذه تمثل مراعي طبيعية للثروة الحيوانية بالمنطقة، يتضح من الجدول (3) حجم الثروة الحيوانية الكبير بالمنطقة، وهي تساهم بقدر كبير في تغذية الأسواق بكل منتجاتها وكذلك تغذي أسواقاً خارج إقليم المناقل للمحليات المجاورة وأن هذه الأرقام ليست هي الأرقام الكلية للثروة نسبة لحركة الرعاة تجاه النيل الأبيض والأزرق وكذلك حركتهم في موسم التحصيل خوفاً من دفع رسوم القطعان. فالإنجاج الزراعي بشقية النباتي والحيواني أوجد حركة تجارية نشطة بمدينة المناقل لوقوعها في منطقة زراعية واسعة.

جدول (3) الثروة الحيوانية بمنطقة الدراسة

اسم الوحدة	عدد الأبقار	عدد الضأن	الماعز	الجمال
العزازي	20000	20000	25000	-
الجاموسي	25000	20000	20000	10000
الماطوري	16000	18000	28000	-
الهدى	20000	12000	9000	-
الكريمت	18000	8000	9000	-
ريفى المناقل	12000	25000	600	-
معتوق	25000	20000	30000	5000
المجموع	136000	123000	101600	15000

المصدر: محلية المناقل 2009م

خطة (11) أنماط الزراعة بمنطقة الدراسة



المصدر: عمل الباحثة اعتمادًا على data FAO 2002 <http://srtm.csi.org>

cg iar.org والجهاز المركزي للإحصاء 2008م

2/ النشاط التجاري بمدينة المناقل:

توجد حركة تجارية نشطة محلية المناقل لوقوعها في منطقة زراعية واسعة، فمدينة المناقل التي تمثل المنطقة المركزية الرئيسية لإقليمها ونفوذ خدماتها يغطي كل إقليم المناقل وخارج حدودها الإدارية، فهي تمثل مركز الثقل الوظيفي إذ إنها تعكس الأهمية المركزية الجغرافية في إقليمها ولا شك أن مدينة المناقل بمثابة القلب لهذا الظهير، وقد أخذت هذا المكان انطلاقاً من تسهيلات النقل والمواصلات للوصول إلى المدينة، كما أن مدينة المناقل نمت في مناطق تماس الفضاء من ناحية الجنوب والشرق تجاه مناطق القطاع المطري ووفرت مساحات واسعة للسكن للحجم السكاني الكبير الذي كان له أثر الكبير في تنوع الوظائف التجارية والصناعية مما جعل فيها سوقاً واسعاً ومتخصصاً لتبادل السلع والخدمات الوظائف والخدمات التي تؤديها المدينة من خلال العديد من المؤسسات والمنشآت المتنوعة سواء الصناعية والتجارية والإدارية والتعليمية والصحية.

فالعمل الزراعي في واقع الحال عبارة عن مجموعة أنشطة متكاملة ومترامية تبدأ بالإنتاج ومؤثراته ثم التسويق ثم انتهاء بالاستهلاك والأنماط الاستهلاكية المختلفة، فالاهتمام بالتسويق الزراعي هو نجاح العملية الزراعية، فالمنطقة تتعدد بها الأسواق الدورية منذ قيام مشروع المناقل (1958م)، كان قبله التسويق ضئيلاً يتركز في مدينة المناقل التي كانت عاصمة الإقليم منذ الاستعمار، فهي تمثل مركزاً تسويقياً صغيراً للمحاصيل الزراعية المطرية وبعض السلع الاستهلاكية الضرورية التي يتم التبادل التجاري بها عن طريق الدواب (الجمال، والحمير) ثم ترجع محملة بالسلع الاستهلاكية الضرورية اليومية لتوزيعها بالقرى.

سوق مدينة المناقل بعد قيام مشروع المناقل تطور تطوراً سريعاً منذ السبعينيات ويعتبر من أكبر الأسواق في المنطقة بها سوق (السوق الكبير+ السوق الصغير) متخصص يجذب العديد من المستفيدين من خارج حدودها، بالإضافة إلى ذلك حدد لها يوم الأحد والأربعاء سوق رسمي يتجمع فيه العديد من سكان المنطقة وخارج المنطقة سواء كانوا عارضين أو طالبين. يوجد فيها سوق الحبوب الزراعية (سوق الذرة وسوق القمح وكذلك سوق الفول السوداني) كما يوجد بهاسوق الخضر والفاكهة وموردة البصل (الملجة) كما توجد بها أسواق متخصصة في بيع منتجات الثروة الحيوانية (سوق الدواجن

سوق الجلود وسوق اللبن بالإضافة لبيع الحيوانات والأبقار والضأن والماعز والدواب)، يوجد بالمدينة عدد (2851 دكاناً) ثابت جملة وقطاعي لبيع السلع الاستهلاكية الغذائية. والملابس والأثاث والأواني المنزلية والذهب وغيرها. هنالك بالمدينة محلات مخصصة لبيع اللحوم يسمى بالجزارات. يوجد في سوق مدينة المناقل (35) جزارة كما أنه السوق الوحيد بالمنطقة الذي توجد به مكاتب استيراد وتصدير من الخارج عدد (3) وبها الكوندات عدد (2)، وسينما، ومحلات التوكيلات والترحيلات عدد (8) والمطاعم السياحية ومحلات الباسطة عدد (4) والمركبات السياحية عدد (75) مركبة التي تربطها بود مدني والعاصمة القومية، ودلالة العربات عددها (8) وكوافير السيدات عددها (3) ومحلات السوبرماركت عددها (39)، كما توجد بها محلات الحدادة والنجارة والمغالق والورش ومحلات الأثاث المنزلية والأواني وبيع العطور وصيانة الأجهزة الكهربائية والاستديوهات والاتصالات ومراكز الغاز والاسبيرات وبيع العجلات والبطوكيات والملبوسات والمجوهرات وغيرها من السلع التي تزخر بها دكالكين البيع القطاعي⁽³¹⁾.

نشاط الصناعة بمدينة المناقل:

التربة الخصبة والمراعي والإنتاج الزراعي والحيواني والتخصص السلمي والخدمي والتغلغل بين المدن وطرق النقل الترابية التي تربط كل المنطقة وتوافر الأيدي العاملة الرخيصة بالإضافة إلى ربط التيار الكهربائي في كافة إقليم المناقل منذ تاريخ 2011م أدى إلى تأمين احتياجات سكان إقليم مدينة المناقل من المواد الغذائية وساعد على قيام العديد من الصناعات الخفيفة والصغيرة، ولعل أهم ما تقدمه هذه المدينة في المجال الصناعي لخدمة المنطقة هو مد جسور التعاون والاتصال مع المعاهد والكليات والجامعة لتبادل المعارف، والاستفادة من الخبرات التي تدرس بمركز التدريب على الصناعة، مما يترتب عليه قيام علاقات اجتماعية جديدة، إضافة إلى دورها قي رفع القدرة الشرائية في المنطقة وكذلك قيام حركة عمل يومية بين الموقع والمناطق المجاورة، فإن التوسع في المواقع الصناعية الجديدة ترتب عليه تغيير في بنية القوى العاملة المهنية للسكان من رعي وزراعة وخدمات إلى صناعة. كما ترتب عليها آثار اجتماعية تتعلق بإمكانية الخدمات الاجتماعية الأساسية التي تحتاجها الصناعة في المنطقة، كالخدمات الصحية والثقافية والماء والكهرباء

والوضع الاجتماعي في المنطقة، أي إيقاف الهجرة السكانية منها بسبب خلق فرص العمل.

وعلى حسب التقرير الصناعي لوزارة الصناعة (2016م)⁽³²⁾ توجد مجموعة المنشآت الصناعية الكبيرة العاملة في مدينة المناقل ويمكن أن نناقشها كما يلي:

(أ) التصنيع مبني على الإنتاج الزراعي:

توجد بمدينة المناقل المصانع الكبيرة للصناعات الخفيفة يتمثل هذا النمط بصورة أكبر في الصناعات الغذائية التي يبلغ عددها (27) مصنعاً لصناعة الأغذية والمشروبات ومرده إلى النمو السكاني المطرد وتغير النمط الاستهلاكي، فالصناعات الغذائية هي حلقة الوصل وعجلة التوازن بين السياسات القومية للتنمية الزراعية والصناعية. وتكمن أهمية التصنيع الغذائي في مدينة المناقل لتشجيع التوسع الأفقي والرأسي في الإنتاج الزراعي في مشروع المناقل وهذا يحقق الأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي ويخلق فرص عمل جديدة بالمدينة، تتوزع أنواع هذه الصناعات الغذائية إلى: عدد (3) مطاحن حبوب ويعتبر هذا القطاع أحد أهم قطاعات الصناعات الغذائية الرئيسية زاد عدد مطاحن الحبوب بالمدينة بسبب إدخال القمح في الدورة الزراعية بمشروع المناقل وكما توفر القمح من مشروع المناقل يساهم في تغطية إحتياجات الطلب المحلي المتنامي من الدقيق، مشاكل قلة الدقيق التي انتشرت في كافة السودان ويعزى ذلك بصورة أساسية إلى مشاكل تمويل القمح بالمنطقة، حيث أصبح تمويل توريد القمح لأي مطحن هو الهم الأكبر لإدارة المطحن، كما يوجد مصنع واحد لمعاصر الزيوت، وعدد (3) مخابز آلية كبيرة، عدد (3) مصانع للبسكويت وعدد (8) مصانع للطحينة والحلويات وعدد (3) مصانع للمواد الغذائية وعدد (6) مصانع للشعيرية والسكسكانية، ومصنع واحد للثلج، كما يوجد مصنع للعلف الحيواني.

ومن المصانع الكبيرة التي لا توجد مادتها الخام من الإنتاج الزراعي المحلي يتمثل في: عدد (2) مصنع لصناعة الخشب، وعدد (1) مصنع لصناعة المواد والمنتجات الكيماوية (صابون) وعدد (1) مصنع لصناعة منتجات المطاط واللدائن فهي صناعة الأحذية الإسفنجية والبلاستيكية.

أما صناعة الأغذية التي تصنع في مجموعة المنشآت الصغيرة: منها (34) طاحونة لطحن الحبوب بالإضافة إلى (18) مصنعاً صغيراً لمعاصر الزيوت عن طريق الوابورات الكهربائية الصغيرة و(15) مصنعاً للصناعات الغذائية (الطويات والنشويات). بالإضافة إلى ذلك هنالك مجموعة المنشآت الصغيرة التي لا توجد مادتها الخام من الإنتاج الزراعي المحلي تتمثل في: عدد (16) مصنعاً لصناعة الخشب وعدد (36) مصنعاً لتشكيل المعادن وورش وحدادة وعدد (9) مصانع لصناعة الأثاث.

أما التصنيع الحيواني بأسواق محلية المناقل مصانع صغيرة لصناعة الجبنة البلدية فيوجد في سوق العزازي (5) مصانع جبنة وفي أسواق وحدة الجاموسي (20) مصنع جبنة وفي أسواق وحدة الماطوري (17) مصنعاً وفي سوق الهدي (5) مصانع وفي أسواق معتوق (25) مصنعاً للجبنة وكذلك يوجد في أسواق ريفي المناقل (23) مصنعاً، هذا يوضح خلو مدينة المناقل من التصنيع المبني على الإنتاج الحيواني سواء كان في مجموعة المنشآت الكبيرة أو الصغيرة على الرغم من أن المنطقة تزخر بأعداد كبيرة من الثروة الحيوانية كما ذكر آنفاً، مما يؤكد ضعف البيئة الاقتصادية المؤاتية للاستثمار في مجال التصنيع الحيواني بالمدينة، وهذا يفسح مجالاً كبيراً للاستثمار في صناعة اللحوم والألبان ودبغ الجلود وصناعة الأحذية والشنط الجلدية وغيرها، مما يوفر فرص عمل إضافية وكذلك يسهم في نهضة مدينة المناقل وتطورها.

الخاتمة:

مرت مدينة المناقل بفترات تاريخية قديمة منذ تاريخ الحضارة النوبية ثم مملكة الفونج إلى تاريخ السودان الحديث هي الأساس في نشأة مدينة المناقل ثم تطورت بسبب الإمكانيات الطبيعية من تربة خصبة وموارد مائية وانعدام العوائق الطبيعية بالإضافة إلى ذلك قيام مشروع المناقل 1958م الزراعي أسهم إسهاماً كبيراً في نهضة المدينة عمرانياً واقتصادياً وخدمياً وهذه العوامل مجتمعة حددت أهمية مدينة المناقل فأصبحت من مراكز الاستقطاب الحضري فجذبت السكان من إقليم المناقل ومن جميع مناطق السودان وغرب إفريقيا.

النتائج:

توصل البحث إلى النتائج التالية:

1. شهدت مدينة المناقل نهضة حضارية منذ تاريخ السودان القديم مرده، لعوامل البيئة الطبيعية والحضارية الملائمة في المنطقة، كما لعبت مدينة المناقل في عهد الفونج دورًا إداريًا وسياسيًا كبيرًا فاسم المناقل في هذه الفترة جاء من كلمة (مناجل) وهو جمع يرمز إلى أهل السلطة هم الأنجل في دولة الفونج ثم تأثرت بالموجات العربية واستقرت فيها القبائل العربية ورجال الطرق الصوفية فانشأوا فيها أحياء ذات صبغة دينية فهي تضم أقطاب ورموز الصوفية في السودان.
2. للعوامل الطبيعية دور كبير في جذب مراكز العمران من تربة ومياه ومناخ والسطح التي وفرت المرعى والزراعة والسكن التي هي بدورها أسهمت في نشأة وتطور مدينة المناقل عمرانيًا وسكانيًا منذ القدم.
3. لعب مشروع المناقل دورًا واضحًا في تطور الوضع الاقتصادي والاجتماعي بمدينة المناقل من تطور في النوع والكم للخدمات الاجتماعية ثم تطور الإنتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني أدى إلى انتشار التصنيع الزراعي بكثافة في مدينة المناقل.
4. تطور حجم سكن مدينة المناقل بسبب العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية الجاذبة في مدينة المناقل مما أدى إلى اتساع المدينة وضم الريف الذي يقع بالقرب منها كأحياء تابعة للمدينة.

التوصيات:

يوصي البحث بالآتي:

1. لا بد من سفلتة الشوارع الرئيسية التي تربط المدن الريفية مع بعضها البعض ومع مدينة المناقل لتكون أكثر تكاملاً تجاريًا فيما بينها وبين المراكز العمرانية والإنتاج الزراعي بالمنطقة وهذا يسهم في حل مشكلة النقل قى موسم الخريف وتنشط الحركة التجارية في هذه الفترة ويحد من هجرة سكان إقليم المناقل اتجاه مدينة المناقل.

2. لا بد من فتح باب الاستثمار الزراعي بشقيه النباتي والحيواني بالمنطقة لحل مشكلات الزراعة مما يسهم في زيادة الإنتاج وبدوره ينعكس على التطور الاقتصادي والاجتماعي بمدينة المناقل ويزيد من دخل السكان ونشاط الحركة التجارية بالمنطقة عامة. ويحد من هجرة سكان إقليم المناقل تجاه مدينة المناقل وخارج الإقليم.
3. التخطيط للصناعات المعتمدة على الإنتاج الحيواني بالمدينة وهذا يخلق وظائف جديدة للسكان و ينعكس على تطور مدينة المناقل والمنطقة عامة.
4. تشجيع الاستثمار في قطاع الصناعات الغذائية يمثل هدفاً استراتيجياً للدولة عامة ولمدينة المناقل خاصة باعتباره الأداة الفاعلة لتحقيق الأمن الغذائي وترسيخ دعائم السلام والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.
5. الاهتمام بتوافر البنيات الأساسية بمدينة المناقل خاصة في مجال الصناعة مثل الطاقة الكهربائية والمياه والطرق والدفاع المدني والأمن والصرف الصحي وغيرها، مما يؤدي إلى ارتفاع تكلفة الوحدات المنتجة وبالتالي إضعاف القدرة التنافسية لها أمام المستورد.

الهوامش:

- (1) عبد الفتاح محمد وهيبة: في جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص 40.
- (2) رشوان حسن عبد الحميد: المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية الطبعة الخامسة، 1989، ص 82.
- (3) أحمد البدوي محمد الشريعي: دراسات في جغرافية العمران دراسة تطبيقية على منطقة عسير بالملكة العربية السعودية، دار الفكر العربي، القاهرة مدينة نصر 1995م، ص 24.
- (4) يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450-1821م، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 2002، ص 24.
- (5) تاج السر عثمان الحاج : لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعي 1504-1821 م، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة ادمرمان الاهلية، 2004م، ص 151.
- (6) محمد النور ابن ضيف الله: كتاب الطبقات، تحقيق الشيخ إبراهيم أحمد صديق، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 2009م، ص 32 - 232.
- (7) مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية. تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل، مكتبة السكري، القاهرة، 1961م، ص 41-72.
- (8) عباس صالح موسى: الإدارة العامة في السودان، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، 2005م، أم درمان ص 118.
- (9) د.وق: (ب.ت): وثيقة مهدية 1/42/6 حدود العمالات المدنية الوسطى لدولة المهديّة، الدار السودانية للوثائق، الخرطوم.
- (10) عباس صالح موسى: 2005، مرجع سابق، ص 119.
- (11) محلية المناقل: التقرير الإحصائي لوحدة مدينة المناقل، المناقل، 2015 م.
- (12) محلية المناقل: 2015م، المرجع نفسه.
- (13) إدارة مشروع الجزيرة، 1966: مجلس إدارة الجزيرة، مشروع الجزيرة بين الأمس واليوم، بركات، ود مدني، 1966، ص 13.
- (14) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي: السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، القاهرة، 1966، ص 26.
- (15) صلاح الدين علي الشامي: السودان دراسة جغرافية منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972م، ص 124.

- (16) إدارة مشروع الجزيرة، : تقرير عن تكوينات الجزيرة، بركات، ود مدني، 1995م، ص 21.
- (17) الهيئة العامة لمصلحة الجيولوجيا: الخريطة الجيولوجية للسودان، الخرطوم، 2009م.
- (18) إدارة مشروع الجزيرة: 1966م، مرجع سابق، ص 13. 32،
- (19) محمد محمود الصياد ومحمد عبد الغني سعودي : 1966، مرجع سابق، ص128.
- (20) المرجع نفسه، ص129.
- (21) إدارة لإرصاد الجوي : التقرير السنوي لحالة المناخ في ولاية الجزيرة، أرصاد ود مدني، 2009.
- (22) تقرير برنامج الأمم المتحدة للبيئة: تقريرالسودان الأول عن حالة البيئة والتوقعات البيئية 2020م، ص86.
- (23) إدارة الأرصاد الجوي : تقرير عن متوسط المطر في السودان خلال ستين عام(1950 الى 2009) الهيئة العامة للإرصاد الجوي، الخرطوم، 2009م.
- (24) إدارة مشروع المناقل : تقرير عام لمشروع المناقل، إدارة المشروع، 24 القرشي، 2009، ص4.
- (25) الجهاز المركزي للإحصاء:التعداد السكاني الخامس لجمهورية السودان، مصلحة الإحصاء، الخرطوم، 2008م.
- (26) عمر يوسف الطيب :علم اجتماع السكان وتطبيقاته مع الوصف والتحليل المقارن لسكان السودان، الجهاز المركزي للإحصاء، الخرطوم، 2005م ص109.
- (27) امال جاد الرب على :النظام المكاني محلية المناقل دراسة تحليلية، دكتوراة، كلية الدراسات العليا، جامعة الزعيم الأزهرري، 2011م، ص-117 120.
- (28) محلية المناقل :، 2015م، مرجع سابق.
- (29) إدارة مشروع المناقل : 2009م، مرجع سابق، ص5.
- (30) محلية المناقل: للسجل الإيرادي لأسواق محلية المناقل، تقرير عن الثروة الحيوانية بمحلية المناقل، مدينة المناقل، 2009م.
- (31) محلية المناقل : 2015م، مرجع سابق.
- (32) التقرير الصناعي لوزارة الصناعة :جمهورية السودان الصناعة مستقبل السودان، اعتمادًا على جداول النتائج النهائية للمسح الصناعي الشامل 2005 (المجلد التالي)،وزارة الصناعة، الخرطوم، 2016، ص501.

مدينة سواكن (دراسة تاريخية تحليلية)

أستاذ المساعد - بقسم علم النفس
كلية التربية - جامعة غرب كردفان

د. أماني بابكر إبراهيم سليمان

المستخلص:

هدفت الدراسة الحالية إلى إلقاء الضوء حول إحدى مدن السواحل، حيث ركزت على مدينة « سواكن» من حيث التطور التاريخي والحضاري، وتتمثل مشكلة الدراسة في القصور المعرفي لدى كثير من الناس عن المدن الساحلية وما ينبغي أن تكون عليه بحكم مواقعها الاستراتيجية من التطور في شتى المجالات، حيث هدفت الدراسة الحالية إلى كشف النقاب عن مدينة سواكن وإبراز مكانتها التاريخية والأثرية والحضارية. وتكمن أهمية الدراسة في أنها كشفت النقاب عن مدن السواحل وتوضيح مكانتها وأهميتها بصفة عامة، وبصفة خاصة مدينة سواكن باعتبارها إحدى المدن القديمة التي تمثل معبراً إلى مدينة جدة التي تحتل مكانة نفسية كبيرة لدى المسلمين باعتبارها مدخلاً لمكة المكرمة التي يقصدها المسلمون من شتى بقاع الأرض لأداء مناسك الحج والعمرة، وتكمن أهميتها في أنها رافداً للعلم والمعرفة في إبراز أهمية المدن الساحلية، كما تتحدد أهميتها في كونها الدراسة الأولى في حدود علم الباحثة التي تناولت الجوانب التاريخية والحضارية والأثرية لمدينة سواكن كإحدى مدن السواحل القديمة تاريخياً وحضارياً. واتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي من أجل الوصول لنتائج علمية يستفاد منها في المجال العلمي والعملي. ولعل أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج هي أن مدينة سواكن تحتل مكانة تاريخية قديمة خلدها التاريخ منذ عصور ما قبل الإسلام وإلى ظهور الإسلام وما بعده. كما أن ميناء مدينة سواكن يمثل ميناء إفريقيًا الأول للحجيج. وقد استخدم قدماء المصريون مدينة سواكن كمعبر ويستخدمونها كمحطة في طريقهم إلى بلاد بنط (الصومال حالياً) في القرن الإفريقي لجلب الذهب واللبنان. كذلك أن مدينة سواكن كانت مرتبطة بمركز جميع التجارة على النيل وكانت تشكل منفذاً بحرياً للدويلات المسيحية في السودان تمر من خلالها تجارتهم مع العالم الخارجي وكان يمر عبرها الحجاج المسيحيون في طريقهم إلى الأراضي المقدسة في أورشليم (بيت المقدس) حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي. كما هي أول مدينة سودانية عمرت بالمباني العالية والمباني الثابتة فكانت قصورها

شامخة لا مثیل لها. وفي مجال السياحة تعتبر مدينة سواکن مدينة تاريخية قديمة تضم منطقة غنية بآثار منازل القرون الوسطى من الحجارة المرجانية ومزدانة بالنقوش والزخارف الخشبية، ومن معالمها السياحية والأثرية العديد من الجزر والشعاب والبوابات والحصون والمتاحف وغيرها.

الكلمات المفتاحية: مدينة سواکن، تاريخياً، أثرياً، حضارياً.

Suakin city

(analytical historical study)

**Dr. Amani Babiker Ibrahim Suleiman - Assistant Professor of Psychology
- College of Education - West Kordofan University**

Abstract:

The current study aimed to shed light on one of the coastal cities, as it focused on the city of “Suakin” in terms of historical and cultural development. The problem of the study is represented in the lack of knowledge of many people about coastal cities and what they should be due to their strategic locations of development in various fields, where the current study aimed to unveil the city of Suakin and highlight its historical, archaeological, and cultural status. The importance of the study lies in that it revealed the coastal cities and clarifying their status and importance in general, and in particular the city of Suakin as one of the ancient cities that represents a passage to the city of Jeddah, which occupies a great psychological position among Muslims as it is an entrance to Makkah Al-Mukarramah, which Muslims come from all over the world to perform the rituals of Hajj and Umrah, and its importance lies in that it A tributary of science and knowledge in highlighting the importance of coastal cities, and its importance is determined by being the first study within the limits of the researcher’s knowledge that dealt with the historical, cultural and archaeological aspects of Suakin as one of the ancient coastal cities historically and culturally. This study followed the historical-analytical method to reach scientific results that can be used in the scientific and practical fields.

Perhaps the most important findings of the study are that the city of Suakin occupies an ancient historical position immortalized by history from pre-Islamic times to the emergence of Islam and beyond. The port of Suakin is the first port of Africa for pilgrims. The ancient Egyptians used the city of Suakin as a crossing point and used it as a station on their way to Puntland (present-day Somalia) in the Horn of Africa to bring gold and frankincense. Also, the city of Suakin was linked to the center of trade gathering on the Nile and was a sea outlet for the Christian states in Sudan through which their trade with the outside world passed, and Christian pilgrims passed through it on their way to the Holy Land in Jerusalem (Beit al-Maqdis) until the early sixteenth century AD. It is also the first Sudanese city to be inhabited by tall buildings and fixed buildings, and its palaces were lofty and unparalleled. In the field of tourism, the city of Suakin is an ancient historical city that includes an area rich in relics of medieval houses made of coral stones and decorated with inscriptions and wooden decorations. Among its tourist and archaeological landmarks are many roots, reefs, gates, forts, museums, and others.

مقدمة:

تعتبر مدينة سواكن إحدى المدن الساحلية التي لها أهميتها الجغرافية والتاريخية والحضارية من بين مدن السواحل المتعددة. فالمدن الساحلية بصفة عامة هي مدن تقع على السواحل التي تطل على مياه المحيطات أو البحار، وتتأثر بشكل مباشر به من حيث المناخ، وعادات السكان وأنشطتهم. وتحتوي المدن الساحلية على عدد وافر من الموارد الطبيعية التي تتمثل في الثروة السمكية، والبتترول، والغاز الطبيعي، والموارد الحيوانية، والموارد الزراعية، والسياحة، والنقل البحري، ويعمل سكانها بقطاع التجارة، والصناعة، والزراعة.⁽¹⁾ وتضيف الباحثة أن المدن الساحلية تعتبر مضيقة للسواحل بحكم موقعها الجغرافي الجاذب والذي يريح النفس ويجهها في الغالب باعتباره متنفس قوي للانفعالات السالبة وضغوطات الحياة، ومن أمثلة المدن

الساحلية في الوطن العربي مدينة جدة بالسعودية، ومدينة بورتسودان ومدينة سواكن بالسودان، ومدينة الإسكندرية بمصر، ومدينة الرباط بالمغرب، ومدينة نواكشوط بموريتانيا، ومدينة مقديشو بالصومال وغيرها.

لمحة تاريخية عن مدينة سواكن:

لا يعرف تاريخ سواكن بالضبط في العصور الخالية إلا تلك الخرافة القديمة، وهي أنها كانت كسائر الجزر التي في البحر الأحمر خالية من السكان إلا الجن.⁽²⁾

سواكن لغاً:

سواكن لفظ أقرب إلى السكنى بمعنى الإقامة، سكن يسكن ساكن سواكن، أو بمعنى الهدوء السكون والسكينة، إلا أن هناك عدة افتراضات وروايات يتداولها الكتاب في معرفة معنى الاسم ومصدره وسبب تسمية المدينة به، ومنها ما ذهب إليه الكاتب المصري الشاطر البصيلي الذي ذكر بأن اللفظ سواكن من أصل مصري قديم وهو «شواخن» ويعنى محطة - شوا. وشوا Shewa هو اسم لمملكة إسلامية بالحبشة في سنة 1285 م، وحسب رأيه فإن سبب تحول كلمة «شواخن» إلى شواكن أو سواكن، يعود إلى خلو لغات البجا من لفظ الخاء والذي غالباً ما يقلب إلى كاف أو هاء في بعض لهجاتها.⁽³⁾ وهناك من يعتقد بأن الاسم عربي الأصل ومشتق من كلمة «السوق» ويستدل على ذلك بوصول بعض العناصر العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية من الضفة المقابلة لموقع سواكن على البحر الأحمر واستقروا فيه واختلطوا بسكانه المحليين. وتطور الموقع بفضل خدمة التجارة وعرف باسم «سواق» أو أسواق والذي حرف فيما بعد إلى سواكن، ويدعمون هذا الرأي بالاسم الذي يطلقه البجا على سواكن وهو (اوسوك) ومعناه باللغة البجاوية السوق.⁽⁴⁾

الموقع والطبوغرافيا:

تقع سواكن على خط عرض 19,5 درجة شمال خط الاستواء وخط طول 37,5 درجة شرق. واشتهرت قديماً وكانت تمر بها الرحلات بعد عبور الموانئ المجاورة له مثل ميناء القنفذة وميناء جدة وميناء الليث وميناء ينبع في السعودية وميناء القصير وميناء سفاجا في مصر. وكانت في الأصل جزيرة ثم

توسعت إلى الساحل وما جاوره فغدت مدينة سواكن تضم الجزيرة والساحل. أما طبوغرافياً فبنيت سواكن فوق جزيرة مسطحة الأرض ببيضاوية الشكل طولها حوالي 750 متراً وعرضها أقل من 500 متر داخل شرم ضيق يفتح على البحر الأحمر ومتصل بالبر بطريق ممهد، ويتكون الساحل من بحيرات مستنقعات وشعاب مرجانية وسهول تحدها تلال من الداخل تغطيها أحراش متفرقة وخيران (أودية موسمية) وفي الخريف توفر الأمطار كميات من المياه.⁽⁵⁾

مناخ سواكن:

في الشتاء تهب رياح موسمية ينتج عنها نسيم بارد وأمطار، ولكن في الصيف تتغير أحوال الطقس ويكون أقرب إلى جو المحيط الهندي الصيفي الحار المشبع بالرطوبة وتكون الرياح مصحوبة بعواصف ترابية تهب من الصحراء.⁽⁶⁾

نشأة سواكن تاريخياً:

لا يعرف تاريخ محدد تأسست فيه سواكن، ولكن الكثير من الشواهد تدل على أن الجزيرة كانت مأهولة منذ تاريخ موغل في القدم، واشتهرت بعد ظهور الإسلام وازدادت شهرة بعد أن استطاعت أن تحل محل عيذاب كمنفذ تجاري لممالك السودان القديمة وميناء إفريقيا الأول للحجيج.

العصور القديمة:

يشير بعض المؤرخين إلى تزامن اكتشاف سواكن مع النشاط البحري والتجاري الذي مارسه اليونانيون والبطالسة إبان العهد البطلمي. كما يعتقد بأن قدماء المصريين منذ عهد الأسرة الخامسة كانوا يمرون عبر سواكن ويستخدمونها كمحطة في طريقهم إلى بلاد بنط (الصومال الحالية) في القرن الإفريقي لجلب الذهب واللبنان. ومن المرجح أن سواكن كانت ميناء الرجاء الصالح، ليمين Evangelis Portus Limen الذي كان يقصده بطليموس، ذلك لأن الوصف الذي أورده عن ذلك الميناء الواقع على البحر الأحمر ينطبق على سواكن من حيث وقوعه على جزيرة مستديرة بقطر 1.5 كيلومتر بمقياس اليوم في نهاية لسان بحري إلى داخل البر، وأشار بطليموس في وصفه إلى الفيلة التي تم جلبها إلى المدينة من غابات وسط السودان، إلا أن الميناء

الرئيسي على البحر الأحمر حسب البطالسة والرومان لم يكن في سواكن، بل هو ميناء برنيس. وكان البحر الأحمر يشكل نقطة وصل مهم للرومان والبيزنطيين تربطهم بالمحيط الهندي⁽⁷⁾.

العصور العربية الإسلامية:

خلال القرن الثامن الميلادي ورد اسم سواكن لأول مرة في مؤلفات الرحالة وعلماء الجغرافية والتاريخ العرب كمدينة مر عبرها بعض أفراد أسرة بني أمية من قبيلة قريش المتجهين إلى مصر هرباً من العباسيين بعد مقتل الخليفة الأموي مروان بن محمد سنة 750 ميلادية. فقد ذكر المقرئزي «في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»⁽⁸⁾.

بأن ثمة «طريق من النيل إلى سواكن وباضع ودهلك وغيرها من جزائر البحر الأحمر نجا منه بنو أمية الهاربين عندما جدّ اتباع العباسيين في ملاحقتهم». وهذا يعني بأن سواكن عاصرت كلاً من مدينتي باضع وعيذاب خلال فترة امتدت إلى خمسة قرون: من القرن الثامن الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي. وتؤكد مراجع أخرى عربية قديمة على أن سواكن استقبلت أفواجاً من الأسر العربية خلال القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر بغرض الاستقرار فيها. ويبدو أنها ظلت ومنذ بداية الهجرات العربية وحتى سنة 1255 م قرية صغيرة تقطنها جماعات من الهمج تقوم بنشاط بحري محدود يتمثل في خدمة مرور تجارة لشمال ووسط السودان إلى الأسواق الخارجية. ووفقاً للمقرئزي وابن سليم الأسواني بأن سواكن كانت مرتبطة بمراكز تجميع التجارة على النيل وكانت تشكل منفذاً بحرياً للدويلات المسيحية في السودان تمر من خلالها تجارتهم مع العالم الخارجي وكان يمر عبرها الحجاج المسيحيون في طريقهم إلى الأراضي المقدسة في أورشليم (بيت المقدس) حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي⁽⁹⁾.

أدى انهيار الدولة العباسية في العراق ونمو الدولة الفاطمية في مصر إلى تغيير في هذا الوضع فأصبح ميناء القصير وعيذاب أهم مركزين للتجارة مع الهند. وورد اسم سواكن في كتابات الهمداني في القرن العاشر، الذي أشار إلى وجود بلدة قديمة نشأت كمستوطنة صغيرة للبجا ثم توسعت بعدما تم التخلي عن ميناء باضع (مصوع في إرتريا الحالية) في جنوبها. وقد أدت الحروب الصليبية والغزو المغولي في الشرق الأدنى إلى تحول التجارة إلى المنطقة

وازدهارها فيها. وفي القرن الثاني عشر الميلادي غزا الصليبيون سواحل البحر الأحمر وقاموا بتخريب ونهب المدن الساحلية الواقعة عليه ومن بينها سواكن، وجرت عدة معارك بينهم وبين سكان تلك المناطق. وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر وصل بعض التجار من مدينة البندقية الإيطالية إلى سواكن وباضع. وفي سنة 1264 م، تعرضت سواكن لهجوم من قبل المماليك بدعم من حاكم عيذاب عندما أثار أحد حكامها، ويدعى علاء الدين الأسبعاني غضب السلطان المملوكي بيبرس باستيلائه على بضائع تجار لقوا حتفهم في البحر في مكان قريب من المدينة وكانوا رعايا للسلطان بيبرس الذي أرسل حملة تأديبية ضد أمير سواكن علاء الدين بقيادة حاكم قوص المصري تدعمه 50 سفينة من عيذاب، فاضطر الأسبعاني الذي كانت له صلات بأعيان مدينتي جدة ومكة المكرمة إلى الفرار. وقد تحدث عنه ابن بطوطة. وهناك من يعتقد بأن الهجوم الذي شنه الملك النوبي داؤود على عيذاب في وقت لاحق بعد بضع سنوات كان ردًا على تعاونها مع بيبرس ضد سواكن. وكان العداء والتنافس بين سواكن وعيذاب كبيرًا لفترات طويلة. وبعد الدمار الذي تعرضت له عيذاب على يد السلطان المملوكي استقبلت سواكن العيذابيين الذين نزحوا إليها لاستئناف حياتهم في خدمة التجارة والملاحة فوصلت إليها السفن التجارية الكبيرة من الهند والصين، وأصبحت سواكن ميناء السودان الأول واشتهرت وازدهرت، إلا أن تلك الحال قد تغيرت بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا الجنوبية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي واتجاه عدد كبير من السفن التجارية الأوروبية نحوه واستخدامه طريقًا رئيسيًا نحو شبه الجزيرة الهندية والشرق الأقصى حتى غدت منافسًا خطيرًا لجميع الطرق التي تمر عبرها التجارة بين الشرق والغرب في تلك الأزمنة، ومن ضمنها طريق البحر الأحمر⁽¹⁰⁾.

الحكم العثماني: سليم الأول:

وبظهور الأتراك العثمانيين كقوة دولية كبرى وتمكنهم من بسط سيطرتهم على مناطق في آسيا وإفريقيا وأوروبا ومن بينها الشريط الساحلي للبحر الأحمر، غزا السلطان العثماني سليم الأول مدينة سواكن في سنة 1517 م بعد احتلال قصير من قبل الفونج، وأصبحت المدينة مقرًا لحاكم مديرية الحبشة العثمانية، والتي شملت مدن حرقيقو ومصوع في إرتريا الحالية. وفي

عهد السلطان سليم العثماني ضمت سواكن لولاية الحجاز العثمانية، فيما استمر تجار سواكن في تعاملهم مع السلطنة الزرقاء حيث كان الفونج يقومون بتجميع السلع والمنتجات من أواسط السودان ويوجهون القوافل التجارية إلى سواكن عبر سنار وكسلا ليتم تسويقها والتبادل عليها هناك مع التجار الأجانب ومن ثم شحنها تحت إشراف العثمانيين، إلا أن المدينة تدهورت تدهوراً كبيراً تحت ظل الحكم العثماني بسبب سياسة التضييق التي مارسها العثمانيون فيما بعد على التجار الأوروبيين للحد من نشاطهم التجاري عبر طريق البحر الأحمر في محاولة لمحاربة الأطماع الأوروبية في المنطقة. وفي سنة 1540 م، حدث خلاف بين قائد الأسطول البرتغالي استيفانو دا غاما وحاكم سواكن وكانت السفن البرتغالية في طريقها من جيب جوا البرتغالي بالهند إلى خليج السويس بغرض مهاجمته والاستيلاء عليه، وعندما وصلت إلى سواكن أحدثت دماراً على بنايات المدينة ونهبتها الأمر الذي أثار غضب العثمانيين فاصطدموا مع البرتغاليين. وفي عام 1629 م، أصبحت سواكن قاعدة عسكرية للحملة العثمانية على اليمن. وبوصول أسرة محمد علي باشا إلى سدة الحكم في مصر بعد بضع سنوات قليلة من بداية القرن التاسع عشر الميلادي وما تبع ذلك من أطماع توسعية لها شملت حدود مصر الجنوبية واحتلال السودان في عام 1821 م، دخلت سواكن مرحلة جديدة في تاريخها ولم تعترف الامبراطورية العثمانية بحق محمد علي في ضم سواكن إلى ملكه، وقامت بتأجيرها له مقابل مبلغ مالي يدفعه سنوياً، وبعد وفاة محمد علي سنة 1849 عادت سواكن للدولة العثمانية وكان مواطن سواكن يعتبر سواكني عثمانياً⁽¹¹⁾. وفي عهد الخديوي إسماعيل باشا ضمت سواكن للسودان الإنجليزي المصري بعد أن تعهد الخديوي إسماعيل بدفع مبلغ 7.500 جنيه مصري لوالي جدة مقابل تنازل السلطان العثماني عن سواكن. وصدر فرمان عثمانى بذلك. وفي مايو / أيار 1865 م تنازلت السلطة العثمانية رسمياً عن سواكن ضمن مناطق أخرى على ساحل البحر الأحمر وخليج عدن مقابل جزية سنوية قدرها 15 ألف جنيه مصري، حاول المصريون الأتراك تطوير سواكن لتقوم بدورها كمنفذ بحري للسودان، إلا أن سياسة محمد علي باشا التجارية إزاء السودان لم تساعد كثيراً على ذلك، فقد عمد توجيه تجارة السودان نحو مصر وأصبحت السلع السودانية المطلوبة من قبل الأسواق الأوروبية تمر عبر طريق

مصر وموانئها على ساحل البحر الأبيض المتوسط، لكن افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية في عام 1869 م، من ناحية أخرى، أنعش الطريق البحري المار عبر البحر الأحمر الذي ازدحم بحركة السفن التجارية مما أدى إلى إعادة الحيوية إلى موانئ المنطقة ومن بينها سواكن⁽¹²⁾.

سعى الخديوي إسماعيل باشا إلى تطوير المدينة مرة أخرى فبنى فيها منازل جديدة ومصانع ومساجد ومستشفيات وحتى كنيسة لأقباط المهجر. فعادت إليها السفن الأوروبية وجرت عمليات تبادل السلع السودانية المختلفة كالتمور والجلود والقطن والصبغ العربي وسن الفيل وريش النعام وشمع العسل والسمن بمنتجات الشرق والغرب ومن بينها التوابل والزجاج والورق والمنسوجات، وازداد عدد سكان المدينة من البجا والعرب وغيرهم من التجار القادمين من مختلف أنحاء الدولة العثمانية ومصر واليونان، واليمن وأرمينيا والهند. وعملت فيها شركات بحرية دولية مثل «شركة الهند الشرقية الإنجليزية»، و«الشركة الخديوية» و«شركة ملاحة رباطين» الإيطالية. كما حاول المصريون الأتراك ربط المدينة ببقية مناطق الإنتاج في السودان بخطوط السكك الحديدية، إلا أن الحرب الإثيوبية المصرية واندلاع الثورة المهديّة ضد الحكم البريطاني أدت إلى شلّ حركة العمران في المدينة وإفشال محاولة تطويرها. فقد كانت قوات عثمان دقنة، أحد أمراء المهديّة، تهاجم مواقع تشييد الخط من حين لآخر ثم قامت بفرض حصار على المدينة أدى إلى نهاية عهدها المزدهر. وبحلول القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي وجد الرحالة السويسري يوهان لودفيج بوركهارت الذي زار المدينة بأن ثلثي المنازل كانت في خراب⁽¹³⁾.

الحكم الثنائي:

اتخذ اللورد كيتشنر من سواكن مقرًا لقواته ونجا من الحصار الطويل الذي فرضته جيوش المهديّة بقيادة الأمير عثمان دقنة، بعد نجاح حملة استرداد السودان في سنة 1899 م.

بدأ البريطانيون في دراسة فكرة تشييد ميناء بحري جديد في السودان بعد أن أشار الحاكم الإنجليزي لشرق السودان إلى عدم ملاءمة سواكن لاستقبال السفن الكبيرة واقترح البحث عن موقع آخر على الساحل السوداني يمكن أن تدخل عليه السفن ليلاً على ضوء فنار يقام في موقع قريب. تم تكليف أحد الخبراء في عام 1904 م بتقديم تقرير عن المبالغ اللازمة

لتطهير ميناء سواكن وإزالة الشعب المرجانية. وأشار تقرير الخبير إلى أن المرابط والمياه العميقة حول جزيرة سواكن لا تتحمل إلا عددًا محدودًا من السفن وإن من الأفضل بناء ميناء جديد في شرم الشيخ برغوث الواقع شمال سواكن وتزويده بأجهزة حديثة وإعداده فنيًا لاستيعاب حركة الملاحة ومرور التجارة الخارجية. وهكذا تقرر بناء ميناء جديد للسودان في مرسى الشيخ برغوث أطلق عليه اسم بورتسودان أي ميناء السودان بدلًا من الانخراط في إعادة بناء واسعة النطاق في سواكن. وبحلول عام 1922، غادرت آخر شركة بحرية ميناء سواكن إلى الميناء الجديد في بورتسودان.⁽¹⁴⁾

سواكن بعد الاستقلال:

ترجع دور سواكن كميناء تجاري بحري لحساب بورتسودان بعد أن هجرها معظم سكانها إلى المدينة الجديدة وخيم الخراب على معظم منازلها التي يسودها الطابع المعماري الإسلامي والعربي القديم وأصبحت موقعًا من المواقع الأثرية القديمة في السودان. وبنهاية ثمانينيات القرن الماضي قررت الحكومة السودانية افتتاح ميناء عرف باسم ميناء عثمان دقنة لخدمة نقل الحجيج المتوجه إلى الأراضي المقدسة بالملكة العربية السعودية مما أعاد الحياة إلى سواكن مجددًا.⁽¹⁵⁾

العمران:

سواكن أول مدينة سودانية عمرت بالمباني العالية والمباني الثابتة، فكانت قصورها الشامخة لا مثيل لها في المنطقة، وكانت مدينة التجارة والمال على البحر الأحمر والشرق العربي، فكانت تمون بلاد الحجاز، وتهامة بالحبوب، واللحوم، والسمن. بنيت المدينة القديمة على جزيرة مرجانية ويحيط بها سور فتحت به خمس بوابات لمراقبة الداخلين والخارجين أشهرها «بوابة كتشنر» (باب شرق السودان)، ويربط الجزيرة بالساحل جسر وعلى بعد ميلين فأكثر من الجزيرة توجد ثمانية أبراج للمراقبة. تمتاز مباني سواكن بأنها مبنية من الحجارة المرجانية وبجمال النقوش والتصميم والمظهر العام ولقد زار سواكن كثير من الرحالة عبر تاريخها بدءًا بابن بطوطة 1324 م، والكثير من الرحالة الأوربيين مثل صامويل بيكر، وجنكر، واسترجل سياد ليمنر، ولقد زارها الكثير من القادة والزعماء عبر تاريخها، فلقد زارها خديوي مصر عباس حلمي الثاني، وزارها اللورد ألنبي والكثير من قادة الغرب.⁽¹⁶⁾

السياحة:

سواكن مدينة تاريخية قديمة تضم منطقة غنية بآثار منازل القرون الوسطى مبنية من الحجارة المرجانية ومزدانة بالنقوش والزخارف الخشبية. ومن معالم سواكن السياحية.

الجزر:

- جزيرة سواكن وتضم المدينة الأثرية.
- جزيرة الحجر الصحي على بعد 5.8 كيلومتر من سواكن.
- جزيرة الرمال وتبعد حوالي 32 كيلومترًا.

الشعاب:

- شعاب داموث وتبعد 21 كيلومترًا من وسط سواكن
- شعاب المدخل
- شعاب قاض ايتود
- شعاب بيرنس

الحصون والبوابات:

- تضم منطقة القيف بقايا السور والبوابات والحصون ومنها:
- بوابة كتشنر (بوابة شرق السودان حاليًا)
 - حصن مهاجر
 - حصن أبو الهول
 - حصن طوكر
 - حصن السوداني
 - حصن الأنصاري
 - حصن اليمنى⁽¹⁷⁾.

المتاحف:

متحف هدا:

هو أكبر وأبرز متاحف في شرق السودان يقع في مدينة سواكن وقد تم إنشاؤه بجهد شخصي من قبل محمد نور هدا وهو أحد أعيان مدينة سواكن. ويحتوي المتحف على مقتنيات تاريخية لعصور مختلفة لمدينة سواكن

من بينها صور عامة وقطع أثاث وأزياء ونموذج لسكن وغيرها من الأعمال الفولكلورية لسكان سواكن بشكل خاص وسكان شرق السودان بصفة عامة وتوجد به مقتنيات للأمير عثمان دقنة أحد قادة الثورة المهدية في شرق السودان ومن بينها الزي الذي كان يرتديه إلى جانب بعض وثائق تلك المرحلة⁽¹⁸⁾.

الآثار:

وتضم أنقاض المباني بما فيها منازل السكنى كقصر الشناوي ومنزل خورشيد والمؤسسات العامة مثل مبنى الجمارك ومبنى البنك الأهلي المصري والمسجد الشافعي وغيرها.

التعداد السكاني:

السنة	عدد السكان
1973	5.895 (تعداد)
1983	18.030 (تعداد)
2010	44.521 (تقديرات)

النقل:

وجدت حافلات يومية من مختلف الأنواع والأحجام بين بورتسودان وسواكن. ويمكن زيارة سواكن والعودة في نفس اليوم. هناك خط للسكة الحديد بين سواكن وبورتسودان تم بناؤه في عام 1905، ولكنه لا يعمل الآن. يوجد ميناء جديد وهو ميناء الأمير عثمان دقنة تم افتتاحه في عام 1991 م، لاستقبال سفن الركاب والبضائع، ويستخدم في نقل الحجيج إلى الأراضي المقدسة بالمملكة العربية السعودية.

ميناء الأمير عثمان دقنه بسواكن:

تسع طاقة الميناء لمعالجة مليون ونصف مليون طن سنوياً، وتبلغ الطاقة الاستيعابية الفعلية 323 مليون طن في العام. ويبلغ طول المدخل حوالي 90 متراً، وتبلغ مساحة أماكن التخزين العاملة 14400 متر مربع والمساحات الاحتياطية 27 ألف متر مربع وعدد المراتب عشرة وبالميناء مستودع للبضائع والأمتعة وصالة مغادرة للركاب وأخرى للوصول تتوفر فيهما كافة الخدمات.⁽²⁰⁾

الخاتمة:

أن مدينة سواكن إحدى مدن السواحل التي خلدها التاريخ وصارت مرتبطة بالحضارة والآثار والسياحة، وهي من أقدم المدن السودانية إذ تميزت بموقعها

الجغرافي المميز. وقد تناولت الدراسة الحالية نشأتها وتطورها تاريخياً وحضارياً عبر العصور القديمة مروراً بالعصور العربية الإسلامية بالتركيز على العهد العثماني، ثم توضيح تطورها إبان الحكم الثنائي في السودان ثم ما بعد استقلال السودان متناولة أهم الملامح التاريخية والحضارية والعمران والسياحة والآثار.

النتائج:

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. إن مدينة سواكن تحتل مكانة تاريخية قديمة خلدها التاريخ منذ عصور ما قبل الإسلام وإلى ظهور الإسلام وما بعده. كما أن ميناء مدينة سواكن يمثل ميناءً إفريقيًا الأول للحجيج.
2. وقد استخدم قدماء المصريون مدينة سواكن كمعبر ويستخدمونها كمحطة في طريقهم إلى بلاد بنط (الصومال حاليًا) في القرن الإفريقي لجلب الذهب واللبان.
3. كذلك أن مدينة سواكن كانت مرتبطة بمركز جميع التجارة على النيل وكانت تشكل منفذًا بحريًا للدويلات المسيحية في السودان تمر من خلالها تجارتهم مع العالم الخارجي وكان يمر عبرها الحجاج المسيحيون في طريقهم إلى الأراضي المقدسة في أورشليم (بيت المقدس) حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي.
- 4- كما هي أول مدينة سودانية عمرت بالمباني العالية والمباني الثابتة فكانت قصورها شامخة لا مثيل لها. وفي مجال السياحة تعتبر مدينة سواكن مدينة تاريخية قديمة تضم منطقة غنية بأثار منازل القرون الوسطى من الحجارة المرجانية ومزدانة بالنقوش والزخارف الخشبية، ومن معالمها السياحية والأثرية العديد من الجزر والشعاب والبوابات والحصون والمتاحف وغيرها.

التوصيات:

1. ضرورة الاهتمام بالموانئ والمدن الساحلية القديمة وإبراز أهميتها ودورها في تنمية وتطوير الدول.
2. تشجيع البحث العلمي والباحثين على الاهتمام بدراسة المدن الساحلية في كل المجالات مع التركيز على كل مستجد ومستحدث في العلوم والمعارف من أجل تحقيق جودة البحث العلمي وتطوره.
3. دراسة سيكولوجية سكان مدينة سواكن لتوضيح مدى التفاعل والتماسك الاجتماعي.

الهوامش:

- (1) <https://www.mawdoo3.com> المدن الساحلية
- (2) محمد صالح صرار (1981م) تاريخ سواكن والبحر الأحمر، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ص24
- (3) <https://www.mawdoo3.com> المدن الساحلية
- (4) G.W.B. Huntingford, The historical geography of Ethiopia from the first century AD to 1704, (Oxford University Press: 1989)، p. 76
- (5) Saudi Aramco World: Suakin: Time and Tide نسخة محفوظة 01 يناير 2015 على موقع واي باك
- (6) <https://archive.aramcoworld.com/issue/199304/suakin-time.and.tide.htm> رابط الموقع:
- (7) موقع رئاسة الجمهورية السودانية
- (8) رابط الموقع: <https://www.presidency.gov.sd/states-of-sudan/Red-Sea-State>
- (9) «معلومات عن المناخ سواكن، السودان». -Weatherbase مؤرشف من الأصل في 8 ديسمبر 2019 رابط الموقع:
- (10) <https://web.archive.org/web/20191208090002/http://www.weatherbase.com/weather/weather.php3?s=626520&refer=wikipedia>
- (11) Saudi Aramco World: Suakin: Time and Tide نسخة محفوظة 01 يناير 2015 على موقع واي باك
- (12) (مرجع سابق)
- (13) أبي العباس بن عبد القادر المقرئزي (1998م) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزء1، ط1، دار الكتب العلمية، عمان، ص119
- (14) «تاريخ مدينة سواكن». بكرى هاشم الخليفة 13 مارس 2013
- (15) رابط الموقع: <https://web.archive.org/web/20130313020719/http://nilenet.8k.com/sawakinhistory.htm>
- (16) 11-Dahl, Gudrun & al: "Precolonial Beja: A Periphery at the Crossroads." Nordic Journal of African Studies 15(4): 473-498 (2006)

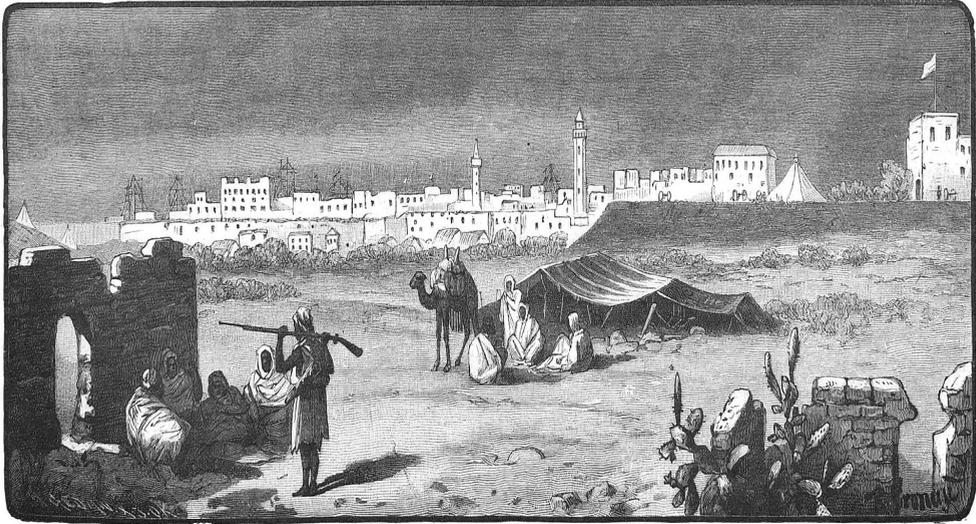
- (17) رابط الورقة العلمية: <http://www.njas.helsinki.fi/pdf-files/vol15num4/hjort.pdf>
- (18) مكي شببكية (1980) تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، ط2، دار الثقافة، بيروت، ص. 542
- (19) تاريخ مدينة سواكن». بكري هاشم الخليفة 13 مارس 2013 (مرجع سابق)
- (20) Saudi Aramco World: Suakin: Time and Tide نسخة محفوظة 01 يناير 2015 على موقع واي باك (مرجع سابق)
- (21) (مرجع سابق)
- (22) المرجع السابق
- (23) المرجع السابق
- (24) Suakin Island / Suakin Island, (SU31), Sudan, Africa - نسخة محفوظة 19 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.
- (25) رابط الموقع: <http://travelingluck.com/Africa/Sudan/> (SU31) / _366772_Suakin+Island.html
- (26) Account Suspended نسخة محفوظة 04 فبراير 2015 على موقع واي باك مشين. 18
- (27) رابط الموقع: <http://www.discoverrrs.com/what-you-will-discover/121-hadab.html>
- (28) World Gazetteer: Sudan: Die wichtigsten Orte mit Statistiken zu ihrer Bevölkerung
- (29) www.aspf.org.eg - هيئة الموانئ البحرية السودانية». مؤرشف من الأصل في 28 يناير 2013 -

الملاحق



شارع فی سواکن، ومسجد فی الخلیفة





لوحة لخيمة محلية خارج سواكن في سنة 1884





آثار مبنى الجمارك





مئذنة المسجد الشافعي





جزیرة سواکن

